



د. سليمان المدني

الجزء الثالث

المنازة

الملف العربي في القرن العشرين

الجزء الثالث

د. سليمان المدني

المنازة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٩٩٨م - ١٤١٩هـ

المنارة

للإنتاج الإعلامي والفني

بيروت : الحمراء - ص.ب ٥٧٢٠ / ١١٣

دمشق : ص.ب ٧٨٧ - هاتف: ٢٢١٢٩٦٧ -

فاكس: ٢٢٣٤٣٣٦ - ١١ - ٩٦٣

مقدمة

تتوالى المأساة العربية عبر التاريخ جيلاً بعد جيل. ونتابع في هذا الجزء صورة جديدة من صور المأساة. حيث سنرى الإستعمار الفرنسي كعادة الإستعمار أينما وجد، يمارس عملية الإتجار بمصائر الشعوب ومقدراتها وفقاً لمشئته وأهوائه. حيث يجد دائماً وبكل أسف العديد من ضعاف النفوس الذين يرتضون أن يكونوا مطية له. يبيعون أنفسهم وعزتهم وكرامتهم وحتى أوطانهم من أجل حفنة من المال، أو سعيًا وراء منصب سياسي وهمي يعتقدون أنه مخلداً.

وهذا ما حدث تماماً عندما دخلت القوات الفرنسية إلى دمشق بعد معركة ميسلون الخالدة، وفوق جثث القتلى والجرحى الذين فضلوا الموت على رؤية المستعمر يعبث بأرضهم وديارهم ولكن ما حدث أنه لم يكد غورو يدخل إلى دمشق حتى التف حوله العديد من المتملقين والساعين إلى المناصب السياسية. ضارين عرض الحائط بكل القيم الإنسانية والمشاعر النبيلة التي يفترض فيهم أن يراعوها خاصة وأن دماء الشهداء ما كانت لتجف بعد عندما استسلموا للإرادة الفرنسية وارتضوا أن يكونوا دمي في هيكل الوزارة الجديدة كما سنرى لاحقاً.

ولكن شيئاً هاماً يبدو أن الجميع قد أسقطوه من حساباتهم، أو أنهم لم يكونوا ليقدروه حق قدره. إنه إرادة الشعوب في التحرر والإستقلال تلك الإرادة التي سنشهد في هذا الجزء من كتابنا فصلاً رائعاً من صورها التي تجلت في الثورات الشعبية المسلحة ضد قوات الإحتلال الفرنسي. والتي لم يكن لأي

واحد من القائمين بها أي مطمح شخصي، إلا طرد الإستعمار الفرنسي عن كامل ترابه الوطني على أمل أن يعيش أبناءه من بعده بعزة وشموخ وكبرياء. نعم هذه الإرادة الحرة هي التي أورثها لنا الآباء فهل ترانا قدرناها حق قدرها نحن الأبناء؟.

سوريا في العهد الانتدابي الأول

بعدما تمكنت فرنسا من احتلال سوريا الداخلية وهدم العهد الفيصلي كما ذكرنا في الجزء الثاني من هذا الملف قررت فرنسا مضاعفة جهودها بدون تريث في محاربة الفكرة العربية وشلها ولو بقوة الحديد والنار لأنها لم تكن تجهل ان عهد فيصل ليس إلا مظهراً للفكرة، وان سوريا وخاصة دمشق كانت من أهم المراكز التي نشأت وترعرعت فيها هذه الفكرة، كما لم تكن تجهل ان عهد فيصل قد وسع انتشارها وقواها حتى صارت دمشق تغلي بها في كل مناسبة وفرصة، ولا سيما ان سوريا قد تمتعت بالكرامة والعزة القومية بكل معانيهما في هذا العهد، ولم تكن تجهل كذلك ان اتحاد الشعلة وتعطيل الحركة لا بد منهما لتحقيق مطامعها الاستعمارية في القطر السوري مما املته عليها تجاربها الباغية في المغرب العربي.

ومن أول ما فعلته انشاء محكمة عسكرية في دمشق استمرت قائمة الى آخر ايامها في سوريا، ومحكمة عدد كبير من رجال الحركة السوريين والفلسطينيين واللبنانيين الذين غادروا دمشق غيائياً والحكم عليهم باحكام الاعدام والحبس الطويل متوخية بذلك نشر الارهاب في جو سوريا اولاً وسد باب الرجوع ثانياً أمام من تعرف فيهم قوة العقيدة القومية والنشاط والنضال. اما الذين بقوا في سوريا من الذين يمتنون الى عهد فيصل وروحه ولم يكونوا بارزين بروز اولئك فقد اصلت فوق رؤوسهم السيف ووقفت لهم بالرصاد تحصي عليهم الانفاس وتسارع الى اتحاد كل نشاط وحركة منهم بالتشريد والنفي والمحاكمات العسكرية في خطير المناسبات وتافهها.

وكذلك كان من اول ما فعلته إعلان حل الجيش العربي ووضع اليد على مخازن السلاح وجمعه باقى الوسائل من ايدي المسرحين والمتطوعين والاهلين عامة، ونقل عدد غير قليل من كبراء ضباط الجيش المنحل الى جزيرة ارواد معتقلين تحت رقابة صارمة وفرض غرامة حرية مقدارها مئتا الف جنيه ذهبيّة وجبايتها بالحديد والنار.

ولقد جهزت سبع حملات عسكرية على جبال اللاذقية وحملتين على جبل عامل وحملة على منطقة حصن الاكراد واخرى على حوران، وحملات عديدة على المنطقة الواقعة بين اسكندرونه غرباً وحماه شرقاً وجسر الشغور شمالاً فهاجمت هذه الحملات القرى، واحرقت ودمرت منها اكثر من ثلاثمائة، وصادرت ما وجدته فيها من اموال واعلاق وباعته علناً واعتقلت عدداً كبيراً من سكانها حتى لقد شمل الاعتقال عدداً غير يسير من النساء بحجة ايواء الشوار واعدمت عدداً كبيراً من المعتقلين.

البعثة الانتدابية :



علاء الدين الدروبي

وقد ابقت الحكم سورياً بيد حكومة علاء الدين الدروبي التي كانت مؤلفة من المعتدلين والمستسلمين، وسارعت في ذات الوقت الى انشاء بعثة انتدابية في دمشق باشراف مندوب المفوض السامي جعلتها ناظمة لجميع السلطات

والاعمال الحكومية والتشريعية والادارية والاقتصادية والأمنية وانشأت هيئة مصغرة لهذه البعثة في حلب باشراف معاون مندوب المفوض، وهيئات مصغرة اخرى باشراف معاونين في مركز المحافظات. وأقامت بالاضافة الى ذلك مستشاراً الى جانب كل وزير وكل محافظ وكل قائمقام مع ما يحتاج اليه من مساعدين وتراجمة جعلت اليهم الامر والتوجيه والحل والعقد.

ولقد لفت هذا الاسراف في الوظائف وتعقيداتها نظر موسيو جوناو أحد رجال مجلس الشيوخ فوصفه وصفاً تهكمياً لادعاً امام مجلسه في جلسة ٦ نيسان ١٩٢١ حيث قال:

«عندما يصل المسافر يشعر ان في المفوضية الافرنسية مصالح عديدة مهمة وحالما يدخل السراي يخيّل اليه انه منتقل الى اعظم وزارات باريس بعدد موظفيها والى جانب معاون المندوب السامي مستشارون يوازي عددهم عدد الوزراء ومعاونيهم في فرنسا. ويريد كل مستشار أن يكون له مكتب خاص. وحيثما التفت ترى معاوني مستشارين ومستشارين متدربين وموظفين وكواب - وما اكثر الكواب - وترى الى جانب هؤلاء اركان حرب الجنرال غورو وغرفته السياسية ومصلحة الاستعلامات وبالاختصار موظفين كثيرين يخطئهم العدد. ففي المفوضية اذن عدد يزيد كثيراً على ما ينبغي ولا تكاد تجد رابطة في ما بينهم ويكاد كل منهم يجهل الآخر ويتصرف منفرداً بنفسه. واذا نظرت الى شكل الادارة في الحكومات الاربع التي احدثت اخيراً وهي لبنان الكبير ودمشق وحلب والعلويين رأيت استشاريين مرة اخرى حول كل حاكم من حكام هذه الاقطار في كل منها حكام فرنسيون ما عدا دمشق وترى مستشارين الى جانب الرئيس في كل متصرفية واطن ان في جانب هؤلاء المستشارين مستشاريين مساعدين ايضاً...».

المفوض السامي :

اما المفوض السامي فقد كان بمثابة الملك بما كان يحيط به نفسه من مظاهر الابهة والسلطان، واصبح مصدر السلطات ورئيسها جميعاً، يسير في نظام فردي ديكتاتوري لايبالي بما يصنع ولا يرى انه مسؤول عنه امام احد، ويمنح نفسه ما شاء من صلاحيات تشريعية واجرائية وقضائية، ويصدر ما يشاء من قوانين ولوائح، ويلغي بجرة قلم ما لا يروقه من انظمة وقوانين موجودة^(١) .

وقد ابعد كل صالح سليم العاطفة عن الوظائف وخاصة عن الرئيسية منها وقصرت هذه على المائعين والمستسلمين والمتآمرين الذين كانوا على صلة ما بالفرنسيين ووكلائهم.

ومثل هذا فعل في الشرطة والدرك وكثائب الجيش الخلي التي انشئت بعد قليل بحيث كانت هذه القوى وسائل طيعة لتنفيذ كل ما ترسمه السلطات الفرنسية من خطط، والتفنن في التزلف الى هذه السلطات بما يتسق مع ما تبتيه من مقاصد مع الاحتفاظ بقياداتها العليا والثانوية للضباط الافرنسيين.

المصالح المشتركة :

ثم سلخت عن الحكومة السورية مصالح كثيرة جداً وانشأت لها ادارة خاصة سميتها المصالح المشتركة وجعلتها مرتبطة مباشرة بالمفوضية العليا وتدار

(١) أنفخت هذه التصرفات والصلاحيات السلطانية الواسعة الى ان اصبح المفوض السامي يلغي دولة ودستوراً ومجلساً نيابياً ويعتقل رئيس جمهورية ورئيس وزراء ويعزلهم وينشئ دولة ودستوراً ومجلساً نيابياً ويعين رئيس جمهورية ورئيس وزراء بجرة قلم ايضاً كما فعل في سني ٩٣٠ و ٩٤٣ في سوريا ولبنان.

بواسطة رؤساء وموظفين افرنسيين مع مساعدين من اللبنانيين في الدرجة الأولى والسوريين في الدرجة الثانية من تلك الطبقة التي ذكرناها آنفاً منذرة الى ذلك باشتراك هذه المصالح بين سوريا ولبنان؛ فكانت هذه الادارة حكومة داخل حكومة، مع الامتياز الكبير لها دون مصالح الحكومة السورية العادية. وقد كانت تشمل الجمارك والبرق والبريد والهاتف والسكك الحديدية والموانئ والمطارات والمنائر والحاجر ومراقبة الشركات والامتيازات والاحتكارات والملكية الفنية والتجارية والصناعية والأمن العام والجوازات وكتائب الجيش المحلي وشؤون العشائر الخ..

وكانت ايرادات هذه المصالح تجبى من قبل ادارتها الافرنسية وتجعل لها ميزانية خاصة ينفق منها على المفوضية السامية وملحقاتها وعلى الجيوش المحلية بالاضافة الى مرتبات موظفي هذه المصالح ونفقاتها وكانت تبلغ احياناً ضعفاً ونصفاً من مرتبات ونفقات الحكومة السورية برمتها.

الموظفون الافرنسيون :

وعين بالاضافة الى كل هذا عدد كبير من الافرنسيين في المصالح الحكومية السورية وخاصة ما يسمى بالمصالح الفنية كالمعارف والري والاشغال والتجارة والصناعة؛ كثير منهم لا مؤهلات لهم إلا فرنسينهم، وتظاهروهم بالنفخة الكاذبة والشعوذة المشكوفة، وكان في مرؤوسيههم من يفوقونهم كفاءة وعلو شهادة.

المصرف السوري اللبناني وعملته الورقية :

وكان من اول الاعمال التي بادرت اليها السلطات الافرنسية انشاء فرع للمصرف السوري اللبناني الذي كان قد انشئ في لبنان في العهد الفيصلي

ومنح امتياز اصدار العملة الورقية، واصدار تشريع بتداول هذه العملة في سوريا. وجلّ رأس مال هذا المصرف افرنسي كان في بدئه عشرة ملايين فرنك ثم رفع الى عشرين مليوناً ومنح الامتياز مقابل سندات الدفاع الوطني على الخزينة الافرنسية. وقد اشترى في البدء سندات بقيمة خمسة وعشرين مليون ليرة سورية اصدر مقابلها بنفس القيمة عملة ورقية. ولم يكن لتلك السندات قيمة وثيقة كما انه لم يكن من الضمانة الذهبية لهذه العملة إلا قدر زهيد جداً؛ فغدت هذه العملة نافذة في سوريا ولبنان تؤخذ بها سلعهما وذهبهما آخذاً أشبه بالسلب ولقد خلف المصرف السوري اللبناني المصرف العثماني، وكان للسوريين واللبنانيين فيه ودائع بقيمة مليوني جنيه ذهباً فأصدر المفوض السامي تشريعاً أعيدت الودائع بموجبه إلى اصحابها من تلك العملة الورقية فعاد على المصرف من هذه العملية وحدها ربح يوازي رأس ماله على حساب خسارة اصحاب الودائع من أهل البلاد! وكثيراً ما بلغت ارباح هذا المصرف ١٠٠٪ و ١٥٠٪ بسبب ما كان يناله من امتيازات ويصدر من اجله من تشريعات ويغرق السوق بعملته التي يسحب منه مقابلها الذهب والسلع.

ضباط الاستخبارات :

ومن جملة ما كان إقامة ضباط باسم ضباط الاستخبارات في مختلف مدن سوريا وقبائلها؛ فأنشأوا شبكة جاسوسية واسعة حشدوا فيها كل حاقد وفاسق وفاسد، واخذوا يستعينون بهم على اثارة النعرات والتفرقة والوشايات التي كانت وسيلة من وسائل الكيد والمكر والارهاب والارهاق، وقد كان من امرهم في ما بعد أن كانوا يؤلبون الاشرار على الاخيار، ويوجهون ما كان يجري من معارك انتخابية في الجرى الذي ترسمه السياسة الافرنسية؛ ثم وصل امرهم الى

تأليب انصارهم ومواليهم على الحركات الوطنية والأهداف الوطنية والعهود الوطنية ورجالاتها.

ومما كان كذلك وضع الاوقاف الاسلامية تحت اشراف مفتش إفرنسي يأتمر بأمر البعثة الافرنسية، وتوسيد المناصب والوظائف الوقفية والدينية الى الانصار والمنزلقين والمنافقين ليكونوا وسيلة من وسائل دعايتهم.

كذلك اسرع الافرنسيون الى تعديل مناهج التعليم في مختلف الدرجات الدراسية، وجعلوا اللغة الافرنسية والثقافة الافرنسية المركز الممتاز فيها ليضمنوا نشوء الجيل السوري الجديد نشأة افرنسية موالية.

ولم يغفلوا البدو والبادية السورية في منهجهم فأنشأوا الصلات بينهم وبين مشايخها واستبدلوا بمن اشتبهوا فيه من هؤلاء المشايخ اشخاصاً آخرين واغدقوا عليهم المرتبات والمنح ليضمنوا طاعتهم وهدوءهم.

استغلالهم الحالة الطائفية في الدروز والنصيرية في سبيل توطيد استعمارهم :

كذلك عمدوا إلى استغلال الصفة الطائفية الخاصة في الدروز والنصيرية والشركس والأرمن. هادفين بذلك الى جعل جبل الدروز وجبال اللاذقية حصنين عسكريين واستعماريين لهم، تحت اشرافهم او حكمهم المباشر، والى جعل الدروز والعلوين والشركس والأرمن عدة لهم في الأزمات والمواقف العصبية.

لقد كان للدروز تقاليد وعادات واعتبارات وزعامات، وكانت احداث تاريخية وثورية في زمن الدولة العثمانية تمت الى هذه التقاليد والعادات والاعتبارات والزعامات بصلة؛ ولقد جرت التقاليد الجاهلية على ان ينظر السنيون اليهم بشكل غير مستحب من ناحية العقائد والطقوس الدينية مما ادى الى انقباضهم عن اخوانهم في العروبة انقباضاً فيه شيء من الحذر والتكتم والخصوصية.

وحالة الدروز هذه انطبق برمتها على النصيرية الذين سمو بالعلويين أيضاً وسميت منطقتهم اللاذقية ببلاد العلويين وجبال العلويين لانهم فيها اكثرية.

ولقد استغل الافرنسيون هذه الحالات الطائفية الخاصة واخذوا يبشون في رؤوس الطامعين والطامعين من الزعماء المخاوف من السوريين والوحدة السورية وانها وسيلة لابتلاعهم وغمرهم بالاكثرية السنية وحرمانهم من الوظائف والمناصب والمنافع.

ولقد كانوا مهدوا لهذه في المنطقتين منذ عهد فيصل؛ فاستطاعوا أن ينشئوا بينهم وبين بعض زعماء الدروز ومتزلفيهم وطامعيهم الصلات وان يوجدوا لهم فيهم الانصار والاعضاء. وكانت مهمتهم في النصيرية اسهل لان منطقة اللاذقية كانت تحت احتلالهم منذ انتهاء الحرب. ومما عمدوا إلى بثه فيهم بصورة خاصة انهم ليسوا عربا وانهم من بقايا الصليبيين دماً وروحاً وان تسمية النصيرية هي معدلة او محرفة من كلمة النصرانية، واستغلوا ما كان من اختصاص السنيين في المنطقة نفسها وخاصة في مدينة اللاذقية وهم اقلية بالنسبة اليهم بالمناصب والرعاية في زمن الدولة العثمانية؛ وعينوا بعض ناهيهم ومتحريهم في المراكز والوظائف وصاروا يقدمونهم على السنيين؛ مما ساعد

على إتيان هذه الحركة بشمرتها العاجلة حيث أصبح النصيرية او بالاصح الطامعون والطامعون والمتحركون منهم يشعرون بشخصيتهم الخاصة ويرون هذا مفيداً لهم مادياً ومعنوياً، ويؤثقون صلاتهم بالفرنسيين ويتقربون اليهم ويتمسكون بهم ويظهرون لفرنسا الاخلاص في سبيل الاحتفاظ بما صار لهم؛ ولا سيما أنهم قد تمكنوا بذلك من رقاب سوادهم وتسخيرهم لمصالحهم ومنافعهم تسخيراً قويا فشت فيه السخرة والرق والرشاوى والغرامات وابتزاز الاموال والاملاك فشواً عظيماً أصبح الشعب به بعد قليل من الزمن يعاني شدائد الضنك والفقر.

وقد جند الافرنسيون عدداً كبيراً من شبان المنطقتين في كتائب الجيش المحلي التي انشأوها بعد قليل وعينوا بعض نابيهم وابناء اسرهم المتزعمة ضباطاً؛ فكان ذلك وسيلة من وسائل توثيق الارتباط ونجاح الخطة المرسومة.

وبثوا كذلك المخاوف من السوريين في الجاليتين الشركسية والارمنية وجعلوهم يرون فيهم حათهم وفي الارتباط بهم فائدتهم. وجندوا منهم عدداً كبيراً في كتائب الجيش وعينوا بعض نابيهم ضباطاً فكان هذا كذلك وسيلة من وسائل توثيق الارتباط ونجاح الخطة المرسومة.

بل لقد حاولوا أن يفعلوا شيئاً من هذا في حلب وحمص وحماء ويشيروا الطامعين المائعين على العاصمة والتمرد عليها استهدافاً لتفريق الكلمة وتأثير البغضاء بين اهل الوطن الواحد والامة الواحدة.

وهكذا قامت في سوريا إدارة استعمارية شديدة اكبر همها ان تحول دون اي تقدم جدي وان تصد أي حركة قومية، وان تعطل اي حيوية ونشاط، وأن

تبث روح التفرقة بين مختلف الفئات والطوائف والمقاطعات، وان تشغل الناس بمشاكل ومشاكل توهم قواهم وتعطل نشاطهم، وان تستغل خيرات البلاد وثرواتها وتجارتها اوسع استغلال وابشعه.

تجارب الحكم الهزيلة :

ولم تلبث هذه الخطط الماكرة الخبيثة ان اخذت تؤتي اكلها بسرعة، وفي ميدان الحكم والادارة اولاً حيث اخذت اصوات الطامعين في المراكز والمناصب المتآمرين مع السلطات الافرنسية والمندمجين في توجيهاتها في حلب وجبال اللاذقية والدروز ترتفع ضد حكومة الشام التي كانت حكومة سوريا الداخلية جميعها. وتظاهر المفوض السامي بالاستجابة الى رغبات السكان فخلق من حلب دولة ومن منطقة اللاذقية دولة ومن جبل الدروز دولة ومن دمشق دولة؛ وذلك بعد اسابيع معدودة من الاحتلال، وأزال بذلك مظهر الحكومة السورية الواحدة الشاملة، وتوارى شكل الوزارة ليحل محله شكل الحاكم العام في عواصم هذه الدويلات.

وقبل الخوض بتفاصيل تلك الدويلات نرى لزماً علينا أن نسرد هنا بنود الإتفاق الفرنسي الإنكليزي على الحدود بين كل من الإقليم السوري ولبنان وفلسطين والعراق.

فقد انابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية الوزيرين المفوضين الواضعين اسميهما ادناه ليحلا جميع الامور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق وفرنسا على سورية ولبنان في المجلس الاعلى الذي اجتمع في سان ريمو وقد اتفقتا على الشروط الآتية:

١ - تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسي اي سورية ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني اي فلسطين والعراق كما يلي:

من الشرق نهر الفرات وجزيرة ابن عمر الى حدود ولايتي ديار بكر والموصل القديمة ومن الجنوب الشرقي حدود هاتين الولايتين القديمة الى غاية رومالين كوكي ومن هنا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسي فيترك فيها جميع الاراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي ويمر باستقامة نحو الفرات فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة الى امتار فجنوب جبل الدروز ومن هنا يمتد الى جنوب نصيب الواقعة على خط حديد الحجاز فسمخ الواقعة على بحيرة طبرية سائرا الى جنوب خط السكة الحديدية وموازيا لها. وتبقى درعا وما حولها في المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسي ويبقى ذلك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقة الفرنسية ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية كي يصبح في الامكان ان يمد في وادي اليرموك سكة حديدية واقعة في الاراضي المشمولة بالانتداب البريطاني وستوضع التخوم في صمخ بصورة يمكن معها للفريقين المتعاقدين الساميين ان يبنيا مرفأ ومحطة للسكة الحديدية. ليتمكنا من استعمال بحيرية طبرية بحريا.

ومن الغرب يسير الخط من صمخ ماراً داخل بحيرة طبرية فأول وادي المسعدية حيث يسير مع مجرى هذا النهر في وادي جرابا، الى نبعه، ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة وبانياس بالمكان المعروف بالسكيك فيسير مع الطريق التي تبقى في المنطقة الفرنسية لغاية بانياس ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة وتبقى المطلة في المنطقة البريطانية.

ويضع لهذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقة يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع اطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسي كصور وصيدا والمناطق الواقعة في الغرب الى الشرق من بانياس.

وتفصل التخوم المطلة بمفرق الماء في وادي الاردن وحوض نهر الليطاني وتسير جنوباً مع وادي الاردن فوادي فرعم ووادي كركره اللذين يقيان في المنطقة البريطانية فوادي اليلالونة ووادي العيون والزرقاء التي تبقى في المنطقة الفرنسية ويصل الحد الى شاطئ البحر المتوسط في ميناء راس الناقورة وتظل في المنطقة الفرنسية.

٢ - تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة اشهر بعثة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب الفرنسي والمناطق المشمولة بالانتداب البريطاني التي بينها في المادة الأولى وتتألف هذه البعثة من اربعة اعضاء تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية اثنين منهم وتعين الاثنين الاخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسي والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطاني بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين.

اذا وقع خلاف بين اعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس الامم ويكون قراره قطعياً.

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثابتة التي عينت اخيراً وتربط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل اعضاء البعثة. وتوضع ثلاث نسخ من هذه التقارير والمصورات تحفظ النسخة الواحدة بين سجلات مجلس جمعية الامم وتحفظ النسختين الاخرين الحكومتان المنتدبتان.

٣ - توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية على ترشيح لجنة خاصة مهمتها درس الخطط التمهيدية التي تعينها الحكومة الفرنسية المنتدبة لاجل مصلحة الري في البلاد المشمولة بانتدابها لتلا يقلل ابرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات في الموضع الذي يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطاني.

٤ - توافق الحكومة البريطانية بالنظر الى مكانة جزيرة قبرص من الوجهة الجغرافية العسكرية بالنسبة الى خليج الاسكندرونة على ان لاتفاوض احدا بخصوص التنازل عنها او تسليمه اياها قبلما توافق فرنسا على ذلك.

٥ - توافق الحكومة الفرنسية على وضع ترتيب حريين كيفية استعمال خط السكة الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالاً مشتركاً.

تضمن سير هذا الترتيب وانتظامه ادارتا السكة الحديدية المؤلفتان في منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسي بأسرع ما يمكن اي بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين وتسمح هذه الاتفاقية ذهاباً واياباً بين هاتين المنطقتين وفقاً لمصالحهما. وتنقل البضائع التجارية الى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسي بواسطتها، وتعين هذه الاتفاقية الشروط المالية والادارية والفنية اللازمة لسير القطارات البريطانية، اما اذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة أشهر من تنفيذ الانتداب بين الادارتين المذكورتين اعلاه فستعين جمعية الأمم حكماً يفصل الخلاف وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التي حازت رضا الطرفين.

يعمل بموجب هذه الاتفاقية الى اجل غير مسمى وتصحح احياناً بمقتضى الاحوال.

ب - يمكن للحكومة البريطانية ان تمد خطاً من الانابيب الحديدية بجانب السكة الحديدية ولها الحق في نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائماً.

ج - توافق الحكومة الفرنسية على تعيين بعثة خاصة تدرس الاراضي وبعد در سها اياها تعين الحدود من وادي اليرموك حتى نصيب بطريقة فنية يمكن معها بناء الخط الحديدي البريطاني وخط الانابيب الموصل بين فلسطين وبين سكة الحجاز ووادي الفرات في المنطقة المشمولة بالانتداب البريطاني. وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادي اليرموك داخل الاراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي، ويجب على بريطانيا العظمى احقاق حقها هذا في مدة لا تتجاوز عشر سنوات.

د - تتألف البعثة التي ذكرناها اعلاه من عضو بريطاني وعضو فرنسي ويضاف اليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين هذا إن رأت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية لزوماً لذلك.

هـ - اذا اقتضى الامر لاسباب فنية ان يمر خط السكة الحديدية — البريطانية ببعض الاماكن المشمولة بالانتداب الفرنسي توافق الحكومة الفرنسية على مرور هذا الخط بتلك المناطق وتقدم للحكومة البريطانية او لعمالها المساعدات اللازمة.

و - اذا شاءت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة اي ان تمد سكة حديدية في وادي اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسية الشروط التي اشترطتها على نفسها بالفقرة الاولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة اشهر من انشاء السكة.

ز - توافق الحكومة الفرنسية على اتخاذ التدابير الفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسي لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية.

٦ - تم الاتفاق على هذه الشروط التي تسهل اعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسية البريطانية بخصوص الزيت في سان ريمو.

٧ - لا تضع الحكومة البريطانية ولا الحكومة الفرنسية موانع في منطقتي انتدابهما لجمع الموظفين اللازمين لادارة خط السكة الحجازية او لاستخدامهم.

تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع الموظفين المستخدمين في الخط الحديدي الحجازي بمنطقتي الانتداب البريطاني والفرنسي لثلا تتأخر اعمال هذا الخط.

توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسية عند اللزوم على أن تعقدا اتفاقية مع الحكومات المحلية خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عندما تمر باحدى مناطق الانتداب.

٨ - يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب مرور ستة أشهر من أمضاء هذه المعاهدة مهمتهم فحص مياه نهر الاردن الاعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامهما لاجل الري ولاجل توليد الكهرباء وتعيين المقدار اللازم للأراضي والواقعة تحت الانتداب الفرنسي.

تزود الحكومة الفرنسية الاخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة.

إذا لم يحصل الاتفاق المطلوب بنهاية هذا الدرس تعرض المسألة على الحكومتين البريطانية والفرنسية لتدرسها وتقررا فيها قراراً نهائياً.

تشترك ادارة فلسطين بقادر انتفاعها من هذه الاعمال في دفع نفقات بناء الترع والخلجان والسدود والخزانات والاحواض والاقبية وخطوط الانابيب الحديدية الخ... وتشترك في جميع الاعمال التي من شأنها انبات الحراج وتنشيط تربيتها.

٩ - توافق الحكومتان البريطانية والفرنسية عملاً بنص المادة «١٥» والمادة «١٦» من نظام الانتداب الفلسطيني وعملاً بنص المادة الثامنة والمادة العاشرة من نظام الانتداب العراقي وعملاً بنص المادة الثامنة من نظام الانتداب اللبناني السوري وعملاً ايضاً بموجب الحق العام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التي تخص اناساً من التبعة الفرنسية او من التبعة البريطانية على المشاورة في ادارة هذه المدارس في منطقتي انتدابهما، ويسمح بتعليم اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية في هذه المدارس.

لا تعني هذه المادة بحال من الاحوال منح رعايا احدى الدولتين المشار اليهما حق فتح مدارس جديدة في الوقت الحاضر في منطقة انتداب الدولة الاخرى.

لقد جعلت الدولة الفرنسية من هذه الولاية الصغيرة «سورية» على عهد العثمانيين والتي كانت تترامى اطرافها كما ذكرنا دول القت عليها الاسماء الضخمة والالقب الفخمة والملاكات الواسعة فجعلت منها دولة لبنان الكبير

«جمهورية لبنان اليوم» من بعد ان ألحقت فيها اقصية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا فتألفت هذه الدولة من لبنان القديم ولواء بيروت الذي هو عبارة عن اقصية صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس الشام مع قضاء عكار والاقضية الشرقية وهي بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع وجعلوا العاصمة بيروت وقد أعلن الجنرال غورو بقصر الحرش استقلال لبنان الكبير تحت حماية فرنسا في اول ايلول ١٩٢٠ فاحتجت الحكومة السورية حينئذ على سلخ الاقصية الاربعة والحاقها بلبنان من غير مسوغ شرعي.

ودولة حلب: بقرار اعلنه الجنرال غورو في ٨ ايلول سنة ١٩٢٠ وجعل منها دولة مستقلة بهذا الاسم رغم ضآلة حدودها وقلة موازنتها.

ودولة العلويين: التي اصدر المفوض السامي قرارا بتأليفها في ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ من لواء اللاذقية القديم بما فيه اقصية صهيون وجبلية وبانياس وقضاء حصن الاكراد وصافيتا من لواء طرابلس الشام القديم وناحية طرطوس وقضاء مصياف من اعمال حماه.

ودولة دمشق: التي اصدر نفس المفوض في ٢ كانون الاول سنة ١٩٢٠ قراره بجعلها دولة مستقلة وبإبدال الوزارات بمديريات عامة وجعل حاكم لهذه الدولة بدلا من رئيس وزراء ففقدت ما تمتاز به هذه المدينة من المميزات الطبيعية واصبحت كغيرها من العواصم التي احدثت والتي هي اقل شأنًا منها بكثير.

ودولة جبل الدروز: التي اعلنت السلطة الفرنسية بتاريخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٢١ بلسان الجنرال غورو انشاء الحكومة الجديدة فيها تحت امرة الامير سليم الاطرش وذلك بعد مفاوضات جرت فيما بينها وبين الشعب الدرزي

العربي على اثر المؤتمر الذي عقده الدرزيون في السويداء في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٢٠ فقرروا فيه ما يلي وقدموا هذه المقررات الى السلطة لتنفيذها:

١ - حكومة جبل الدروز هي حكومة سورية مستقلة استقلالاً داخلياً.

٢ - تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسي بشكل لا يمس استقلالها.

٣ - تسمى هذه الحكومة «مشيخة جبل حوران» ويدخل ضمنها كامل وعرتي اللجه والصفة وتمتد الى حدود الدير علي من الجهة الشمالية والى حدود الازرق من الجهة الجنوبية.

٤ - يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي، ينتخبه الاهالي، وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير ينتخب اعضاؤه وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ايضا.

٥ - يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي يقل اعضاؤه عن الثلاثين عضوا.

٦ - تحديد وتعيين صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه اهل البلاد بجمعية عمومية.

٧ - تستمد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة.

٨ - لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية، ولا تجنيد أهالي جبل حوران ولا نزع الاسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسية.

٩ - يعهد بأمور الجبل السياسية الخارجية لمأموري الحكومة المنتدبة

السياسيين ولا يكون للحكومة الوطنية مأمورون سياسيون الا في دمشق وفلسطين وجبل لبنان.

١٠ - واردات هذه الحكومة تكون اولا مما يصيبها من حصة الجمارك السورية الفلسطينية. وثانيا مما يصيبها من واردات ممالخ اترى وكاف وثالثا من دخل املاك الدولة التي ستدخل ضمن حدود حكومة الجبل ورابعا مما يطرحه المجلس الملى من الاموال عند الاحتياج المبرم على انه لا يحق لهذا المجلس أن يقرر استيفاء ضريبة الاعشار من حاصلات الاراضي انما الاموال التي يجوز له ان يقرر استيفاءها من الاراضي يجب ان تكون مقطوعة ومصدقا عليها من عموم اهل البلاد بجمعية عامة.

١١ - اذا خالف رئيس الجبل منافع الجبل العامة ومنافعه الحيوية وأخل بالقوانين الاساسية الموضوعة وقرر المجلس تنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك فحينئذ ينحى وينتخب خلافة.

١٢ - ينصب مشايخ العقل مدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة التدخل بوظائفهم الدينية.

واليك نص الاتفاق الذي جرى فيما بين الشعب الدرزي العربي والسلطة يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١:

١ - تنشأ في جبل الدروز وحوران حكومة وطنية مستقلة استقلالاً ادارياً واسعاً تحت الانتداب الفرنسي وتعين حدود هذه الحكومة لجنة ثم تقرها الدولة المنتدبة.

٢ - تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من ابناء البلاد ويكون طراز ادارتها منطبقاً على العوائد المحلية وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسيين يقيمون عند الحكومة الوطنية لتدريبها على الامور القانونية والادارية ويرجعون الى رئيس البعثة بدمشق. اما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن ريثما يتفق عليه مع المنسوب السامي.

٣ - يرأس هذه الحكومة حاكم اهلي ينتخب بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة اربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيا بعد ولا يصح انتخابه نهائياً الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة.

٤ - يساعد الحاكم في مهامه مجلسان يدعى الاول مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلوا الامة الشرعيون وفقاً لقانون خاص يوضع فيما بعد ويلتزم هذا المجلس مرة في السنة لتدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على الحسابات الماضية ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة كالاشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف الخ... اما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصورة دائمة وتكون مؤلفة من موظفين يعينهم الحاكم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة.

٥ - ينظم قانون خاص تعين به وظائف وصلاحيته وصلاحيات مجلس الحكومة واللجنة الادارية وكيفية تأليفهما ويعهد بتنظيم هذا القانون الى لجنة خاصة ولا يصبح نافذا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه.

٦ - ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدة الفنية والمالية والاقتصادية والعسكرية التي قد تحتاج اليها.

٧ - تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمة

العسكرية الاجبارية، اما قوات الدولة والشرطة اللازمة لحفظ النظام العمومي فيصير تشكيلها بطريقة التطوع ويسمح لسكان الجبل بابقاء الاسلحة بين ايديهم داخل حدود الحكومة الدرزية. أما في خارج هذه الحدود فيجب على السكان المذكورين الخضوع للاحكام الموضوعة بخصوص حمل السلاح.

٨ - ان الحكومة المنتدبة هي موجلة وحدها في مصالح الحكومة الدرزية وتمثيلها في الخارج اما في داخل المنطقة الفرنسية فتقبل الحكومة المنتدبة معتمدين لحكومة الجبل لاجل المصالح الاقتصادية.

٩ - تتعهد الحكومة المنتدبة بعدم اجبار حكومة جبل الدروز على الدخول في الوحدة المحتمل حصولها فيما بعد بين الاقليم السوري الا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية وسائر مقاطعات الاقليم السوري.

١٠ - مصادر الايراد لميزانية جبل الدروز هي الآتية:

١ - الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها مجلس الحكومة.

٢ - الرسوم التي تفرض على المناجم المعدنية المحتمل اكتشافها في اراضي هذه الحكومة.

٣ - واردات اقسام الاراضي السنية العائدة للحكومة العثمانية والمحملة ادخالها ضمن منطقة جبل الدروز الجديدة ولا يصير دفع أعشار في هذه الحكومة.

١١ - لا تصبح ميزانية جبل الدروز نافذة الا بعد مصادقة المندوب السامي للجمهورية الفرنسية في الاقليم السوري عليها.

١٢ - لا تقام حواجز جمركية بين حكومة الجبل وحكومة مقاطعة دمشق
انما يحق لحكومة جبل الدروز ان تأخذ حصتها من واردات الجمارك السورية
فيما لو ترتبت حصص لباقي مقاطعات الاقليم السوري.

١٣ - يمكن لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة في الاحوال
المذكورة في القانون الخاص المتعلق بصلاحيات الحاكم ووظائفه اقالة الحاكم وتتخذ
الحكومة المنتدبة قرارا بهذا الشأن بعد استشارة رؤساء الدين.

١٤ - ان الحكومة المنتدبة ومجلس حكومة الجبل واللجنة الادارية لا
تتدخل على الاطلاق في الامور الدينية ولا يجوز للسلطة المدنية عزل او تنحية
رجال الدين.

١٥ - تتعهد الحكومة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بالمحافظة على حقوق
الاقليات داخل حكومة الجبل هذه.

«فضل الله هنيدي. نسيب الاطرش. سليم الاطرش. توفيق أو عساف.
عقلة القطامي. قفطان عزام. فخر الدين الشعراني. مسعود غانم. جبر شلغين.
نايف أبو فخر، ضمري شلفين. دخل الله ابو فخر نسيب الحسيني. حسين ابو
فخر.

بالأصالة والنيابة عن المشايخ الروحانيين اقر واعترف بذلك.

محمود ابو فخر - الرئيس الروحي

مصدق: روبردي كيه

المفوض السامي في سورية وكليكيّا بتاريخ ٤ مارس سنة ١٩٢١.

لواء اسكندرون :

أما لواء الاسكندرون الذي ظل حتى صيف ١٩٢٤ جزءاً من دولة حلب فقد أصدر المفوض السامي قراراً حوله قال فيه:

«يتمتع لواء اسكندرون مع بقاءه تابعا للدولة السورية بنظام اداري ومالي خاص وتعتبر اللغة التركية لغة رسمية كالعربية والفرنسية ويعين متصرف لواء اسكندرون من قبل رئيس الدولة السورية بناء على اقتراح مندوب المفوض ويكون له كل السلطة المخولة لمصرفي الالوية وله علاوة على ذلك النظر في شؤون المعارف والاشغال العامة».

على ان الانتخابات التي جرت على قاعدة اللواء في عهد المسيو دي جوفنيل كما سيأتي تفصيله جعلت هذا اللواء منفصلاً بصورة ادارية عن سورية ومربوط بالمفوضية العليا رأساً مع توسيع سلطة مندوب المفوض السامي فيه ثم انهم ما غنموا ان عادوا عن ذلك بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٩٢٦ فقرروا الغاء استقلاله وادخلوه على قاعدة اللامركزية للبلاد السورية على ان يكون التعيين راجعاً الى المرجع المختص على شريطة التفاهم مع المفوض السامي.

ويتألف هذا اللواء من مدن اسكندرون واناكية وبيلان وقرقخان وهو متاخم لتركيا.

وفي الرابع عشر من شهر مايس سنة ١٩٢٠ اذاع المفوض السامي مجموعة الدساتير التي وضعها للدولة السورية كجمهورية دمشق وجمهورية لبنان وحكومة جبل الدروز وحكومة العلويين ولواء الاسكندرون وبعث بها الى جامعة الامم عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية فأقرتها.

ان هذه التجزئة المبررة التي اقدم الفرنسيون عليها قد قوبلت من عرب سورية بأشد الاستياء والاستنكار وقد ادرك الشعب أن المستعمر ما أقدم على ذلك الا لترسيخ اقدامه في هذه البلاد ولإنهاك قواها بالموزونات الفضفاضة وبالاثواب الحكومية الواسعة التي القاها على اجسام هذه الدول النحيلة الهزيلة لكي يرهق كاهلها بما لا تطيق.

أدرك الجنرال غورو عقم وفساد ما صنع فشاء ان يتلافى ما فعل بتعديل مشروع التجزئة تعديلا بسيطا ظناً منه أنه يسترضي الشعب به نوعاً ما فأصدر بتاريخ ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٢ قرارا بإنشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب والعلوين مواده ما يأتي:

١ - انه قد انشيء اتحاد بين الدول السورية المؤلفة من دولة حلب. ودولة دمشق وارضى العلوين المستقلة.

٢ - ان من اراد الانضمام الى هذا الاتحاد من الدول او الاراضي الاخرى الواقعة تحت الانتداب الفرنسي يجب عليه قبول الشروط المدرجة في هذا القرار ثم يتخذ رئيس الاتحاد قراراً يصادق به على هذا الانضمام. ويحدد عدد الممثلين الذين تنتدبهم عنها لدى مجلس الاتحاد الدولي التي قبل انضمامها.

٣ - ان الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسي داخلة كانت في الاتحاد ام لم تكن يكون لها عين النظام فيما يتعلق بالنقود والمعاملات الجمركية ولا يمكن ان يفصل بينها بأدنى حاجز جمركي.

٤ - ان السلطة التنفيذية تخول لرئيس الاتحاد الذي يمكنه تكليف حكام

الدول بالنيابة عنه تنفيذ قرارات المجلس الاتحادي وان هذا الرئيس ينتخب من جانب المجلس بالاكثرية المطلقة ويكون انتخابه لسنة كاملة.

٥ - يساعد رئيس الاتحاد في مهام وظيفته مديرون من الدول المتحدة ومجلس الاتحاد وهذه المديرية المشتركة بين الدول تكون بصورة مؤقتة كما يأتي: مدير المالية ومدير الاشغال العامة ومدير العدلية ويرشد هؤلاء المديرين مستشارون افرنسيون.

٦ - ان قرارات رئيس الاتحاد لا تنفذ الا بعد مصادقة المفوض السامي عليها.

٧ - يؤلف المجلس الاتحادي من خمس ممثلين لدولة دمشق وخمسة لدولة حلب وخمسة لبلاد العلويين وينتخب هؤلاء الممثلون لمدة سنة من قبل مجالس الحكومات حينما تؤلف على الطريقة الانتخابية على انه لا يجب ضرورة أن يكون اعضاء المجلس الاتحادي من اعضاء مجلس الحكومة الذين ينوبون عنها بل يجري تعيينه مؤقتاً من قبل حكام الدول.

٨ - يلتئم المجلس الاتحادي بالمناوبة تارة في دمشق وتارة في حلب في كل منهما سنة واحدة وتؤلف دائرة تمثل فيها كل بعثة مؤلفة من رئيس أول ورئيسين ثانيين».

وفي ٢٨ من الشهر المذكور من العام الملمع اليه اجتمع اعضاء المجلس الاتحادي في حلب وكان من جملة الحضور الجنرال غورو الذي أعلن انشاء هذا الاتحاد رسمياً وقال في مستهل خطابه ما معناه: «انا اعلن ان هذا الاتحاد لم يقابله

الاهالي في كل مكان بعواطف واحدة غير انه من المحتمل ان لا يكون القرار الذي اوجده قد اعرب على وجه الصحة او نقل بالضبط، لذلك أراني مضطراً لأن اتلوه بنفسى عليكم». وبالفعل فقد تلاه وهنا لا نرى بدأً واتماماً للفائدة من ان تأتي على ذكر الانتداب وصكه وكيف كان اقراره على هذه البلاد.

اقر مجلس عصبة الامم في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٢ صك الانتداب على سورية الذي وضعته الحكومة الفرنسية لسورية ولبنان بناء على قرار مجلس الحلفاء الاعلى الصادر في سان ريمو بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٢٠ بانتداب فرنسا على سورية ولبنان وها هو نص الصك:

«مجلس جمعية الأمم:

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على ان أراضي سورية ولبنان التي كانت فيما مضى جزءاً من السلطنة العثمانية يعهد بها ضمن حدود تعيينها الدول المشار اليها الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الاهالي ومعاونتهم وارشادهم في ادارتهم وفقاً لنص الفقرة الرابعة من المادة «٢٢» من عهد جمعية الأمم.

ولما كانت دول الحلفاء الرئيسية قد قررت ان الانتداب على البلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنسية التي قبلته.

ولما كان صك هذا الانتداب المبين في المواد المذكورة فيما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الأمم.

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد باجراء هذا الانتداب باسم جمعية الأمم طبقاً للمواد المذكورة.

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفه الذكر «الفقرة الثانية» تقضي بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والادارة التي تجربها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقا بين اعضاء جمعية الأمم فالجلس هو الذي ينظم ذلك.

يضع نصوص الانتداب كما يلي موافقاً عليه:

١ - تضع الحكومة المنتدبة في برهة ثلاث سنوات اعتباراً من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستوراً نظامياً لسورية ولبنان.

يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنين في هذه البلاد ومصالحهم وستشرع الحكومة المنتدبة في ايجاد الوسائل التي من شأنها ان تسهل تقدم سورية ولبنان وريقيهما كحكومتين مستقلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى ان يتم الشروع في تنفيذ ذاك الدستور.

ويجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي قدر ما تسمح به الاحوال.

٢ - يمكن للحكومة المنتدبة ان تبقي جنودها في البلاد للدفاع عنها وقد خولت حق تنظيم جند من المليش المحلي قصد المحافظة على الامن والدفاع عن البلاد كما تقتضيه الاحوال وذلك حتى تنفيذ الدستور واعادة الامن الى نصابه وتنظيم جنود المليش المحلي من سكان البلاد فقط.

ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارات المحلية تحت اشراف الدولة المنتدبة

ولا يجوز استخدامها لأغراض أخرى سوى الأغراض المعينة فيما تقدم إلا بعد موافقة الدولة المنتدبة.

لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك في نفقات القوات التي تضعها الدولة الممتدبة في البلاد.

يحق للدولة المنتدبة في كل حين أن تستعمل الموانيء والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة في سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها.

٣ - يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البراءات الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الاجنبية، وتشتمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين واللبنانيين الذين يعيشون خارج هذه البلاد.

٤ - الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن أي جزء من اجراء سورية ولبنان وعن عدم تأجيرها أو وضعه تحت تسلط دولة اجنبية.

٥ - ان اعفاء الاجانب من الامور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الاجنبية وبقضاء القنصلاتو وحمايته التي كانوا يتمتعون بها ايام الدولة العثمانية لا تطبق في سورية ولبنان، غير ان محاكم القنصلاتو الاجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى ان يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمادة السادسة.

ان الدول التي كان اتباعها يتمتعون بالامتيازات الاجنبية المينة اعلاه لاول اغسطس سنة ١٩١٤ والتي لم تنازل عن هذه الامتيازات او توافق على

عدم تطبيقها، لأجل محدود ستمنح ثانية جميع الامتيازات او بعضها بعد انقضاء امد الانتداب بالصورة التي يتم عليها الاتفاق بين الدول ذات الشأن.

٦ - تضع الحكومة المنتدبة في سورية ولبنان نظاماً يضمن حقوق الوطنيين والاجانب على السواء.

يحافظ على احوال الناس الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصاً ادارة الاوقاف التي تدار وفقاً للشرعية ولادارة الوقف.

٧ - تكون معاهدات تسليم الرعايا الاجانب بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الاجنبية مرعية في سورية ولبنان الى ان يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشأن.

٨ - تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية المصير وحرية القيام في جميع شعائر العبادة التي لا تخل بالامن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من أي نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس او الدين او اللغة.

تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقاً لقانون التعليم العام الذي تعينه الحكومة.

٩ - تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل في أعمال المجالس الادارية وفي ادارة الطوائف الدينية وفي ادارة المعابد المقدسة التي تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد.

١٠ - تحدد سلطة الدولة المنتدبة في مراقبة البعثات الدينية في سورية

ولبنان لاجل محافظتهم على الامن وعلى الحكم بطريقة مرضية، ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعي هذه البعثات بصورة من الصور ولا تقيد اعضائها بقيود بسبب قوميتهم ما لم تخرج اعمالهم عن اصول الدين.

يمكن لهذه البعثات الدينية ان تشتغل بأمور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة او الحكومة المحلية.

١١ - يجب على الحكومة المنتدبة ان لا تميز بالمعاملة في سورية ولبنان بين اتباعها وبين اتباع غيرها من الدول الداخلة في عضوية جمعية الأمم وتشمل هذه المعاملة للجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها، وان لا تميز ايضا بين اتباع اي دولة اجنبية وبين اتباعها في الامور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن او في معاملة السفن البحرية او الوسائط الهوائية وكذلك الامر يجب ان لا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها او محط رجالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور والتجارة عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة.

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر اعلاه ان تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية او توغر للحكومات المحلية ان تفرضها، ويمكن للدولة المنتدبة او الدولة المحلية التابعة لمشورتها ان تعقد لاسباب جوارية اتفاقاً جمرکياً خاصاً مع البلاد المتاخمة لها.

ويمكن للحكومة المنتدبة عملاً بشروط البند الاول من هذه المادة ان تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان.

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز في تابعة الاشخاص الداخلة دولهم في عداد اعضاء جمعية الامم بشرط ان لا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام. لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في ايجاد الاحتكارات المالية التي من شأنها ان ترقى مصالح سورية ولبنان وتحفظ موارد هما المالية والمحلية، ويمكن للحكومة ان تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة او بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط ان لا يوجد هذا العمل لاعتماداً ولا بالواسطة احتكاراً خاصاً بالدولة المنتدبة او برعاياها، او يمنحها ميزة من الامور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تقرر فيها المساواة بين الجميع.

المادة ١٢ - تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن او ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الامم بخصوص الاتجار بالرقيق، والعقاقير وبالسلاح، والمعدات الحربية، وبالمساواة التجارية، وحرية العبور، والملاحة والطيران، والمواصلات البريكية والبرقية واللاسلكية، وباخذ الوسائل اللازمة لحماية المصانع والآداب والفنون.

المادة ١٣ - تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان في الامور ذات الفوائد العامة التي تقرها جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها وفي جملتها امراض الحيوان والنبات.

المادة ١٤ - تتضمن هذه المادة بحثاً طويلاً في قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين.

المادة ١٥ - عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الاولى

يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومتان المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي انفقها الحكومة المنتدبة لاجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي افادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الامم.

المادة ١٦ - تكون اللغة الفرنسية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان.

المادة ١٧ - تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريراً سنوياً حسب طلبه تبين فيه التدابير التي اتخذتها اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التي تسن سنوياً.

المادة ١٨ - يجب أن يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل في شروط هذا الصك.

المادة ١٩ - يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التي منحها ادارة سورية ولبنان ايام الانتداب.

المادة ٢٠ - توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلية في عضوية جمعية الامم بخصوص تفسير شرط في صك الانتداب او تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم، هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات.

لا بد لهذه الدول التي انشئت من مجالس تمثلها امام دولها لهذا اصدر المفوض السامي في اغسطس سنة ١٩٢٣ قراراً بإنشاء مجلس تمثيلي لدولة دمشق قوامه ٣٠ عضواً على أن تكون صلاحيته محدودة للنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة وعلى أن يكون له الحق في تعيين ممثلي الدولة في مجلس الاتحاد وعلى أن يكون له ايضاً حق طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات.

كما انه قد اصدر المفوض ايضاً قرارات بإنشاء مجلس مثله لدولة حلب وآخر شبهه لدولة العلويين.

اما في لبنان وجبل الدروز فقد انشيء في كل منهما من نظير هذا المجلس مجلساً من قبل.

فدمشق التي ما أخذت لضيم ما رفعت عقيرتها بالشكوى والاحتجاج على انشاء مجلس كهذا ضيق الصلاحية محصور الاختصاص لا يمثل الشعب بشيء وقاطعت انتخاباته ولم تعترف على القرار الذي صدر بشأنه واضربت المدن عشرة أيام احتجاجاً على هذا الانشاء والتأسيس وان كان كل ما قام به الاقليم السوري من الواجب لم يزحزح السلطة شعرة عما صممت على عمله. فهي قد اتمت الانتخابات واخرجت النواب الذين انتخبهم والذين قاطعهم الشعب ولم يتعرف اليهم والذين كانوا يمثلون انفسهم فحسب والذين لولا ان تحرسهم الحكومة برجالها ما كانوا احياء بالغين مجلس الاتحاد.

واتحاد كهذا تحميه الحراب، وتحرسه البنادق ورجال الانتداب من الطبيعي ان لا يعيش طويلاً وان يلغى سريعاً لأن ما لا يرضى الشعب عنه لا يمكن ان يكتب له البقاء وان كتب فالى زمان معلوم ووقت محدود.

وتابع الشعب السوري العربي احتجاجه فلم يفتّر ولم يهدأ ولم يسكن مما دفع بالجنرال ويغاند «خلف الجنرال غورو» لأن يصدر في الخامس من كانون الاول عام ١٩٢٤ قراراً بإلغاء الاتحاد وابداله بوحدة تجمع بين دولة دمشق ودولة حلب عدا حكومة العلويين ونص القرار ما يلي:

١ - تتحد دولتا حلب ودمشق اعتباراً من اول يناير سنة ١٩٢٥ وتؤلفان دولة واحدة تسمى - الدولة السورية - .

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على ان يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة.

يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى «رئيس دولة سورية» ويختبه المجلس التمثيلي بأكثرية الآراء المطلقة وان كان من اعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه. ويتحتم استبداله بغيره.

٣ - يتولى رئيس دولة سورية القيام بوظائف رئيس الاتحاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقاً للقرارات المعمول بها.

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقاً لاحكام القوانين والانظمة التي يتعين بها دستور هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار للتمييز بين كبار الموظفين وغيرهم لتعيين سلسلة مراتبهم.

٤ - يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به امر نصيهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق احكام القوانين والانظمة ويسمون الموظفين الذين

لا يعود امر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليه المادة الثالثة من هذا القرار ولا الى المتصرف او الوالي وفقاً لاحكام القوانين المعمول بها.

٥ - الوزارات خمس - وزارة الداخلية: وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام.

وزارة العدلية:-

وزارة المالية: وبها تربط مديرية المصالح العقارية ومديرية اراضي الدولة.

وزارة المعارف العامة:-

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي: وبها تربط مديرية البرق والبريد.

٦ - تبقى على حالها ادارة الالوية والاقضية والنواحي والبلديات ويسمى لواء حلب «ولاية حلب» ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقاً للقوانين والانظمة المعمول بها.

٧ - ان وظائف مجلس كل من دولتي حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادي يقوم بها في الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم «المجلس التمثيلي لدولة سورية».

والقواعد التي اتبعت في انتخاب أعضاء المجالس التمثيلية لدولتي حلب ودمشق هي القانون المرعي في انتخاب أعضاء المجلس التمثيلي لدولة سورية ما لم يصدر قانون انتخاب جديد.

٨ - تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين الاتحادية المحددة ووظائف هذه المحاكم وكيفية تأليفها وسير اعمالها.

٩ - ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى ادارته جارية وفقاً للاحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ في ٨ اغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية ووظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بإدارة هذا اللواء.

١٠ - تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي:

تجمع الواردات التي تجبى في اراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة «مباشرة» وضرائب بالواسطة «غير مباشرة» ورسوم وكل دخل من أي نوع كان مما اجيزت جبايته وفقاً للأصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الأموال التابعة للتوزيع.

وتجمع أيضاً:

١ - النفقات التي تصيب الولاية من اعباء الادارة المركزية للدولة.

٢ - كل النفقات التي تستوجبها رسمياً مصالح الدولة الكائنة في اراضي الولاية.

٣ - النفقات المتأتية عن القيام في اراضي الولاية بأشغال عامة او ذات نفع محلي او النفقات التي تستلزمها اعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والإقتصادية او الإجتماعية مما له فائدة محلية.

٤ - ما يصيب الولاية من النفقات التي يستوجبها القيام بأشغال عامة ذات نفع عام أو بأعمال الإصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية أو الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائد من المداخل لأشغال عامة ذات فائدة محلية أو لأعمال لها ذات الفائدة من شأنها تحسين الزراعة والاقتصاد والاحوال الاجتماعية.

١١ - يمثل المفوض السامي لدى الدولة السورية مندوب يساعده مندوبون معاونون.

١٢ - ان سلطة المفوض السامي ومثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليم المعمول بها وان المقررات التشريعية والتنظيمية التي يصدرها رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي. وكل تعيين يجريه رئيس الدولة ينبغي تصديقه من المفوض السامي.

وينبغي ان يقرر المفوض السامي انتخاب رأس الدولة وله ان يعلن زوال سلطته لاسباب تتعلق بالمصلحة العامة.

١٣ - ينبغي ان تصدق اعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامي او متى خول المفوض السامي مندوبه حق التصديق.

وكل تعيين للوظائف التي يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامي.

وفي الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصدق مقررات الحكومة المحلية من قبله.

١٤ - يتألف اول مجلس تمثيلي للدولة السورية من اجتماع اعضاء المجلس التمثيلي لدولتي حلب ودمشق.

١٥ - رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالي لاتحاد دول سورية الذي انتخبه مجلس الاتحاد في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وسينتهي عهده قانوناً في ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٧.

١٦ - تقوم الدولة السورية مقام دولتي حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام الاتحاد دول سورية بقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذاك الاتحاد.

ما كانت لتتطلي حيل الفرنسيين على الشعب العربي السوري وما كانت هذه القطرة من الماء لتزوي ظمأه من بعد ان اصبح على عطش ممت للحرية فأدرك ان هذه الاسرية التي تلوح بها السلطة من حين الى حين من ضم بلد الى بلد واسترضائه بمعسول الكلم من وقت الى وقت ما كانت لتسقع منه الغلة او لتشفى العلة وأنها بالحقيقة كانت كلا شيء بالنسبة الى ما تتمتع به من قبل كما رأينا من أيام ذاق فيها طعم السعادة طلباً ورتع في مجبوحة من العيش السياسي المشرف السامي عقيب نصر الحلفاء وأيام العهد الاستقلالي الذهبي.

وبحق نقول أن الفرنسيين قد سلكوا كل سبيل لخدمة امتهم على زعمهم فأتوا الى هذه البلاد بالضربة القاضية القاسية، ضربة التقسيم ثم أخذوا يرتدون عنها فيلهون الشعب العربي السوري كلما رأوا منه حركة نشاط أو هزة عنف بضم جزء الى جزء ليروا مفعول هذا المخدر البسيط فيه وليقدروا مبلغ تأثيره عليه حتى اذا ما شعروا انه كان كافياً لاخلاده للسكينة وقفوا عند هذا الحد فلا يبلغوه امانيه كلها.

على أن الشعب السوري العربي الذكي قد ادرك ذلك منهم فلم يقنع بما
فعله الجنرال ويغاند وظلت مراحل الفتن تضطرم على هدوء وسكون الى ان تجدد
المنقذ الذي تنفجر منه فتدل على ما كان يزكيها من بواعث واسباب.



محمد العابد رئيس الجمهورية السورية في عهد التقسيم الفرنسي

شعلة الثورة

عودة الى عام ١٩٢٠ الى صباح الواحد والعشرين من اغسطس ترينا أن الشعب العربي السوري لا يؤخذ بالاشراك والحبائل مهما أحكم امرها ومهما دبر اقرارها بليل. ففي هذا اليوم المشهود غادر وفد من دمشق يؤم حوران لا لكي يحمل اليه الحرية والحياة والاستقلال بل ليحمل له الرضوخ والذل ويحسن امامه العبودية والاضطهاد ولكي يوقعه في الغل والاسر والقيد واخيراً لكي يجبي منه الغرامة التي فرضتها عليه السلطة الفرنسية عقيب فاجعة ميسلون. ورجال هذا الوفد هم: علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة اذ ذاك وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى في ذاك العهد وعطا الايوبي وزير الداخلية في تلك الدولة والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا. وما ان وصل هذا الوفد محطة خربة الغزالة التي تبعد خمسة وعشرين كيلو متراً عن درعا حتى داهم القطار الذي يقله رجال حسبهم اعضاء الوفد انهم اتوا لاستقباله لما كانوا يسمعون من اهازيجهم وصياحهم ولكن سرعان ما ذعروا واسقط في ايديهم عندما رأوا هذا الجمع الحاشد قد انقلب عليهم وأخذ يتحراهم ليوقع فيهم، فكان موقف عصيب رهيب لاقى فيه هذا الوفد ما لم يخطر له في بال واضطرب اي اضطراب ، وأخذ كل منهم يفتش عن مخبأ يفر اليه من موت اكيد فاهتدى الجمع الى الدروبي وكان مندساً في قاطرة الدرجة الثالثة فقتلوه وانهزم عبد الرحمن اليوسف الى دار الحطة فلاحق به الرجال، وهناك ذبحوه بعد أن اطلقوا الرصاص عليه وقد نهبوا جميع ما في القطار وقد لاذ باقي الوفد بالفرار.

على أثر ذلك جهزت السلطة حملات على اهالي حوران انتقمت بها منهم انتقاماً فظيماً اذ اعملت فيهم النار والدمار فلم يستطيعوا ان يقفوا في وجه الحديد والرصاص رغم ما انضم اليهم من قبائل بني نعيم والفضل والسلوط وغيرهم، وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٩٢٠ اشترط الفرنسيون الغرامات الباهظة التي كان قدرها آلاف من الليرات العثمانية الذهبية لقاء ما كان من اهالي حوران يوم ٢١ اغسطس على ان الطائرات الفرنسية قد فتكت في قرى حوران فتكاً ذريعاً فلم تبقى فيها حجر، واحرق الجيش البيادر والبيوت بعد نهبا، فأرسلت لجنة الاتحاد السوري في مصر بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابية ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها والى كبريات الصحف في العالم ومشاهيرها الاحتجاج الآتي:

ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسية الصادرة بتاريخ ٣٢ اغستوس وأول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسي تدميراً منظماً لمقاطعة حوران الزراعية التي هي اهراء سورية. الطائرات تخرب القرى بأكملها قاتلة للنساء والأولاد بلا رحمة. نحن نستصرخ الامم المتمدنة ومنها الامة الفرنسية ضد هذه الاعمال الوحشية التي يعجز عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال».

وفي العشرين من أيلول سنة ١٩٢٢ اعدمت السلطة كلا من السادة عوض صلاح الدين المصري وحسين الحاج ويوسف عيسى وزعل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم حادث خربة الغزالة.

هذا ما كان في حوران وأما ما جرى في شمالي الاقليم السوري فإن الزعيم

الكبير المغفور له ابراهيم هنانو قام بالواجب المقدس فألف العصابات وجاهر بمقارعة الفرنسيين ومقاتلتهم وأعلن العصيان عليهم وأخذ يضرع نار الثورة في جهات حلب وضواحيها فانتشرت وتفشت في انطاكية وحارم والعمق وادلب والمرة وجسر الشغور، وقد ساعده في عمله الشريف وجهاده الاقدس بعض من ضباط العثمانيين فانهزم الفرنسيون في معارك شتى واستطاع هذا الزعيم الباسل ان يتصل بالمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي الذي طالما اصطدم مع الفرنسيين في منطقة اللاذقية فصددهم وهزمهم شر هزيمة وحتى انه استولى على معظم القرى والساكنة هناك فهدد نفس اللاذقية فأوجس الفرنسيون منه خيفة، وابتاتوا يحذرون هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في اللاذقية وسرّوا عديد انهزاماتهم بالكتمان فلم يطلعوا ابناء البلاد عليها فجهزت السلطة الفرنسية قوات كبيرة للملاحقة العصابات ومطارداتها، واصدر الجنرال غورو بلاغاً بالفرنسية في ٢ ايلول سنة ١٩٢١ بالنص التالي:

«منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنة ١٩٢١ كان عدد كبير من الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عدداً شديداً المراس من العصابات مسلحاً في اراضي جبلية وينازله في معارك كبيرة تنتهي بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الامور الادارية وطاردت الجيوش بين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتى ابراهيم هنانو والشيخ صالح العلي وكانتا متحالفتين ولم تدع لها وقتاً للراحة ففترقت العصابتان منسحبتين نحو الشرق، وقد أفضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشاء مراكز ثابتة في كفر تخاريم ودر كوش وجسر الشغور ومرة النعمان ومن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة بعدما وضعت الحواجز من البحر الى نهر العاصي وطافت بلاد العلويين

من الشمال الى الجنوب واشتبكت في معارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٩ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلي وقد تخلى عنه معظم أعوانه».

وأصدر نفس الجنرال بلاغاً آخر نصه ما يلي:

«في ١٢ مايو خرجت حملة من اللاذقية بقيادة الكولونيل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات وفي يوم ١٣ منه زحفت حملة اخرى من محردة «محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه» بقيادة الكولونيل دوم وسارت في الوقت نفسه حملة ثالثة من الحمدانية «محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب» بقيادة الكولونيل فيك ومشى الجنرال غورو قائد اللواء الثالث من حلب على رأس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه ودخلت قوة الكولونيل فيك في اليوم التالي الى حبيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة اخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها ودارت معركة عنيفة في جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة وقد ارتدت العصابات امام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين الف مقاتل فغادر ابراهيم هنانو مقره في جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جندياً وضابطاً قاصداً عمان فلاقاه الفرنسيون شرقي سلمية يؤيدهم اسماعيليون ودارت معركة بينه وبينهم انتهت بأسر اربعة من ضباطه اما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٣١ منه».

يتم الزعيم هنانو وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس فاعتقلته السلطة البريطانية هناك فاهتاج العرب وماجوا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني واحتج

رجالات العرب هناك وطلبوا اطلاق سراحه فما افادت هذه الصيحات ولا أثرت تلك الاحتجاجات وأرسل الزعيم مخفورا الى بيروت حيث سلم للسلطة الفرنسية وحوكم في حلب الشهباء امام المجلس العسكري الفرنسي الذي برأه واطلق سراحه. أما الشيخ صالح العلي فقد ظل متوارياً عن الانظار حتى اذاعت السلطة الفرنسية بلاغاً في السادس من تموز سنة ١٩٢٢ تعلن استسلامه لها.



حقي العظم

الاغتيالات والعصابات :

لا بد وأن يكون المطالع الكريم قد ادرك مما مر من الحوادث التي أتينا على وصفها والتي سنبسطها اليه فيما يلي مبلغ امتعاض السوريين العرب من الانتداب الفرنسي ومبلغ نفورهم منه واستنكارهم له وقد ذكرنا فيما مضى سوء تصرف السياسة الفرنسية وما قام به مندوب الفرنسيين السامي الجنرال غورو من سوء تصرفه ومن خطأ سياسته ومن قصر نظره في ادارة البلاد مما اهاب بالكثير من الناس لظهار هذا المقت والالم في كل فرصة وفي كل سائحة وقد دل على ما ذكرنا بصورة صريحة الحادثة التي وقعت الى المندوب السامي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ ابان مجيئه لزيارة الامير محمود

الفاعور قريباً من القنيطرة اذ انه ما أن بلغ تلك الناحية حتى انهال عليه الرصاص كالوابل المدرار من قبل رجال اقتعدوا مقعدة له عندما علموا بأنه سيمر من هنالك، وفي هذه الواقعة نال حاكم دمشق اذ ذاك حقي العظم بضع رصاصات في فخذه وذراعه وشفته جزاء دفاعه عن المندوب السامي غورو ونال نفس الجنرال شيئاً من هذه الحادثة في كم بذته من ناحية اليد المبتورة فيها على ان مرافق الجنرال قد قضى في هذه المعركة.

وكان شأن الفرنسيين عقيب هذا الحادث شأن المتشفي المنتقم ممن لم يجترح سيئة ولم يقترف إثماً وولى وجهه شطر العزل الآمنين من الاهلين اذ عجز عن الانتقام ممن اوقفوا به وبمن معه هناك. فكم عذب من ابرياء ونكل بودعاء واعمل الاذى والظلم والتعذيب بأناس لا ناقة لهم في ذلك الحادث ولا جهل. لقد جرد الحملات على كل ما يتبع القنيطرة من قرى ودساكر وأعمل النار فيها يدمرها بقتال المدافع مرة وبقدائف الطائرات اخرى ويسوم ذوبها سوء العذاب بفرض الغرامات تارة وبزج الزعماء في السجون طوراً كما فعل بقرى جبالة الخشب والعوفاني وطرنجه والاحمر وتل الشيخة ومجدل شمس وجبالة الزيت مما لا يقره عقل ولا يرضى به منطق ومن المؤكد أن معاملة الفرنسيين للشعب السوري يمثل هذا الأسلوب من القهر والتسلط سيشعل فتيل الثورة المسلحة في كل مكان. وهذا ما حدث بالفعل حيث اندلعت الثورات في كل محافظات القطر حيث يجدر بنا أن نتحدث بالتفصيل عن أهم الثورات التي اندلعت ضد الاستعمار الفرنسي. ولكننا سنبدأ بالحديث عن ثورة صالح العلي لأنها أكثر قدماً من سواها. بل أنها اندلعت أولاً ضد العثمانيين ثم امتدت لمقاومة الفرنسيين.

ثورات صالح العلي^(١)

— في سنة ١٩١٥ شكل السفاح جمال باشا الوالي التركي في بلدة «عاليه» في لبنان محكمة عسكرية عرفية لحاكمة أحرار العرب الذين يطالبون بالاستقلال الذاتي لوطنهم.

— وفي آب ١٩١٥ اصدرت هذه المحكمة حكماً بالاعدام على القافلة الأولى من الشهداء، وأعدموا شنقاً في بيروت.

— وفي ٦ أيار ١٩١٦ أعدمت القافلة الثانية من الشهداء في ساحة المرجة بدمشق.

— وفي ١٠ حزيران ١٩١٦ ثار الحسين بن علي في الحجاز على الأتراك بعد أن قطع له الخلفاء بلسان السير مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر عهداً ووعداً بتوحيد البلاد العربية وتنصيبه ملكاً عليها، فأرسل رسله ودعائته الى البلاد العربية يحضونها ويحرضونها على الثورة ضد الأتراك، وقد ضج العرب من عسفهم وجورهم، واصلفهم وغرورهم، وعنصريتهم، وتنكيلهم بأحرارهم، وتعليقهم على أعواد المشانق.

— وفي تلك الفترة ثار صالح العلي على الأتراك عام ١٩١٨ بعد أن اتصل به رسل الشريف حسين، وبدأ اصطدامه معهم عندما حاول بعض جنودهم

(١) صالح العلي ثائراً وشاعراً - حامد الحسن

اقتحام بيته في قريته «كاف الجاع» يناحية القدموس، باعتباره ميالاً ومؤيداً لسياسة الشريف حسن، فاتخذ من هذه المناسبة وسيلة وذريعة، وأطلق عليهم الرصاص فقتل منهم اثنين.

وحاولت السلطات التركية بعد هذه الحادثة اعتقاله ومحاكمته، فامتنع واستعصى، وحمل السلاح، وثار.

- ترصد صالح العلي من معقله في الشيخ بدر جنود الأتراك وقوافلهم العابرة على طريق حماة - طرطوس مروراً بالشيخ بدر.

وفي منتصف هذه الطريق، وفي الموقع المعروف بـ «النويجة» والواقع على مسافة ٥ كيلو مترات في الجهة الشرقية من الشيخ بدر نشبت أول معركة بينه وبين رجال القوافل وحماها من الجنود الأتراك، حيث هاجمهم برجاله، وتغلب عليهم، وهزمهم، وغنم سلاحهم ومعداتهم، وحولة قافلتهم.

- ولعل أكبر معركة بين ثوار صالح العلي وبين الأتراك هي معركة «وادي العيون» حيث تصدى الثائرون لمجموعة كبيرة من الجند التركي تعبر الجبال باتجاه الشمال مجهزة بكل وسائل الدفاع وأنواع الأسلحة، فاشتبكوا معها ودارت معركة اسفرت عن مجزرة رهبة بلغ فيها عدد القتلى من الأتراك ثمانين قتيلًا، وهرب الباقون، وغنم الثوار كل سلاحهم وعتادهم، وسقط من الثوار عدد من القتلى وفيهم بعض النساء.

وظل صالح العلي ورجاله يتعقبون الجنود الأتراك، ويلاحقونهم حتى اضطروهم الى تحويل طريقهم عن منطقة الشيخ بدر - طرطوس - الى حمص - طرطوس. واصبحت المنطقة نظيفة من ظل جنودهم البغيض.

- في أول تشرين الأول ١٩١٨ دخلت جيوش الحلفاء سورية بقيادة الجنرال اللنبي قائد الجيوش المتحالفة، وفيصل بن الحسين قائد الجيش العربي، والضباط الفرنسيين، و... لورنس ملك العرب غير المتوج^(١) ونوري السعيد.

- كان نوري السعيد يحمل رتبة جنرال في الجيش العربي، وكان توماس لورنس مستشاراً سياسياً لفیصل، وضابط ارتباط بين قيادة جيوش الحلفاء والجيش العربي لأنه يجيد العربية.

- في الأول من تشرين الأول ١٩١٨ هبت دمشق بغوطةها، وانهارها، بكنائسها، ومآذنها بلغتها العربية، وأحجارها الأرامية، هبت أقدم مدينة في التاريخ بشيبيها وشبابها، ونسائها ورجالها، كهولها وأطفالها، لتستقبل الوافد من الصحراء من مكة مهد الاسلام الحامل في برديه تاريخ العروبة، فيصل بن الحسين، ليقیم صرح الدولة العربية الواحدة، ترفرف عليها الراية العربية الواحدة، بعد استعمار تركي بغیض جثم على صدر الامة طيلة اربعة قرون ١٥١٦ - ١٩١٨.

- في ٥ تشرين الأول ١٩١٨ اذاع فیصل على الشعب العربي في سورية بياناً يطلب فيه من الشعب التضامن والاتحاد لانشاء الدولة العربية الواحدة.

- في ٨ تشرين الأول ١٩١٨ أي بعد سبعة أيام من دخول فیصل الى

(١) قال السير مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر لتوماس لورنس عندما عينه مستشاراً للأمير فیصل بن الحسين: لقد تأكد لنا من أن فكرة ما أخذت تتغلغل بين العرب في جميع الاقطار التي يسكنونها. وعرفنا بأن سورية - أو دمشق على الأصح - اوضحت البؤرة الاساسية لتلك الفكرة (يقصد فكرة القومية العربية).

سورية نزلت الجيوش الفرنسية على الشواطئ السورية، وانزلت العلم العربي عن الدوائر الرسمية، ورفعت العلم الفرنسي مكانه، وأظهرت بذلك نواياها، ونوايا الحلفاء وانهم وضعوا معاهدة سايكس - بيكو الفرنسية البريطانية السرية موضع التنفيذ، ساخرين بالوعود، هازئين بالعهود.

- في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ وبعد هدنة «مودروس» اذاعت فرنسا وبريطانيا بياناً مشتركاً صرحتا فيه: ان ما هدفناه اليه من الحرب - وهو تحرير الشعوب الخاضعة للنير العثماني - قد تحقق الآن، وانهما مستعدتان منذ اليوم لاقامة حكومات مستقلة في سورية، والعراق تكفل لهما القطين تطوراً سياسياً حراً.

- وكان قد سبق هذا التصريح معاهدة سايكس - بيكو السرية^(١) كما سبقه وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين.

- في ١٥ كانون الأول ١٩١٨ عقد صالح العلي مؤتمراً ضم عديداً من شيوخ الجبل وزعمائه، وأسفر هذا المؤتمر عن:

١ - عدم الاستسلام للفرنسيين.

٢ - الدفاع عن الوطن وعن الحرية.

٣ - مبايعة صالح العلي بالقيادة.

(١) تمت هذه المعاهدة بين فرنسا وبريطانيا في ٢٦ ايار ١٩١٦.

— بلغت انباء هذا المؤتمر الفرنسيين بواسطة عملائهم، فدعوا صالح العلي للاجتماع بهم فأبى، فجهزوا عليه أولى حملاتهم التي تحركت من بلدة القدموس، وهاجمته من الشرق فانقض عليها برجاله وهزمها شر هزيمة مخلفة وراءها ٣٥ قتيلا، وعدداً من الاسرى والجرحى، وعديداً من الاسلحة والعتاد والذخيرة.

— يقول الفرنسيون في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق:

احتلت جيوشنا مدينة اللاذقية في أوائل عام ١٩١٨ وعلى الأثر انتفض العلويون علينا وعلنوا العصيان بقيادة احد الاقطاعيين الشيخ صالح العلي، وقد استطاع ذلك الطاغية وانصاره ان يحتفظ بالجبل حتى غاية ١٩٢١ وقد استطاع العصاة ان يقلقوا أمننا، ويهاجموا كتائبنا، ومراكز جيوشنا ومعسكراتنا طوال هذه المدة.

— وفي ٢ شباط ١٩١٩ أعاد الفرنسيون هجومهم على مقر الثورة، فهزمهم الثائرون وكبدوهم عشرين قتيلاً، وبعض الجرحى والأسرى.

— ويقول الكتاب الذهبي: (ان هؤلاء الشوار يشبهون الجان بظهورهم المفاجيء، وبمناوراتهم الشيطانية، فقد بلغت الجسارة بالشوار مبلغاً عظيماً، ازاء ضعف القوات الفرنسية المعسكرة في المنطقة، وبات الخطر يهدد المدن الساحلية مباشرة، وقد حدثت عدة هجمات عنيفة على جبلة، وبانياس، وطرطوس، ولولا تدخل اسطولنا لتمكن الشوار من التمرکز في هذه المدن).

— ويقول الكتاب عن صالح العلي: (لقد اضطرب العدو بعد احتلال بلاد الشام وملحقاتها، وقطعت عنه الامدادات، ولكن عناد الشيخ صالح العلي

وشراسته، لاتزال تصلي من حولنا النار، إن هذا الرجل خطر، ومخيف، وقد تشرب مبادئ الملك الهارب فيصل، فأصبح يحارب بدون عقل، انه رجل عنيد حقاً، وهو يحارب بدون أمل).

– نظم صالح العلي ثورته فأنشأ:

١ - قيادة تنظيمية ادارية برئاسته، يعاونه فيها العقداء.

٢ - انشأ نظام العقداء، والعقيد شخصية تتحلى بالشجاعة والخبرة وتتمتع بالطاعة من اتباعها.

ومن كل عشيرة شكل عقيداً أو اكثر ليحصل نوع من التنافس على التفوق في المعارك.

٣ - ديواناً للبريد يصله بدمشق ومناطق الثورة.

٤ - ديواناً للمجاهدين تحفظ فيه اسماؤهم وكتائبهم وأسلحتهم.

٥ - ديواناً لبيت المال تثبت فيه الاعانات والتبرعات، والاعطيات والمكافآت.

٦ - كتبية للتفتيش وضبط الأمور.

٧ - هيئة للأمن، والرقابة والاستطلاع.

٨ - فرقة للدعاية للثورة، وقد بث رجالها في القرى والداكر، وبين الجنود.

٩ - محكمة عسكرية للثورة (١) .

وبهذا الجهاز أصبح للثورة كياناً تنظيمياً، ووضعاً منسقاً، وأصبح تحركها سليماً ومأموناً، وازدادت قوة وحيوية.

— وفي ٢٥ ايار ١٩١٩ توسط الفرنسيون الجنرال اللنبي البريطاني للتدخل، فطلب الى صالح العلي ان يسمح للقوات الفرنسية العسكرية في القدموس ان تعبر الطريق المارة بالشيخ بدر الى طرطوس، (٢) فأدرك المكيدة ولكنه اجاب الطلب ليقطع على البريطانيين - الوسطاء الطريق ثم تهيأ للمفاجأة، واستعد للمجابهة.

وكانت المفاجأة، ووضحت المكيدة.

نصب الفرنسيون مدافعهم فور وصولهم الى الشيخ بدر، وصبوا نيرانها على قرية صالح العلي مباشرة، وبدون سابق انذار، فأطبق عليهم الشيخ واعوانه من كل الجهات، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم، وفر الباقون.

— وفي ١٥ حزيران ١٩١٩ اعاد الفرنسيون الهجوم على مقر الثورة، فنظم الشيخ خطة محكمة، وكمن للجيش الزاحف في مرتفعات «وادي ورور»

(١) كانت هذه المحكمة برئاسة المجاهد علي زاهر من «حام واصل» وعضوية كل من محمود اسماعيل (الخطانية) ومحمود ضوا «العصية».

(٢) جاء في رسالة الجنرال اللنبي الى صالح العلي قوله: ان الحلفاء الذين قدموا لتحرير سورية من ظلم العثمانيين واعطائها الحرية والاستقلال لا يلقون منكم التكريم والحنافاة اللائقين. وان موقفكم من القوات الفرنسية يدعو الى الخيبة والعجب.

و «بيدر غنام» وادغاهما، ولما توسط الجيش الفرنسي الوادي، واصبح ضمن حلقة الثائرين المحكمة، وفي متناول رصاص بنادقهم، انقضوا عليه من المرتفعات الخدقة بالوادي، ودارت معركة كبرى اسفرت عن مقتل وجرح /٨٠٠/ ضابط وجندي فرنسي، كما تم اسر ستة عشر جندياً، وتشتت من لجا من رصاص الثائرين، تاركاً في أرض المعركة سلاحه وعتاده غنيمة سائغة للمناضلين، واستشهد بعض الثوار.

- وفي منتصف شهر تموز وقعت معارك في «عقرزتي» الواقعة على مسافة ٢٠ كم شمال شرقي طرطوس، ومعارك في جوارها في نهر الاسماعيلية، واضطر الجيش الفرنسي الى الانسحاب الى بلدة طرطوس ليحتمي بالأسطول.

- بعد هذه الهزائم المتكررة التي أنزلها الثائرون بالفرنسيين، لجأوا الى المفاوضات وطلب المصالحة، وانهاء الاعمال الحربية، فقبل الشيخ بالدخول في المفاوضة على الاسس الآتية:

- ١ - ان يكون الاجتماع في مقر الثورة - الشيخ بدر.
- ٢ - ان لايزيد مرافقو القائد الفرنسي المفاوض عن ثلاثة.
- ٣ - ان يكونوا عزلاً من السلاح.
- ٤ - الموافقة على ضم الساحل الى سورية وجلاء الفرنسيين عنها.
- ٥ - اطلاق سراح الأسرى.
- ٦ - دفع تعويضات عن كل لاضرار التي ألحقتها الأعمال الحربية بالأهلين وممتلكاتهم.

نقل الوسيطان^(١) هذه الشروط للقادة الفرنسيين فوافقوا عليها - على ما فيها - وطلبوا الاجتماع المباشر بالرجل الثائر، لوضع الصيغة النهائية للاتفاقية فوافق.

- كان الفرنسيون يبيتون الغدر، مستفيدين من الهدنة التي اشيعت في أوساط الشعب، فاغاروا على بعض القرى الغربية وأحرقوها، وتمركزوا في قلعة القدموس، ثم تحركوا من الجهة الغربية باتجاه مقر الثورة.

- استقدم الفرنسيون فرقاً من المستعمرات مدربة على تسلق الجبال، وحرب العصابات، وتمركزت في القدموس على ميمنة الثوار.

- في ١٦ تشرين الأول ١٩١٩ أرسل فيصل ابن عمه الشريف عبد الله الى صالح العلي ومعه الذخيرة والأسلحة والأطعمة والملابس.

- كان رشيد طليع حاكم حماه^(٢) من قبل فيصل سنداً ودعامة لثورتي صالح العلي في الجبال الغربية، وثورة ابراهيم هنانو في الشمال، وضابط ارتباط بين قادة الثورتين وبين فيصل في دمشق.

- كان عبد الرزاق المحمود سكرتيراً لثورة صالح العلي، ومشرفاً على «الشيفرة» والمراسلات التي ترد من فيصل وغيره الى صالح العلي، ومسؤولاً عن الاجابة عليها^(٣).

(١) كان الوسيطان احمد الحامد واسماعيل الطاهر الحامد.

(٢) في مذكرات الشيخ يوسف السعدون ان رشيد طليع كان حاكماً لمدينة حلب فهل انتقل الى حماة بعد احتلال مدينة حلب؟ وقد احتلت حماة بعد احتلال حلب بمدة ثلاثة شهور.

(٣) يقال: ان في حوزة ورثته الكثير من هذه الوثائق.

- هاجم الثائرون مقر الجيش الفرنسي في طرطوس، ودارت المعارك على ابواب المدينة ومدخلها، واستعمل السلاح الابيض في الالتحام، ولولا تدخل الاسطول المربط في عرض البحر باتجاه المدينة لسقطت في ايدي الثائرين، ثم انسحب المجاهدون بعد ان استولوا على بعض مستودعات السلاح والذخيرة.

- في ٣ اذار - ١٩٢٠ زحف الثائرون على قلعة القدموس وحاصروها مدة فاستسلمت حاميتها، ونزح الاهلون الى مصيف تحت حماية رجال الثورة حذراً من وقوع الحوادث والاعتداء على النازحين^(١).

- في ٨ اذار ١٩٢٠ عقد المؤتمر الوطني بدمشق واعلن فيه فيصلاً ملكاً على سورية.

- في ١٥ اذار ١٩٢٠ ارسل الملك فيصل القائد غالب الشعلان لمعونة صالح العلي في قيادة الثورة وتنظيمها.

- ثم شكل عزيز هارون من اللاذقية «الفوج الملي» من ابناء اللاذقية وحمص وحماة، والحفة، وجبلة، وبانياس، وارسل الملك فيصل الضابط جميل ماميش ليقود هذا الفوج، وشكل فيه مجموعة من الفدائيين.

(١) يقول محمد امين غالب الطويل في كتابه تاريخ العلويين: ان صالح العلي اشترط على اهالي القدموس اثناء حصارها ان يعيدوا اليه كتاب النسب - نسب الخرزيين - وسيف الامام الحسين ويظهر من سياق الحديث ان هذين الاثرين فقدوا من الخرزيين واستقروا في حيازة ساكني قلعة القدموس الاسماعيليين. ومن دراسة التاريخ العام يظهر ان الخرزيين والاسماعيليين في العهد الفاطمي حكموا مصر حكماً مباشراً ومشتركا.

- وخلال شهر اذار ١٩٢٠ وقعت معارك «السودا» على بعد ١٢ كم شمال شرقي طرطوس، ومعارك في بعض القرى الواقعة غربي الشيخ بدر، واضطر الجيش الفرنسي الى الانكفاء الى ثكناته في طرطوس امام المقاومة الباسلة، واحتمى بالأسطول.

- في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ عهد مؤتمر «سان ريمو» الى فرنسا بالانتداب على سورية كلها، اي بعد اعلان فيصل ملكاً عليها بـ ٤٧ يوماً.

- وفي ١٤ تموز ١٩٢٠ وبناء على مقررات مؤتمر «سان ريمو» وجه الجنرال غورو انذاره المعروف الى الملك فيصل يطلب اليه فيه:

١ - الاعتراف بالانتداب الفرنسي وفقاً لمقررات مؤتمر سان ريمو.

٢ - افراد الورق النقدي الذي اقرته فرنسا نقداً للبلاد.

٣ - تسريح الجيش السوري.

٤ - معاقبة الثوار.

٥ - وضع الخطوط الحديدية تحت الرقابة الفرنسية^(١).

- في ٢٥ ايار ١٩٢٠ زحف الفرنسيون على قرية «كوكب» ٥ كم غربي الشيخ بدر واحرقوها، ولكن الثوار هاجمهم، وأجلوهم عنها.

(١) من الوسائل التي تدرع بها كليمنصو رئيس الوزراء الفرنسية عندما ابرمت معاهدة فيصل - كليمنصو في ٦ ك ٢ ١٩٢٠ انه اي فيصل يساعد ثورة صالح العلي ولذلك فحكومته ترى وجوب وضع الطرق الحديدية في سورية تحت اشرافها ورقابتها.

— هاجم الفرنسيون قلعة الخوابي مقر آل الحمود واحرقوها، ولكن الثوار استرجعوها منهم.

— ارسل يوسف العظمة وزير الحربية السورية دعوة الى الشيخ صالح العلي للاجتماع به. لتدارس الأمور، واجتمعوا بقرية «السويدة» شرقي مصياف، وتعاهدا على الاستمرار في الكفاح.

— في ١٢ حزيران ١٩٢٠ طلب الفرنسيون — وللمرة الثالثة — المهادنة واعلنوا قبولهم شروط الثائر بدون شرطاً وقيد، ولكن الشيخ رفض طلبهم لما يعلمه من غدرهم، وفي الوقت الذي كان الوفد يفاوض فيه كان الفرنسيون يهاجمون قرية «كوكب» ويحرقونها للمرة الثانية.

— وهاجم الثائرون قلعة المرقب واحتلوها ليتحكموا بطريق الساحل، بعد ان اسروا حامية القلعة.

— وفي هذه الاثناء جرت تعديلات في القيادة الفرنسية، واستلم «بولونجيه» قيادة القوات الفرنسية في سورية ولبنان، وتلقى الأوامر المشددة من وزارة الحربية الفرنسية بوجوب القضاء على ثورة صالح العلي مهما كلفه ذلك من جهد وثمان ودماء.

— زحف «بولونجيه» باتجاه الشيخ بدر بثلاثين ألفاً معززين بالمدافع والطائرات، وأخذ يحرق في طريقه القرى والمزارع.

وأعد الشيخ صالح العلي واركان حربه خطة لاصطياده، وأرسل طلائع من الثائرين يشاغلونه، ويتراجعون أمامه، وهو يلاحقهم ظناً منه انهم يتراجعون

هرباً، حتى وصل الى «وادي العيون» حيث كمن الشائرون في شعاب الجبال وسفوحها، وقممها المحيطة بالوادي. وما كاد الجيش يحيط رحاله، ويشرع في نصب خيامه، حتى فاجأه المجاهدون بالرصاص من كل الجهات، فاضطرب أمره لهول المفاجأة، وحاول الانسحاب باتجاه الغرب - الشرق - الشمال - الجنوب، فوجد أن كل الطرق مسدودة، فتفرق بدداً تاركاً عتاده وزاده، وكانت خسائره بالأرواح والمعدات كبيرة جداً، واسقط المجاهدون في هذه المعركة طائرتين.

— بعد هذا الخذلان اقصت القيادة «بولونجي» وأحالته الى محكمة عسكرية.

— وتوسط الفرنسيون الانكليز بعد هذا الاندحار والعار، فاتصل الجنرال اللنبي قائد جيوش الحلفاء بقائد الثورة طالباً اليه ان يجتمع معه بطرطوس فرفض الشيخ هذا الطلب، واشترط الاجتماع في مقر الثورة.

وجاء ضابطان برتبة جنرال احدهما فرنسي، والثاني انكليزي، ومعهم بعض الزعماء الموالين للفرنسيين، ليعلنوا لاتباعهم في الثورة عن موالاتهم للفرنسيين، وشعر الشيخ بالمكيدة فانسحب من الاجتماع، ولحق به المجاهدون من مختلف الفئات، ووقف الزعماء المتآمرين واجمين مخذولين وباءت خطتهم بالفشل.

— بعد فشل الاجتماع توسل الضابط الانكليزي ان يجتمع بالشيخ في بيته فوافق، وأملى الشروط التالية:

١ - ضم الساحل السوري والجبل الى دمشق.

٢ - ان تجلوا القوات السورية خلال ستة شهور.

٣ - يسمح للقوات الفرنسية بنقل المؤن عبر الساحل السوري للقوات المربطة في كليكيا على ان لا تكون مخفورة، وان لا تتوقف أثناء مرورها.

٤ - اطلاق سراح الأسرى.

٥ - دفع التعويضات عن الاضرار التي لحقت بالأهلين.

٦ - يسمح للبعثات الفرنسية بمزاولة النشاط الثقافي تحت اشراف السلطة الوطنية.

٧ - تعلن الهدنة فوراً.

واعلنت الهدنة ... وسافر وفد لدمشق لاطلاع الملك فيصل حاملاً اليه صورة عن الاتفاقية.

— وتشكلت لجنة من المجاهدين والفرنسيين والانكليز لتقدير الاضرار، وطافت القرى ومواقع المعارك، وبلغت الأرقام الملايين.

— ولعب الانكليز لعبة المكر والمراوغة، فكانوا يدفعون الفرنسيين للتشدد، ويظهرون العطف على الأهلين، والرغبة في مساعدتهم، ومساندة الثائرين.

— ونقض الفرنسيون الهدنة بعد ثلاثة اشهر من اعلانها. حيث كان احد قادتهم المتمركز في قرية «عقر زيتي» يتبعج وينال من الاسلام والدين

الاسلامي، والرسول الكريم، فأرسل اليه الشيخ صالح العلي انذاراً مع رجل يدعى «حسن أبا النصر» فأعدمه الضابط فوراً رمياً بالرصاص^(١).

ثار الشيخ للكرامة المهانة، فأرسل بضعة من رجال كمنوا للضابط في طريقه المعتادة لطرطوس في موقع جسر نهر الحصين على بعد ٦ كم من شمال طرطوس، وما ان عثر في المكمن حتى انهمر عليه الرصاص فقتل مع رفاقه العشرة شر قتلة^(٢).

— وحاول الفرنسيون تطويق الثورة من الجنوب، فاغاروا على قرى «حبسو» و «خربة الريح» و «الحقباية» واحرقوها.

— وحاول الفرنسيون استعادة قلعة المرقب لتأمين طريق مواصلات الساحل، وتجمعوا في بانياس فادرك الشيخ قصدهم، فهاجم المدينة، ودارت المعارك حول ثكنات الجيش الفرنسي وتدخل الاسطول فانسحب الثوار.

— وفي ٢٣ تموز ١٩٢٠ سقطت حلب^(٣) وانتظر فيصل تدخل بريطانيا

(١) في رواية «الراية الثالثة» لعبد الرحمن الباشا: ان الرسول الذي اعدمه الضابط الفرنسي في قرية «عقر زيتي» اسمه احمد وهو الذي اعتمده المؤلف بطلا لروايته. ويذكر معه رفيقاً آخر اسمه عمر وهو الذي نجا من الموت لينقل النبا للشيخ صالح بعد ان عذبه الفرنسيون عذاباً مريعاً.

(٢) اقام الفرنسيون نصباً تذكاريّاً لهذا الضابط مكان مقتله وهو عبارة عن قبر تعلوه شاهدة صغيرة. ويقع هذا القبر على المنعطف الكائن قبل جسر الحصين بمئة متر على يسار الطريق المتجه من طرطوس الى اللاذقية.

(٣) مذكرات نجيب عويد - المتحف الحربي - دمشق - قاعة الوثائق.

بالأمر، ولكن بريطانيا مرتبطة بمعاهدة سايكس - بيكو، اما اتفاقاتها ووعودها لأبيه فيسهل عليها التحلل منها.

— وفي ٢٤ تموز غادر الملك فيصل دمشق يصعد الزفرة ويسكب الدمعة ويجرع المرارة واللوعة.

— وفي ٢٥ تموز سقطت دمشق ودخلتها الجيوش الفرنسية بعد معركة ميسلون مزهوة مختالة^(١).

— عقب دخول الفرنسيين لدمشق اقام رئيس الوزارة علاء الدين الدروبي مأدبة على شرف الجنرال غورو، واذاع بياناً على الشعب السوري يبرر فيه اعمال لفرنسيين وبعده مناقب فرنسة في تحرير الشعوب^(٢).

— في ٧ أيلول ١٩٢٠ عقد اتفاق بين ابراهيم هنانو ومصطفى كمال على مده بالسلاح، وكان هنانو بدوره يمد صالح العلي، وكان هناك تنسيق بين ثورتي هنانو والعلي حيث تنسق الخطط، ويتم تبادل المعلومات، وترصد

(١) يقال ان عريضة نظمت قبل احتلال دمشق وقعت من بعض الاسر في دمشق وارسلت الى الجنرال غورو في بيروت يطلب موقعوها منه انقاذهم من حكم الملك فيصل ويستعدونه على احتلال دمشق.

(٢) موقف علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة السورية يومئذ من الاحتلال والمختلين يعطينا تفسيراً ودليلاً على وجود تلك العريضة التي تستعدي الفرنسيين على الملك فيصل وتزين لهم احتلال دمشق، ولقد لقي علاء الدين هذا مصرعه على يد الثائرين من ابناء وطنه في خربة غزالة في حوران عندما اندلعت الثورة هناك واراد ان يتدخل شخصياً مع الفرنسيين لاحتلالها.

تحركات الفرنسيين، وتراقب حركات عملائهم، ولم يستطع الفرنسيون إيجاد أية ثغرة بين الثورتين إلى أنلقى هنانو السلاح، وانسحب من الساح^(١).

— لم ينسحب هنانو من المعركة إلا بعد أن اخلف مصطفى كمال وعوده، وقطع عنه الذخيرة والسلاح وذلك بعد أن اتفق مع فرنسا على جلاء قواتها عن كيليكيا، وأصبح يطارد السوريين الذين يعبرون الحدود لتركيا وبهذا تجلى حقد الأتراك على العرب^(٢).

— وقرر صالح العلي متابعة النضال بعد مغادرة الملك فيصل دمشق.

— هاجم القائد «رساك» الشيخ بدر عن طريق جبل «القليعات» الواقع

(١) اتفق إبراهيم هنانو مع الأتراك على:

١ - أن تدفع الحكومة التركية إلى السوريين ما يحتاجونه من الخراطوش، ومدفع جبلي واحد. أو أكثر حسب اللزوم.

٢ - شكل العلم يكون ذا وجهين: الأول عربي. ويكتب عليه أما المؤمنون أخوة... والثاني تركي ويكتب عليه فاصلحوا بين أخويكم.

٣ - لاتحدد حدود سوريا وتركيا إلا بعد جلاء العدو. وحصولهما على الاستقلال التام.

٤ - هذه الاعانة التي تقدمها تركيا لسورية هي اعانة الأخ لأخيه.

٥ - تقدم الحكومة التركية بعض الجنود المدربين على المدفعية لتدريب الشوار على المدافع والرشاشات والقذائف.

ووقع هذه الاتفاقية في مرعش عن الحكومة التركية الوالي التركي صلاح الدين عادل. (من مذكرات ثورة هنانو).

(٢) راجع مذكرات يوسف السعدون.

في الجهة الجنوبية من الشيخ بدر، وصب عليها نيران مدافعه، فتصدى له وحملته الشيخ سليم صالح (ابن عم صالح العلي) ومعه اربعة رجال من الشوار واستطاعوا ان يعبروا وادي النهر السحيق تحت وابل من الرصاص والقنابل، وينقضوا على الجنود الفرنسيين في «متاريسهم» فهرب القائد «رساك» وجنوده وتركوا ما كان ما في حوزتهم من سلاح وعتاد ومدافع، ولحق به الثائرون حتى قرية «بقعو».

— اكتشف صالح العلي بعد معركة «القليعات» ان الجهة الجنوبية تحتاج لحماية، فجرد حملة تركزت في الدريكيش بقيادة الثائر المناضل اسير زغيبي.

— في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ نظم الجنرال غورو خطة لمهاجمة الثورة من الشرق بعد ان احتل حماة ومصيف، فدرس الشيخ واركنا حربه الخطة، وسير فرقاً لتشاغل الجيش الزاحف وتراجع أمامه، وتجره الى الجبال حيث يسهل اصطباذه، والقضاء عليه فهاجمت فرق المجاهدين مؤخرة الجيش فتحول الى المؤخرة فاطبق عليه الثائرون فتراجع متقهقراً الى مصيف بعد ان استمر العراك ١٥ يوماً.

— لعب عملاء الفرنسيين المندسين في صفوف الثورة دوراً خبيثاً بارعاً حيث رجع بعضهم من منطقة المعارك في جبهة مصيف، واذاغ في الشيخ بدر بين الحامية التي تركها الشيخ صالح العلي للدفاع عن مقر الثورة بأن اخوانهم المجاهدين محاصرون في الجبهة الشرقية، وانهم بأمر الحاجة الى مساعدتهم لفك الحصار عنهم.

وجازت هذه الحيلة على رجال الحامية، فأسرعوا مندفعين باتجاه الشرق تاركين مقر الثورة بدون حماية.

ووفي الوقت ذاته اتصل العملاء بالجيش الفرنسي المربط في طرطوس
فزحف على الشيخ بدر واحتلها بدون أية مقاومة بواسطة هذه المكيدة.

– في كانون الأول ١٩٢٠ اغار المجاهدون على مقر الجيش الفرنسي في
مصياف وحوصرت البلدة مدة وجاءت الامدادات للجيش الفرنسي من حماة.
وعلم الجيش الفرنسي المربط بالساحل بواسطة عيونه وعملائه ان الثوار اتجهوا
الى الشرق فزحف الى موطن الثورة وتم له الاستيلاء عليها.

– أدرك الشيخ ان العودة الى مقر الثورة أصبحت مستحيلة، فاتجه الى
الشمال يصحبه بعض المجاهدين، وقبل ان يغادر المنطقة ودعه غالب الشعلان
بعد ان طلب اليه ان يصحبه الى البادية حيث يتوفر المأمن والامتناع على
الفرنسيين، ولكنه رفض ان يغادر ساح الكفاح.

– استقر الفرنسيون في منطقة الثورة، وشكلوا محكمة عسكرية، اخذت
تصدر الاحكام بالاعدام على قادة الثورة، وتعدمهم فوراً.

– استقر صالح العلي في قرية «بشراغي» في جرد جبلة، فأرسل
الفرنسيون حشداً من جنودهم لاعتقاله حيث يقيم في الموقع المعروف بموقع
الشيخ حيدر الضهر (وهو أحد اجداده) فاستنفرت القرى، وقاد الشيخ
الجماهير، وهاجم الفرنسيين في «وادي فتوح» فقضى على معظمهم، وهرب من
سلم منهم، واستولى المجاهدون على كثير من العتاد، وتعتبر هذه المعركة من
المعارك الكبرى في تاريخ الثورة.

– وشكل الشيخ قوات جديدة، وانطلقت الثورة من جديد، وحاول

الفرنسيون تطويقه من الشرق والغرب، والجنوب، فكانت موقعة «وادي جهنم» قرب قرية «ابي قبيس» وكانت لا تقل عنفاً وضراوة ودماء وعتاداً عن معركة «وادي فتوح» وقد توفر السلاح والذخيرة في هاتين المعركتين للشوار الجدد.

— ونشبت بعد ذلك معركة «قرفيص» واشتركت فيها المدفعية والطائرات على أوسع مدى. وكذلك وقعت اصطدامات دامية وعنيفة في جب عسعوس، شمال نهر السن، والدويلية، وتل صارم، وبارمايا — شرقي بانياس، والبودي، وجور البقر، ومن أعظم معارك الشمال معركة «راس ملوخ» ويقع بجانب «السخابة» من الناحية الشرقية، ومعركة «الاجرد» أو «بسوطر» ويقع على بعد ٣ كيلو مترات شرق السخابة، واستشهد في هذه الموقعة احمد عبد الحميد احد قادة الثورة، وأربعة من رفاقه، وقد حاول الفرنسيون في هذه المعركة رد اعتبارهم، والانتقام لضحاياهم في «وادي فتوح» و «وادي جهنم».

— ونشبت معركة جبله حيث اجتاز الشوار الاسلاك الشائكة والتحموا بالسلاح الابيض وخسروا عدداً من الشهداء.

— كانت الثورة تمول من قبل الملك فيصل، ولما غادر دمشق واحتلها الفرنسيون انقطع المدد.

— وكان ابراهيم هنانو يزودها من الشمال، ولما القى السلاح في ١٢ حزيران ١٩٢١ امتنع هذا الزاد والمدد.

— احتل الفرنسيون شرق الثورة، وشمالها الشرقي، وجنوبها كما كانوا ينطلقون من الساحل الغربي، وبذلك استطاعوا تطويقها من كل الجهات، ولم

يبقى للثائرين مصدر للتمويل بالذخيرة والسلاح الا ما ينتزعونه من العدو، وادرك الفرنسيون ذلك، فأوعزوا الى جنودهم الا يتركوا وراءهم اي شيء ينتفع به الثوار.

- لم يكن ينقص الثورة المال فقد كانت التبرعات السخية تصل الى قيادتها بشكل كثير وفير من الاهلين في الوطن والمهجر، ولم تكن تنقصها الإدارة الحكيمة الحاذقة، ولا الرجال الاشداء ولكن... كيف الحصول على السلاح وقد سدت المنافذ؟؟

- تطوع احد المجاهدين واسمه «محمد الارناؤوط» للمغامرة، واستيراد السلاح والذخيرة من فلسطين عبر الاراضي اللبنانية، وحالفه التوفيق في المرة الأولى.

- وعادوا الكرة، ولكن عيون الفرنسيين وعملاءهم المنبئين في كل مكان كانوا له بالمرصاد، فكمثروا له في قرية «تل وعاي» الواقعة جنوب صافيتا، وصادروا القافلة الأولى وعددها ١٤ جملاً، وتتابعت مصادرة القوافل الأخرى.

- وفي ١٥ حزيران ١٩٢١ امر الجنرال «نيجر» القوات الفرنسية ان تهاجم مقر الثورة في «بشراغي» على جبهة طولها مئات الكيلو مترات، فتوزع الثائرون على هذه الجبهة الواسعة واستماتوا في الدفاع، وظلت كل فئة تدافع حتى آخر رصاصة تملكها، ووقع الانفصال بين الثورة وعناصرها، ونفذت الذخيرة، وظل الثائرون يتطلعون الى النجدة والامداد ولم يكونوا شعروا بالمكيدة التي دبرها اعداء الثورة.. ولما نفذت الرصاصات الاخيرة تفرق الثائرون.

– ومارس الفرنسيون أبشع الانتقام، فاقتيد الرجال والنساء والاطفال كرهائن، وفرضت الغرامات الباهظة، وشكلت المحاكم، فاعدمت، وسجنت، ونفت، ومارست كل ألوان التنكيل.

– وطلب الفرنسيون صالح العلي، وفتشوا القرى والادوية، والجبال، والمغاور، والغابات والكهوف، وبثوا العيون والعملاء؛ ولم يعثروا له على أثر وكانوا يشعرون ان كل ما احرزه من انتصار لاقيمة له ان لم يستسلم صالح العلي. وظلوا زمناً يشقون الطرقات في الجبال، ويقيمون التحصينات متوهمين هبوطه عليهم بين الحين والحين، متوقعين ان يداهمهم في حلقة الليل، او في لآلة النهار.

– ورصد الفرنسيون مئة الف فرنك فرنسي مكافأة لمن يلقي القبض عليه، أو يدل على محبته، ووعدوا، وتوعدوا، واغروا؛ وهددوا ولكن بدون جدوى.

– واصدرت محكمتهم حكماً بأعدامه، وألقت الطائرات صورة الحكم على مختلف قرى الجبل ومدنه الساحلية.

– اختبأ صالح العلي عاماً كاملاً، وأخيراً أصدر الفرنسيون قراراً بالعفو عنه، ووزعته الطائرات، وكان بتوقيع الجنرال غورو.

– قرر صالح العلي الاستسلام ليرفع العسف والتعذيب عن المواطنين، وأرسل الى مدينة جبلة يخبر المستشار بقراره، ويدعوه للحضور اليه في قرية «بشراغي» فأسرع الى مقره وما ان وقف امامه حتى رفع الجنرال يده بالتحية العسكرية منحياً بكل احترام، واصطحبه لمقابلة الجنرال «بيلوت» في اللاذقية.

– وكان صالح العلي مثار اعجاب الضباط الفرنسيين بشجاعته وجراته وصراحته، وقوة عارضته، وعرض عليه الجنرال ان يشاطر حكم البلاد فأبى .. وأن يتسلم أكبر المناصب فرفض.. وان يتقبل راتباً من المال فأنف، واخيراً سأله الجنرال: اذن لماذا حاربتنا؟؟ فأجابه بهدوء: لأجل الوطن.

– ورجع الشيخ الى بيته، وفرض على نفسه عزلة صوفية.

– ولما اعتدى الفرنسيون على دمشق عام ١٩٤٥ أبرق صالح العلي البرقية التالية:

سيوف المجاهدون تتململ في الاغمد، ونفوسهم في غليان واضطراب لا تقبل امتهان الأمة، ولا أن تحرق حرمة الاستقلال ، انا للمعتدين بالمرصاد، وسيعلم الظالمون اي منقلب ينقلبون.

وهزت هذه البرقية البلاد واثارت الفرنسيين بحيرة وقلق، وخوف وارتباك، وأرسل اليه سعد الله الجابري رئيس مجلس الوزراء يومئذ برقية يقول فيها:

برقيتكم هزت الضمير الوطني، وايقظت الشعور القومي، وهيجت في نفوس المخلصين حب الجهاد، والرغبة في الاستشهاد.

وفي مطلع العهد الوطني تنادت البلاد حكومة وشعباً لتكريمه واقيمت الحفلة في اللاذقية، وشهدتها كل السياسيين والمجاهدين، والادباء ورجالات الدولة، وعدد كبير من ابناء الشعب العربي في سورية وخارجها.

- وفي ١٣ نيسان ١٩٥٠ اسلم صالح العلي روحه الطاهرة لبارئها، بعد مرض دام شهراً، مخلفاً تاريخاً حافلاً بالآثر مليئاً بالأمجاد والمفاخر، وشيع الى مقره الاخير في الشيخ بدر، تاركاً وصية نادرة بين الوصايا، واربع زوجات، وثلاث بنات.

- وهكذا تعتبر ثورة صالح العلي ام الثورات السورية، لأنها أولاهاهن وأطولهن وأعنفهن انطلقت في ربيع الأول سنة ١٩١٨ على الاتراك، ثم استمرت ضد الفرنسيين حتى أواخر حزيران سنة ١٩٢١.

الثورة الكبرى ومقدماتها واهدافها وادوارها

وفي صيف عام ١٩٢٥ انفجرت الثورة السورية الكبرى واستمرت الى صيف عام ١٩٢٧، ومع انها بدأت في جبل الدروز ضد تصرفات حاكم الجبل الافرسي وكان لها مقدمات أثارت النفوس وهيأتها لها، فانها كانت في سيرها واتساعها واهدافها مظهراً للاباء القومي ضد الاستعمار الافرسي الذي كان يهدف الى اخماد الروح القومية وفرض السيطرة على البلاد وبث الفرقة بين اهلها وتوهين قواهم وكيانهم، وامارة قوية على استمرار اتقاد الشعلة الوطنية والحركة العربية وجيشانها وبسبيل ميثاق الاستقلال التام والوحدة الطبيعية السورية الذي كان نتيجة من نتائج هذه الحركة والذي قرره المؤتمر السوري العام، مما سجله قرار زعماء الدروز ومناشير سلطان الاطرش قائد الثورة العربية، ثم مذكرة رجال الحركة القومية في مصر المقدمة للمندوب السامي جوفيل الذي خلف سراي الذي انفجرت الثورة في عهده، وما صدر بعد ذلك من مذكرات ومفاوضات ومناشير من زعماء الثورة ورجال الحركة ووفودها داخل البلاد وخارجها.

وكان من امر بدئها ان الحاكم الافرسي العام في الجبل كارييه اخذ يسير في سياسة شاذة من القسوة والارهاب ونشر جو الجاسوسية والوشايات، ولم يتورع عن الضرب والصفع والاهانات المتنوعة للبارزين من ابناء الجبل زعماء وموظفين حتى بلغت تصرفاته حداً لا يطاق، فأخذ الزعماء يرفعون اصواتهم بالشكوى والتذمر، وألفوا لجنة وطنية برئاسة سلطان الاطرش وارسلوا وفداً الى

سراي يطالبون بالحكم الوطني الذي كان الافرنسيون عاهدوهم عليه، ويسردون ما يقاسونه من الحاكم الافرنسي، فكانت مقابلة سراي للوفد ومطالبه فظة، وهددهم بالنفي والتنكيل، فزاد هذا من التذمر، وازداد الافرنسيون شدة في قمع التذمر بالاعتقالات والغرامات والاعتداءات المتنوعة الاخرى لانهم رأوا في الحركة قضاء على السياسة التي ترسموها وساروا فيها خطوات غير يسيرة، ثم احتالوا على جلب جماعة من زعماء الجبل إلى دمشق بصفة وفد واعتقلوهم ونفوهم الى تدمر والحسكة واعتبروا رهينة على تخفيف الجبل غلواء شكاويه وتذمراته والجنوح الى خطة الخضوع والرضاء التي ساروا عليها من قبل، ثم حاولوا ان يحتالوا على سلطان رئيس اللجنة الوطنية فأخفقوا، وقام هذا بحملة تحميسية في قرى الجبل، فبادر الافرنسيون الى قمع الحركة بالشدة، وسيروا سرية بسبيل ذلك فقابل سلطان ورجاله المبادرة بمثلها، وكان من نتيجة ذلك إحراق دار البعثة الانتدابية في صلخد والقضاء على أكثر أفراد السرية. وكان هذا في أواخر شهر تموز ١٩٢٥، فحال الأمر الافرنسيين وأرسلوا حملة كبيرة قوامها ثلاثة آلاف فقابلها الدروز وكانت معركة كبرى عرفت بمعركة المزرعة دحرت فيها الحملة وقضي على نصفها واستولي على أثقالها وسلاحها وعتادها ومؤنها. وقد كان زعماء الدروز اتصلوا من قبل بزعماء حزب الشعب في دمشق وتعاهدوا على التضامن؛ فلما قويت الحركة واشتدت جنح الافرنسيون الى الملاينة والمراوغة فذهب وفد من حزب الشعب الى الجبل لتوكيد التواثيق وتحذير الدروز من الانخداع، وتعاهدوا من جديد على عدم عقد صلح منفرد والاستمرار في الحركة إلى أن يتحقق الميثاق القومي، ووعدت دمشق بتهيئة القوى الثورية للاشتراك في العمل وتخفيف العبء عن الجبل؛ وشعر الافرنسيون بالأمر فاعتقلوا فريقاً من أركان حزب الشعب منهم فوزي الغزي وفارس

الخوري وإحسان الشريف وعبدالجيد الطباخ وتوفيق شامية وعثمان الشرباتي ونفوا بعضهم إلى إرواد وبعضهم إلى الحسكة. ونجا الباقي والتحق بالجيل ومنهم جميل مردم والدكتور شهنندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ونسيب البكري. وهنا تقررّت الخطوات الحاسمة فوسدوا قيادة الثورة العامة لسلطان الأطرش والتفوا حوله يسندونه ويعاونونه؛ وصدر أول منشور يحمل لقب القائد العام للثورة السورية الكبرى بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٥ يدعو فيه السوريين إلى السلاح والجهاد في سبيل ميثاقهم القومي وكرامتهم وعزتهم الوطنية، وأخذت الثورة تشتد وتوسع فكانت المعارك المهمة التي عرفت بمعارك المسيفرة والسويداء وعري ورساس في حوران واستبسل بنو معروف وكبدوا الافرنسيين الخسائر الجسيمة رغم توالي النجذات وعدم تكافؤ المعدات. ثم تعدت الثورة الجبل الى حماه حيث ثار مجاهدوها بقيادة فوزي القاووفجي الذي كان ضابطاً في الجيش المحلي بإقليم البلان ووادي التيم؛ وكانت دمشق مسرحاً من مسارحها حتى لقد جاء وقت كانت أحيائها ومخافرها الداخلية تحت سيطرة المجاهدون التامة، وحتى كاد مجاهدوها يعتقلون سراي فيها.



حسن الحكيم



فارس الخوري



جميل مردم بك

وقد جنّ جنون الافرنسيين فسلطوا فصائلهم وفصائل السنغاليين ومتطوعة الشراكسة ليعملوا النهب والتحريق والتدمير وقتل الناس بدون تفريق بين الشوار وغير الشوار وتشهير المقتولين وجرجرتهم في الأزقة في دمشق، وقصفوها وقصفوا حماة أيضاً وأوقعوا فيهما دماراً واسعاً كما قاموا بحملة تحريق وتدمير على كثير من قرى غوطة دمشق وحماه والجبل. ولكن كل هذا لم يكن ليزيد النار إلا شدة وضراً. ومثل أبطال الجبل ودمشق وحماه والغوطة والبلان ووادي التيم أدواراً رائعة من الجرأة وقوة الشكيمة والتصميم؛ وراح منهم عدد كبير وضحايا غالية؛ وعمت الثورة مختلف الطبقات، وعلى مختلف الوجوه من مقاتلين ومعاونين ومؤازرين ومخبرين وممولين وممنونين؛ وقد نشط رجال الاحزاب والحركة القومية الذين كانوا خارج البلاد فاشتراك بعضهم في الثورة وقيادتها كما فعل ذلك بعض من بقي في البلاد، وقام باقيهم بجهود ضخمة في جمع التبرعات وتنظيم الحملات وتزويد الجبهات بالسلاح والعتاد والمؤن والكساوي وبث الدعايات في مختلف الأوساط الشرقية والغربية والأوروبية والأميركية.

ولقد عمد الافرنسيون إلى بث الخوف في نصارى جبل عامل وراشيا وحاصبيا وتسليحهم وتخريضهم ومدّهم بعصابات من الموارنة ودفعهم جميعاً إلى القتال في جانبهم كما أخذوا يجمعون السلاح من مسلمي لبنان سنييهم وشيعيهم ودروزهم بقصد إرهابهم وإرهاب الشوار معاً في جعلهم تحت رحمة الذين سلحتهم من النصارى وخاصة من الموارنة، وحذراً من امتداد نار الثورة وسريانها فيهم في آن واحد.

وقد فطن زعماء الثورة إلى هذا المكر اللئيم فأذاعوا المناشير المنبهة لسوء نوايا الافرنسيين والمطمئنة للنصارى والمتضمنة تأكيد سمو أهداف الثورة ونوايا

القائمين بها. ومع ذلك فلم تذهب هذه الحركة سدى حيث وقعت بعض الحوادث المؤسفة بين النصارى والثوار في مناطق راشيا وحاصبيا وجبل عامل مما تعمداه الافرنسيون بسبيل تحقيق خططهم في التفرقة وإثارة الخوف والعداء بين طوائف البلاد وطبقاتها.

جوفنيل وبهلو انياته :

على أن فجائع الثورة وأخبارها أثارت قلق فرنسا واضطرتها بعد انفجارها بثلاثة أشهر إلى سحب سراي وتعيين جوفنيل مكانه، وهو سياسي محنك أتمل الافرنسيون فيه القدرة على تهدئة الأمور. وكان هذا أول مفوض سياسي حيث كان أسلافه من العسكريين.

ولقد كان سراي يتهم الانكليز بتعضيد الثورة، ويرى من أدلة ذلك اتخاذ الثوار فلسطين وشرق الاردن مراحاً ومنتجعاً ومصحاً. وقد كان رجال الحركة القومية الذين تولوا تنظيم شئون الثورة وتمويلها وتموينها من الخارج يقيمون وينشطون في البلدين بحرية نسبية؛ فرأى جوفنيل أن يزور لندن للتفاهم على ما ينبغي من تدابير في هذا الصدد. ويظهر أنه كان للانكليز مطالب متصلة بالحدود السورية الفلسطينية والعراقية فتم التفاهم في هذه الزيارة على تحديد جديد يرضي الانكليز ويضمن عونهم المطلوب. ثم قدم جوفنيل الى القاهرة وأخذ يتصل برجال اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني؛ وقد جنح في بدء الاتصال إلى التوافق مع ميشال لطف الله على تحديد العلاقات بين سوريا وفرنسا بمعاهدة تتضمن الاعتراف باستقلال سوريا وقيام حكم وطني دستوري وإصدار عفو عام؛ ثم عقد رجال الحركة والأحزاب اجتماعاً تدارسوا فيه

الموقف وتقدموا بذاكرة مفصلة ضمنوها أهداف الحركة ومطالبها وكانت مصوغة بقالب قوي اتخذ جوفيل وسيلة للاحتجاج والتوقف عن المفاوضات، وغادر القاهرة إلى سوريا حيث أخذ يطلب إلقاء السلاح قبل الدخول في أي مفاوضات، والاعتماد على العدالة الافرنسية بكلمات طنانة مبهمة. والحق إن جوفيل حاول أن يلعب دوراً بهلوانياً بشرثرته وتصريحاته ووعدده ووعيده، ولكنه لم يكشف عن أية رغبة صادقة عنده أو عند حكومته في الاستجابة لصوت الحق؛ وظهر أن ما كان منه إنما كان مراوغة وتخديراً وكسباً للوقت إلى أن تصل الحملات الكبرى التي أزمعت فرنسا على إرسالها للقضاء على الحركة والاستمرار في ما رسمته من منهج باغ، وفرض الحلول الهزيلة الخداعة.

على أن زعماء الثورة ورجال الحركة لم يندفعوا فظلموا من ناحيتهم يصرون على تأليف حكومة يرضون عنها، وإعلان العفو والموافقة على معاهدة تتضمن الاعتراف بالاستقلال والوحدة والحكم الدستوري النيابي قبل إلقاء السلاح.

وفي مكان آخر من دمشق الشام اندلعت ثورة أخرى، كانت صغيرة في بدايتها. ولكنها أصبحت قوة يحسب لها الحساب ومع ذلك فقد أهملها المؤرخون لغاية في نفس يعقوب ولكننا، وإنصافاً منا لكل نقطة دم أريق في سبيل تحرير قرى هذا الوطن، نجد لزماً علينا أن نتحدث عن تلك الثورة بكل ابعادها وتفصيلها إنها ثورة أبناء عكاش.

بداية ثورة أولاد عكاش^(١)

إن أول إشارة رسمية إلى بداية ثورة أولاد عكاش في منطقة دمشق بعامة ومنطقة دمر ووادي بردى خاصة هي البرقية التي أرسلها القنصل البريطاني بدمشق السيد سمات إلى وزير الخارجية الإنكليزي السيد تشامبرلين في ٢٩ تشرين أول ١٩٢٥ وتقول البرقية:

إن السيد بورلاند البريطاني الجنسية والذي يعمل مديراً لشركة البترول الآسيوية في بيروت أتى إلى دمشق في زيارة عمل بسيارة خصوصية وعندما حاول العودة في الساعة الثامنة من يوم ١٣ تشرين الأول مع سائق السيارة حدث معه:

عند وصوله إلى الهامة الضاحية التي تقع في نهاية بساتين والتي هي جزء من دمشق تبعد عن المدينة سبعة أميال... عند وصول السيارة إلى هذا الموقع محطة الهامة - كانت هناك عدة شاحنات على الطريق في المحطة كما يقف بعض الرجال المسلحون ويحتمل أنهم تورطوا في سلب محتويات الشاحنات.

فتح هؤلاء النار من الشاحنة على السيارة التي حولها السائق إلى زاوية ميتة وقفز السائق والسيد بولاند خارج السيارة وهربا على مرأى المهاجمين وأخيراً قابلوا سيارة قادمة خارج المدينة وأوقفوها وقدموا بها إلى القنصلية البريطانية.

(١) عن ثورة الحرية - لعبدان عطار. وقد أعد جميع وثائق الكتاب السيد حسن عكاش ابن قائد الثورة سعيد عكاش.

إن الشاحنة كانت تبدو مدنية وبها شخصان أحدهما دركي جريح وكان عائداً بإجازة وكما فهمت تعرض للقتل...

كان المهاجمون من عصابة عكاش التي ارتكبت الهجوم المشار إليه في شهر تشرين الأول.. إن جرأة المهاجمين يمكن أن تستند إلى حقيقة كونهم متورطين بعملية سلب الشاحنة قرب مدخل المدينة وكذلك لوجود وقت كاف خلال عملية السطو للقيام بعملية أخرى.

إن سائق الشاحنة والتي كانت شاحنته قد أصيبت بتلف كبير غير قابل للإصلاح... احضر الدركي الجريح ومعه سيارة السيد بورلاند بعد أن أفرغها المهاجمون من كل محتوياتها... لقد قمت بمعاينة السيارة فوجدت وصاداتها مبتلة بدماء الدركي الجريح وكذلك غطاء السيارة مثقوب بالرصاص... لقد كان أشبه بالمعجزة نجا السيد بورلاند من تلك الرصاصات مع سائقه.

يقول السيد بورلاند والذي كان مضطرباً لتعرضه للخطر إنني لو أعلم بحالات الخطر هذه على طريق دمشق بيروت لما حضرت بواسطة السيارة وهذه الحادثة نتجت عن محاولة السلطات الفرنسية إخفاء حقيقة حالة الخطر عن الشعب والقنصليات... ولو حذرت السلطات الفرنسية لنبهت (القنصلية على الرعايا البريطانيين حتى لا يتعرضوا للأخطار. وهكذا فالسلطات الفرنسية التي أخفت كل حوادث ثورة أولاد عكاش وذلك في كتابها السجل الذهبي لجيش فرنسا في الشرق ولم تذكر عنهم شيئاً كذلك أخفت حقيقة الثورة في وادي بردى عن قناصل الدول في دمشق مما سبب بحوادث مؤسفة ولكن كيف ابتدأت ثورة أولاد عكاش... إن تاريخ بدء الثورة يعود إلى شهر آب ١٩٢٥.

يقول السيد المجاهد مصطفى عبدالرزاق من مواليد ١٩٠٠ من مجاهدي
ثورة عكاش بوادي بردى ودمر ما يلي:



المجاهد سعيد عكاش من دمر

تنادى أهالي دمر إلى
اجتماع عقد في جبل
قاسيون المشرف على دمر
وحضر، رجال كثر من
قرية دمر وصاروا يحثون
الناس على الثورة ضد
الفرنسيين والمساهمة
بالنضال إلى جانب أبناء
جبل العرب والغوطة
وحماة وحمص والقلمون
والحرمون ودير الزور
وغيرها... وبعد استعراض

حوادث الثورة بدأ النقاش في كيفية القيام بهذا الواجب الوطني وتطوع البعض
بأنفسهم للجهاد في سبيل الله ضد المستعمر وتبرع الآخرون، وكان أول
المتبرعين السيد حسن عساكر أبو حمدي الذي قدم بارودة، ودفع مبلغ من المال
كما تبرع آخرون بالمال فاشترى ثلاثة بنادق عثمانية وتطوع مع أولاد عكاش
كثير من شباب دمر حيث كانوا مزارعين أو يعملون بتربية المواشي، ولا يمكن
أن يجودوا بأكثر من جهدهم. بدمائهم في سبيل الوطن.

وفي الاول من أيلول قام سعيد عكاش بضرب مخفر دمر وقتل أحد أفراد

وأخذ جميع السلاح والذخيرة الموجودة به (تسعة بواريد) عند ذلك انضم لهم أحمد عثمان الداري ومحمود متاعة الشيخ خالد وأحمد بدران ومحي الدين خضير ومصطفى عبدالله ومحمد ماليل عبدالعال وعلي عبدالرزاق ... وكانوا قد قاموا بالاغارة على قرية دير مقرن حيث استولوا على سبعة بنادق وبذا أصبح لدى الثوار بنادق كافية إضافة إلى الذخيرة ... عندما علمت السلطات الفرنسية بهاتين الغارتين علي مخفري دمر ووادي بردى (دير مقرن) قامت بمهاجمة قرية دمر وتفتيش منازلها بحثاً عن الثوار دون فائدة لأن الثوار كانوا في المجر الكثيرة في جبل قاسيون وقام الفرنسيون بحرق بيوت الثوار ومصادرة مملكاتهم في دمر والهامة وجرايا...

في ٢٣ تشرين الثاني قتل الثوار مأمور محطة دمر إبراهيم الجوخدار (امير بلاما) وقطعوا اسلاك الهاتف المتصلة بدمشق وهربوا الى المجر في الجبال بعيداً عن أعين الفرنسيين من الرجال الذين باعوا ضمائرهم إلى السلطات الفرنسية في سبيل المال عندها قام الفرنسيون بمهاجمة قرية دمر ثانية وحرقت وهدمت بيت القائد سعيد عكاش فانتقل مع عائلته إلى قرية الأشرفية. وقد كتبت السيدة أليس بولو حول الحادثة: ص ١٥٤ الترجمة العربية علمت اليوم من مصدر موثوق أن جميع ضواحي دمشق بما فيها البساتين محتلة من قبل الثوار. وقد تعرض أحد أصدقائنا ممن يعملون بخدمة الفرنسيين برصاص غزير وهو يطوي الأرض بسيارته. فقص علينا ذلك وقطرات العرق لاتزال تلمع على جبهته إضافة إلى مظاهر القلق. وأضاف أنه أصبح من المستحيل الخروج من دمشق بعد الآن وقد قتل رئيس محطة دمر وهو شخص لطيف اسمه أمير بلاما كان يؤبني بود على جولاتي التي أقوم بها لوحدي وبعد قتله نهبت الخطة والقرية نفسها.

كما أن المضائق التي يمر منها نهر بردى إحتلتها عصابات الثوار التي ازداد عددها بصورة ملحوظة من جراء إنضمام أهالي الشاغور الذين أصبحوا بدون مأوى. وكذلك سكان القرى التي أحرقت في منطقة الغوطة. بل حتى الطلاب والمثقفين أيضا كما يقال. لم يمكننا إخافة كل هؤلاء الناس إذن؟ لم يستفيدوا مطلقاً من درس دمشق الذي لقنناهم إياه بطلقات المدافع.

اذن من هو المخدوع في هذه القضية؟

بعد هدم بيوت الثوار في دمر تقول السيدة دبية الموازيني زوجة الثائر سعيد عكاش مايلي:

قام زوجي سعيد عكاش مع رجاله بعدة هجمات على محطة القطار في دمر ومخافر المهاجرين ووادي بردى استهدف فيها قتل وأسر بعض جنود الجيش الفرنسي ومصادرة اسلحة رجال الدرك السورية واستطاع تسليح جميع رجاله. بعدها قامت السلطات الفرنسية بملاحقة ومداهمة بيوتنا في قرية دمر وسلبوا متاعنا وحرقوا المنازل ودمروها وشرردونا من دمر فذهبنا إلى أهلي في قرية الأشرفية. وهناك قام زوجي بتأسيس قيادة جديدة للثورة في منزل والدتي (وردة الموازيني).

فخصص عنابر لجمع الطحين والحبوب وخصص مطبخ لأكل الثوار وسلامة طعامهم وكانت تشرف على طهي الطعام والدتي ورده وقد قام بطبع إيصالات لجمع أموال المنطقة من ضرائب وعشر المال أي ضرائب الماعز عوضاً عن الدولة التي كانت تجمعها اذ ذاك وهذه الايصالات ممهورة بخاتم الثورة. وقد وضع هذا باسم شقيق زوجي المجاهد محمد عكاش أحد فرسان أولاد عكاش الثلاثة الذي كان مكلفاً بدفع الرواتب للثوار وصرف المؤونات والذخيرة -

وبعد أن نظمت قيادة الثورة تماماً قام زوجي وإخوته محمد وعبدو عكاش بزيارة جميع قرى المنطقة من أجل جمع الأموال وخاصة من بيوت الأغنياء ومنهم الأمراء - ومن يملكون الماعز. وبهذه الأثناء ذاع صيت زوجي سعيد عكاش وكبر شأنه بين أوساط الثوار واتصل به القائد الفرنسي للمفاوضة وعرض عليه الكثير من المال والمناصب الرفيعة ولكنه كان يصبر على استقلال البلاد وعدم التعاون مع فرنسا.

وقد كانت الصحف والمجلات السورية واللبنانية تتحدث وتنشر عنه وعن بطولة رجاله الأشاوس وبدأت النساء تتغنى في الأفراح باسمه.

ومن خوف الفرنسيين وقسوتهم هاجموا قرية الأشرافية وأحرقوا القرية ومنازلنا وألقوا القبض علي وعلى ولدي الصغير حسين ووالدتي وردة وسجنا في قلعة دمشق وأعلن الفرنسيون في الصحف أن على سعيد عكاش أن يسلم نفسه مقابل إطلاق سراح زوجته وولده.

وتصادف أن قام زوجي ورجاله بضرب قطار مصفح في منطقة دمر وأسر بعض الضباط الفرنسيين وعائلاتهم... وعندها قام بالمساومة على إطلاق عائلات الفرنسيين الموجودين بالقطار.

معارك وادي بردى الأولى :

بعد ان اكتمل تنظيم المجموعة الثورية المعروفة بشورة أولاد عكاش وهاجمت مخافر المهاجرين والهامة ودمر والفيجة ودير مقرون. وجمعت سلاحا وعدداً، قامت بفرض الضرائب والمساعدات على سكان منطقة وادي بردى

والقرى المجاورة لها. وقد ذكرت الصحف الصادرة في تلك الفترة، خاصة جريدة المقتبس اخبار تحركاتها، وحاول الفرنسيون واعوانهم ملاحقة العصابة فقبضوا على يوسف غرة وتشير الجريدة الى اعتقال غره بحيث اصبح عدد المقبوض عليهم ثلاثة ومن هذه الاخبار.

بعد أن اجتمع مقاتلوا ثورة سعيد عكاش في منطقة وادي بردي، اتصلوا بجميع القرى لامداد الثورة، ففرضت المجموعة الضرائب على المنطقة، لإطعام الشوار، وكانت القرى التي تتمرد وتصر على دفع الضرائب والأموال للفرنسيين، تتخذ بحقها إجراءات تجبر زعماءها على إمداد الثورة، كما حدث في قرية يعفور ... ويدل على كلامنا هذا ما نشرته جريدة المقتبس الموالية لفرنسا ففي عدد ٤٤٠٧ ك ٨ ٢ - ١٩٢٦ ذكرت الخبر التالي:

علمنا أن عصابة عكاش جاءت إلى الأشرفية، بعد أن فعلت ما فعلت بمنطقة يعفور واتينا على ذكره في إعدادنا الماضية.

وفي العدد ٤٤٠٩ ك ١١ ٢ - ١٩٢٦ :

ترامى لمخبرنا أن عصابة سعيد عكاش جاءت إلى قرية الأشرفية وأخذت منها طعاماً وعلفاً للخيول، وأن رجال هذه العصابة هم من أهالي الأشرفية وبسيمة والهامة والجديدة.

وفي العدد ٤٤٠٦ تاريخ ٢٠ كانون ثاني تحت عنوان: في طريق بيروت وفي الأنباء الواردة إلى مقام رسمي أنه انضم إلى الشوار بعض أهالي بسيمة والأشرفية وقد اتخذت التدابير اللازمة لمطاردتهم.

وفي العدد ٤٤٠١ - ١ - كانون الثاني ١٩٢٦.

عصابة عكاش: جاءت عصابة عكاش إلى قرية الهامة وطلبت دراهم من اهاليها، ولم نعلم بعد ذلك ما جرى بينها وبين الأهالي وفي العدد ٤٤١٠ تاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٢٦، أمت عصابة أولاد عكاش قرية قدسية وفرضت عليها غرامة ولم يعلم مخبرنا ما تم بين العصابة والاهلين، وفي العدد ٤٣٦٤ تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٢٥ ذكرت الجريدة انه القي القبض في دمشق على يوسف غرة من أهالي الهامة المنضم بعصابة عكاش وقد اضحى بذلك عدد المقبوض عليهم من هذه العصابة ثلاثة.

بعد أن اكتمل التجمع من الهامة ودمر وقلدياً ويعفور والأشرفية وبسيمة والجديدة كما مر في أخبار الصحافة المذكورة توجه الثوار إلى قرية عين الفيحة.

ففي ١٩ كانون الأول توجه الثوار إلى دير مقرن حيث عقدوا اجتماعاً بدار الوجيه محي الدين عرفات، أبونايف، ثم توجهوا إلى قرية عين الفيحة وقد حاصر الثوار الخطة ثم هاجموا وقتلوا كل الجنود المتمركزين في الخطة، وعلى أثر هذا العمل أرسلت السلطة الفرنسية إلى المنطقة حملة كبيرة من الخيالة، مدعومة بالمصفحات لضرب الثوار ولما كانت اعداد الحملة تفوق قوة الثوار كثيراً وذخائر الثوار قليلة بعد معركة الخطة لذلك انسحب الثوار إلى منطقة افرة في اعالي جبال القلمون الثلجة ونزلوا بضيافة السيد يوسف عباس مختار افرة وكان على صلة وطيدة معهم، ويؤيد الثورة لوطنيته وكرهه للمستعمر، ولكن الحملة الفرنسية لحقت بهم رغم البرد والثلوج فالتجأ الثوار إلى مكان يسمى الشلاجة وهو مكان مخصص لجمع الثلج في الشتاء وضغطه حتى يبقى لفصل الصيف... وقد علم مخبرو السلطة الفرنسية بمكان وجود الثوار فقام

الجنود الفرنسيون بتطويق المنطقة واشتبكوا بمعركة كبيرة، استمرت حتى اليوم التالي، وأدرك الثوار الوضع الحرج فقاموا بعملية مدروسة حيث انقسموا إلى مجموعات هاجوا الممرات المؤدية إلى الشلاجة بعنف دفعة واحدة اذهلت الجنود الفرنسيين الذين تخلوا عن مواقعهم، فاستطاع عندها الثوار كسر الطوق المضروب حولهم والإفلات من الفخ وقد قتل قائد الحملة الفرنسية وهو الضابط فارس نعمو في هذا الهجوم مما جعل الفرع يدب في صفوف الجنود الفرنسيين.

وقد أفاد السيد أبو نايف عرفات أن «٢٠٠» مواطن من قرى دير مقرر وكفير الزيت ودير قانون وبرهليا وسوق وادي بردى والحسينية اجتمعوا بعد نداء في المآذن وذهبوا إلى مكان مخصص فوق السوق في فم القبو «النفق تحت الأرض، وهناك قاموا بفك الخط الحديدي للقطار بينما كانت قوات سعيد عكاش مرابطة حول المنطقة، لحماية الأهالي وما أن وصل القطار إلى مدخل النفق قادما من الزبداني... حتى تدهورت المقطورات حيث أن القطار كان معكوساً القاطرة في المؤخرة خوفاً من الاعتداء عليها... فقام قائد القاطرة بفصلها عن المقطورات وهرب عائداً إلى الزبداني لأخبار السلطة...

أما المقطورات فكان بها كثير من الجنود الفرنسيين فنشبت معركة حامية دامت ساعتين بينهم وبين الثوار من رجال سعيد عكاش، وقام اهل المنطقة بجمع الأسلحة والغنائم بعد إبادة القوة الفرنسية، ولكن الفرنسيين اعدوا حملة ثانية في نفس اليوم حضرت من الزبداني ولكن مقاومة الثوار منعت الحملة من تحقيق اهدافها لأن الثوار كانوا مرابطين في اعمالي الجبل بمواقعهم الحصينة، اما الأهالي فقد اختبأوا في المغر المعروفة في بطن الجبل - وانسحبت الحملة دون ان تحقق أهدافها.

بعد ذلك عاد سكان القرى إلى قراهم، وقدموا للشوار الأطعمة والماء، ولكن الفرنسيين جمعوا فلولهم وأحضروا مدفعية نصبت على قمة جبل هايل، وأخذت تضرب بقنابلها قرى وادي بردى وتدمر المنازل، كما حضرت الطائرات وبدأت بقصف المنازل وبقيت المعركة لمدة اسبوع.

وقد ذكرت السيدة اليس يولو في ١٩ كانون الأول ما يلي:

قام الثوار بالسطو على صندوق سرية الجيش المتمركزة في عين الفيحة، وقد ادعى مستخدم ارمي هناك انه ايطالي، لكي ينجو بنفسه، وأعلن عكاش رئيس العصابة انه بحالة حرب مع الفرنسيين فقط ومع العسكريين منهم بشكل خاص.

وقد صرح السيد ابو نايف عرفات فقال: كان الجنود الفرنسيون المرابطون في منطقتنا يعتدون على الأهليين، بينما كانت معاملة الثوار للأهليين حسنة، لذلك كان السكان يؤيدون الثورة، ويساعدون الثوار، سواء بالحرب والعمل أو بتقديم الأطعمة لهم والأعلاف لخيولهم.

وكان الثوار يحافظون على النساء وممتلكات المواطنين، بينما السلطة تنصب المدافع التي تطلق حممها على كل المنازل، دون تفريق حتى على منازل اعيان السلطة، وكذلك الطائرات.

وكانت النساء لا تخرج للعمل الزراعي في الأراضي إلا إذا كانت ثورة عكاش موجودة خوفاً من اعتداء الجنود لذلك كان الثوار مقربين من السكان، وبعد المعركة حضر إلى منزلنا (عرفات) في دير مقرن ضباط من المتطوعين مع

السلطة وهم مدحت بك وعادل بك وتوفيق بك، واخذوني مع مخاتير قرى المنطقة وذهبوا بنا الى الزيداني عند المستشار الفرنسي وقاموا بالتحقيق معنا بواسطة - الياس جهامي - الزحمان وهددونا بالقتل طالين منا اعلامهم كلما أتى الثوار إلى عندنا ثم اطلق سراحنا.

ويذكر بعض الثوار أن أول معركة لقطع الطريق بين دمشق ورياق كانت بتاريخ ١٤ - ١٥ - ١٩٢٥ عندما وصل الخبر إلى قيادة الثورة أن قطارا مصفحاً حاملاً ضباط وجنود فرنسيين، سيمر باتجاه ريق في ذلك التاريخ، ووصل إلى دمر الثائر حسن الخراط أبو محمد على رأس قوة من رجاله، واجتمع بالثائر سعيد عكاش واتفقا على ضرب هذا القطار. وفي اليوم المحدد ذهب الثوار إلى قصر خالد العظم، ورابطوا قرب القصر، وعلى جانبي الخط الحديدي، وعند وصول القطار، وفي مقدمته عربة مصفحة، وأكياس من الرمل لحمايتها من بنادق الثوار، وقد ركبت في مقدمتها مدفع رشاش هوتشكيس أقول عند وصول القطار، أطلق الثوار النار عليه، فوقف، ونزل منه الجنود، وردوا على إطلاق النار بالمثل، وتبادل الطرفان الرمي، واحتدمت المعركة لمدة ساعة تقريباً سيطر بنتيجتها الثوار على القطار وغنموا ما به من أسلحة وذخيرة، جاء إلى سعيد عكاش الثائر حسن الخراط ومعه فتاة أرمنية، ويده وسام، وقال موجه الكلام إلى سعيد عكاش: شوف عمي ابو دياب هذا الوسام لقد قتلت صاحبه. فقال سعيد عكاش: هذا الوسام صاحبه برتبة باشا وعلقه على صدر حسن الخراط، وقال له من الآن فصاعد اسمك حسن باشا الخراط وأثنى على بطولته وشجاعته ورجولته.

أما الفتاة الأرمنية واسمها روزين وكانت تقطن في دمشق حي باب شرقي،

زقاق الزيتون، فقد استلمها سعيد عكاش وسلمها لزوجته دية الموازيني فنقلت بإشرافها إلى قرية الأشرفية. وبقيت في ضيافتها ما يقارب العشرين يوماً، بالأمان إلى أن حضر أهلها بعد ذلك واستسلموها وهي بنت باكر. وشكروا الثوار على حفظهم لابنتهم من أي اعتداء. وقدموا مكافأة مالية كبيرة مساعدة للثورة.

بعد مضي أربع سنوات، وكان الثائر سعيد عكاش مع أخيه في القاهرة، وصلته رسالة مع اسطوانة من هذه الفتاة الأرمنية، وعلى الأسطوانة أغنية بصوتها، تقول كلمات الأغنية، أوف سعيد عكاش بالحرب ما خاب - مثل صقر يوم الحرابي بطل حامي الشرف والعرض بحد النصاب - يوم الوغا مثل مفرج الكرابي ويذكر مختار قرية عين الفيحة عن هذه المعارك فيقول: التحق المجاهد مسعود ناصر بثورة اولاد عكاش، واشترك في أكثر المعارك التي جرت في الزور والغوطة، كما اشترك في خلع السكة الحديدية وضرب القطارات في قريتنا، وضرب قلعة بعلبك وقد كان بين رفاقه الثوار من المشهورين بالعمليات الانتحارية ... وبعد معركة عين الفيحة ودير مقرون وانسحاب الثوار الى إفرة التجأ المجاهد مسعود ناصر سراً الى أحد بيوت القرية ليأخذ قسطاً من الراحة...

فقام العملاء بإعلام السلطة الفرنسية بأن المجاهد مسعود ناصر الدين في أحد بيوت القرية، فحضرت حملة قوية مقدرة بأكثر من ألف جندي وحاصرت المنزل ثم كسر الجنود الباب ودخلوا البيت فوجدوا مسعود ناصر نائماً من شدة التعب وما أن فتح عينيه على صوتهم العالي، حتى رأى عشرة بنادق مصوبة عليه بعد تجريده من سلاحه وذخيرته، أخذوه الى قيادة الدرك في الزبداني وقيدوه بالجنازير ونقلوه الى قلعة دمشق حيث التحقيق والتعذيب من السلطة الفرنسية. وقد طلب منه الفرنسيون أن يتعاون معهم لقتل الثائر سعيد

عكاش أو إعلامهم عن الأمكنة التي يتردد عليها ليقبضوا عليه حيا وأغروه بالمال الكثير فرفض ذلك ياباء... وظل في المعتقل تحت ظلم وتعذيب الفرنسيين... وكان والده ووالدته كلما زاروه يشاهدون ما عليه من العذاب فيتألمون لذلك..

وأخيراً قام والده مع وجهاء المنطقة، بالذهاب الى الزبداني للتوسط مع توفيق الشماط من قرية سرغايا المقرب من السلطة الفرنسية للتوسط لديهم لإطلاق سراحه على ان يتعهد والده بعدم التحاقه بالثورة ... فكان له ما يريد وبعد أيام قليلة خرج المجاهد مسعود ناصر الدين من معتقله بدمشق واقيمت له الأفراح في عين الفيحة ولكنه بعد عدة ايام التحق بالثورة من جديد....

معركة الزور الاولى :

شارك سعيد عكاش في أهم معركة وهي معركة الزور الاولى، في الغوطة الشرقية حيث ذكر لنا فهمي الحاييري في مذكراته ما جرى قبل نشوب المعركة وما هي اسبابها بالتفصيل: بأنه في يوم الجمعة ٩ تشرين الأول سنة ١٩٢٥ ذهبت مفرزة من رجال الدرك للتجول في منطقة الغوطة، ذلك على اثر استفحال أمر عصابة الخراط فباتت تلك الليلة في قرية المليحة وحسب العادة توزع الجنود على بيوت أهل القرية، كل واحد أو أثنان في بيت وكذا ضباطهم. كانت هذه المفرزة تتألف من اثنين وستين جندياً فارساً وخمسة ضباط يرأسهم ضابط برتبة رئيس هو رفيق بك العظمة والآخرين الرئيس أديب من كفر بطنا والملازم أحمد يغمور والمرشحان عبدالرحيم الداعستاني وابراهيم الايوي، ولما أنتصف الليل جاء حسن الخراط على رأس عصابة قدرت بمائة وخمسون رجلاً أكثرهم بدون سلاح وكان معه (أبو عبدو ديب الشيخ وابو صلاح العرجا

والشيخ نديم، فطرقوا الباب على الضباط وطلبوا إليهم التسليم فأبوا فأقتادوهم قسرا وصاروا يأتون الى كل بيت فيه جنود فيطرقون الباب ويقولون لهم الضابط يريدكم: فيقبضون على الواحد تلو الآخر ويجردونه من سلاحه وملابسه ويطلقونه حتى اذا أتموا عملهم هذا اصطحبوا الضباط الخمسة وساقوهم الى جبل العرب حيث المقر العام للقيادة العليا للثورة وقد كتبت الجرائد في يوم الاحد ١١ من تشرين الأول سنة ١٩٢٥ بأن الحكومة بدأت بالتلاش واختل الأمن، وازداد عنفوان الثورة السورية في دمشق والغوطين ونتيجة للهجمات التي قام بها سعيد عكاش ورجاله في الغوطين قام الإفرنسيون بمبادرة مفاوضة صلح مع عكاش وقد قام بهذه الوساطة مدير شركة التزام بدمشق وهو بلجيكي والسيد أنور البكري بالتشاور مع النائب سعيد عكاش عدة مرات، فبعد دراسة الوضع بين أولاد عكاش الثلاثة وأخذ الرأي على الموافقة على هذا اللقاء، واتفقوا على أن يكون الاجتماع في جسر الغيضة في الغوطة الشرقية، وكان ذلك يوم ١٣ تشرين الأول ١٩٢٥، ولما وصل سعيد عكاش إلى الغوطة وجد هناك زعماء الثورات الآخرين أمثال النائب ديب الشيخ أبو عبدو سكر أبو ياسين الزبيق وأبو محي الدين شعبان الشيخ حجازي الكيلاني والشيخ محمد الأشمر سعيد العاص وبعد الاجتماع إتفق زعماء الثوار، وفوضوا جميعهم سعيد عكاش وإخوته لينوبوا عن الجميع بالمفاوضة وعند وصول الضباط الإفرنسيين حسب الموعد المتفق وبرفقتهم السيد أنور البكري ومدير حافلات التزام البلجيكي، جرت المحادثة بين الطرفين للموافقة على الصلح، وقدمت السلطة الفرنسية شروطا مالية مغرية لترشوا الثوار، ولكن المحادثات فشلت وفي يوم الثلاثاء ١٣ تشرين الأول ١٩٢٥: على أثر اضطراب الأمن الداخلي والخارجي، أرسلت فرنسا ألف جندي إفرنسي للمحافظة على قضاء القنيطرة

وقطنا وانسحب على الأثر الدرك الأهلي. ويفهم من الأخبار الواردة من غوطة دمشق أن عصاة حسن الخراط تتزايد يوماً عن يوم وقد اتخذت لنفسها مركزاً في غابات الزور حيث يتعذر جداً على القوى العسكرية أن تقاومها هناك بالنظر لصعوبة التنقل بالمنطقة.

وتحت عنوان «تفاقم الحال واشتباك الجيش لأول مرة مع ثوار دمشق» نشرت جريدة ألف باء بعددها (١٥٤٩).

الثلاثاء ١٣ تشرين الأول ١٩٢٥: زحفت الحملة في الساعة الثانية بعد منتصف ليل الثلاثاء بقيادة الكابتن بورو ويساعده الكابتن ثيريه مزودة بالتعليمات اللازمة وهي مؤلفة من فوج (طابور) فرسان وألاي (بلوك) من مشاة المغاربة ومفرزة من فرسان الشرکس و (١٢) دركياً يصحبها بطاريان رشاش وست سيارات مدرعة فوصلت في الساعة السابعة قبل ظهر الثلاثاء إلى جهات الزور «والزور هو غاب كثيف يحيط ببردى في وسطه غوطة دمشق» فلما اقترب الجند من هناك بدأ العصاة بإطلاق الرصاص من داخل الزور فأمر قائد الحملة جنوده بتطويق المكان من جهاته الأربع وذلك بوضع مخافر يبعد الواحد عن الآخر (٥٠٠) متر ثم انقسمت القوة إلى ستة أقسام وعندها بدأت الطيارات ترمي قذائفها بكثرة على الزور من كل جهاته حتى الساعة العاشرة زوالية. وبعد ذلك أعطي الأمر إلى الجند بالهجوم فتوغلت قوى الجيش في الزور من جميع أطرافه وكان العصاة يقابلونهم ببسالة ونار حامية ودامت المعركة على أشدها بين الفريقين حتى الساعة الرابعة بعد الظهر وسقط فيها من رجال الشوار ما يبلغ عدده (١٠٠) قتيل وكان عددهم يقدر بـ (٣٠٠)، لكن قسم قليل منهم لم يستسلم مطلقاً، وقد صرح لنا قائد الحملة أن الرصاص كان يطر عليهم

من كل جهة وأن رجال الدرك السوري الذين رافقوا الحملة استبسلوا وكانوا يقاتلونه بشجاعة أدهشت جميع القواد فهناهم قائد الحملة بعد أن تمت المعركة. وفي اليوم الثاني ترك الجيش قوة تعقب العصاة وعاد إلى دمشق ومعه قسم من القتلى عدده (٣٤) قتيلاً وعدد كبير من الموقوفين يبلغ عددهم (١١٥) شخصاً وهم خلاف الذين اعتقلوا قبلاً وجيء بهم من معمل الزجاج وهؤلاء من القرى المجاورة ولقد عرض القتلى والموقوفين في ساحة المرجة أمام جمهور كبير من الناس فعرف ذووهم خمسة منهم (٣) من دمشق وواحد من العقبية وإثنان من محلة الميدان وإثنان من قرية بيت سحم.

وقد سألنا قائد الحملة لماذا ضربوا (أي الجيش) قرية المليحة فأجاب أن أهلها قابلونا بالرصاص فقتل من الجند واحد وجرح بضعة جنود وعن قرية (جرمانا) قال لأن أكثر أهلها وفدوا من جبل العرب واشتركوا مع ثواره.

وعن قرية (جسرين) قال أن رجلاً من دار هناك أطلق رصاصة أصابت جندياً فحرقوا الدار المذكورة فقط.

وصرح لنا أيضاً أن الجيش جمع القتلى ووجد معهم مزاليز وأخبرنا الكاتبين (كارييه) أنه فحص الموقوفين في معمل الزجاج فعرف منهم (٢٢) درزياً من الجبل وعرف الدركي بدر الدين رقم (٣٥) وثلاثة من القتلى كانوا مع العصاة التي هجمت عليهم في المليحة هذا ما اتصل بنا من أخبار الحملة على العصاة أخذناه من أفواه الذين رافقواها ونشروه كما ذكرنا، وكنا نود ولو غطت حوادث الدهر من ذيول هذه المأساة التي شاهدناها أمس ولكن لكل أجر كتاب.

أما حسن الخراط زعيم العصابة فلم يثبت قتله ولا أسره. هذا ما جاء في جريدة ألف باء. أما الحقيقة كما يقولها فهمي الحايري في مذكراته فمختلف كثيراً عن هذه الرواية ومن نقض بعض جمل جاءت في أقوال الحملة يعلم ما أخفى وما ظهر.

١ - العصابة لم تكن مؤلفة من ثلاثمائة شخص كما قدر (القائد) إذ أنها كانت في بداية تشكيلها وعرفنا ذلك بعد حوادث دمشق من أحد أفرادها. قال: إن الأشخاص الذين كانوا يحملون البنادق في وقعة (الزور) هم من «٤٥ - ٥٠» شخصاً على أكثر تقدير ومثلهم أو أقل ينقلون من أسلحة عادية. فمن هنا يتضح لنا أمرين الأول كون الأسرى المزعومة ليست من أفراد العصابة وكذلك القتلى.

لأن عدد الأسرى المذكورة في إفادة القائد تفوق مجموع أفراد العصابة وكذلك القتلى فمن أين أتت هذه الزيادة؟

هذا فضلاً عن المائة قتيل الذين ادعى القائد قتلهم في أبان المعركة كذلك (٣٥٠) قتيلاً الذين جيء بهم إلى ساحة دمشق. والحقيقة التي لا مرية فيها أن الحملة المذكورة عندما تغلبت عليها تلك العصابة الصغيرة بالنظر لموقفها الطبيعي، أخذ الجيش ينتقم من القرى المجاورة فقال الأسرى هم شيوخ تجاوزوا سن الثمانين أو فتيان لم يبلغوا الثالثة عشر من العمر جيء بهم من حقولهم ومن وراء محارثهم كما شهدت بذلك أهل الأرض والسماء فقتل من قتل منهم ظلماً وعدواناً والباقي أخذوا بصفة أسرى إليها كالأهالي في دمشق. ولكن الحقيقة لا تخفى مهما كان مخفيها بارعاً.

٢ - يدعي القائد بأنه جمع سلاح العصابة مع مزاليز واحد ولكنه لم يبين عددها ثم لم نرى أهل دمشق وأنا واحد منهم مع الجيش الراجع ولا بندقية واحدة زيادة أولا نعرف لماذا لم تعرض في الساحة العامة إن كان ذلك صحيحاً كما عرضت جثث الأبرياء من المزارعين؟؟؟

٣ - يذكر القائد أنه عرف بين القتلى خمسة أو ثلاثة أشخاص من دمشق واحد من العقبية وإثنان في الميدان وإثنين من بيت سحيم فإن كان الأمر كذلك لماذا لم يذكر أسماءهم...؟.

٤ - يقول أنه أحرق القرى لأن أهلها أطلقوا على الجند النار، ترى لماذا بعد أن قضى على العصابة وقتل منها (١٣٥) شخصاً تعرض إلى القرى؟ والمعروف أن العصابة ليست من إحدى هذه القرى بل إنها من حرج الزور. إذن لقد تعمد حرق قرية المليحة التي طوقتها العصابة منذ أيام وسلبت مفرزة الدرك أسلحتها فما ذنب القرويين.

ويقول أنه ترك قسم من الجيش يتعقب العصاة! وأين هو هذا القسم ولماذا لم يعد أبداً ثم أنه لم يعين أنواع الجند الذين تركوا إلى التعقب! وهل هم من الجراكس أم من المغاربة أم من غيرهم فالمعروف أن الحملة رجعت ناقصة! ومساء الثلاثاء أغلقت أفراد الشرطة المدينة من الغروب، ولماذا رؤى سيارات الجرحى تنقل جرحى الجيش إلى منتصف الليل فمن أين هؤلاء. ولم يذكر القائد خسائر الحملة إلا أنه جاء عرضاً على ذكر بعض الجنود الذين قتلوا من القرى التي أحرق من أجلهم إذن ففي المصادمة مع العصاة لم يقتل أحد من الجيش على ما اعتقدا ولكن من أين الجرحى وجدت أمن المريخ؟

٦ - قال أن الدرك السوري استبسل في هذه المعركة ماذا يريد أن يفهمنا:
أن السوريين غير راضين على أعمال الثوار (هذا حق) ومن يرضى عن أعمال
عصاة من المسلحين السلايين!!

إثني عشر دركياً ستماية من رجال الجيش لم ير القائد استبسال غير هؤلاء
بالله أهذه الدرجة بلغت التمويهات.

الخلاصة أن العصاة لم تصب بأذى كما عرف بعد بضعة أيام من هذه
الحملة إذ أنها بدأت تهدد دمشق فتخطف زيدا تارة وبكرا تارة أخرى حتى
أفضى الأمر بدخولها الى دمشق ووقوع الكارثة.

ونتيجة لما قام به الفرنسيين في قرية المليحة من نهب وقتل وحرق القرى
والتككيل بالفلاحين وتعذيبهم حيث عملت على توثيق أيديهم بالحبال الى وراء
ظهورهم وسيرت خلفهم بعض الجمال والعربات المحملة بجثث القتلى المتقطعة
الأوصال وعرضهم جميعاً في ساحة المرجة وقعت في صباح يوم الأربعاء الرابع
عشر من شهر تشرين الأول ١٩٢٥ معركة الزور الأولى حيث قام المجاهدين
بتزيين جبهة واستحكموا وراء الأشجار والدكوك ومجاري نهر بردى ولما دنت
الوحدات العسكرية منهم بادرت باطلاق النار من أسلحتها المتنوعة بشدة هائلة
وجرت معركة حامية صمد فيها المجاهدون ومنعوا الحملة الفرنسية الكبيرة من
التقدم، فقد تدخل سلاح الطيران الفرنسي في هذه المعركة الرهيبة فحلقت أربع
طائرات فرنسية على علو منخفض وقذفت قنابلها المدمرة على منطقة الزور
فأسقط المجاهدون واحد منها ولما أوشك عتاد المجاهدون على النفاذ انسحبوا من
الزور وقام بحماية عملية الانسحاب المجاهد ديب الشيخ وبعض إخوانه ثم
لحقوا بهم إلى أرض المرج.

وقد بدأت هذه المعركة من الساعة التاسعة والنصف صباحاً حتى المساء وانسحب أكثر المجاهدين لنفاذ ذخيرتهم وأخذوا خيول رفاقهم. وقد صمد في وجه هذه الحملة محمد حجازي الكيلاني وإخوته ومحمود الأغواني وحسن الخراط ومنير خطيب وإبراهيم الطناني وقد أصيب حسن الخراط في هذه المعركة في كتفه فحمله رسلان حجازي على ظهره حتى قرية حمورية وكان معه ابن أخيه سعيد الخراط.

معركة مسرابا :

وقعت معركة مسرابا في يوم الأربعاء ١٨ ايلول ١٩٢٦ وقد اشتبك المجاهدون مع الكوكبات الشركسية بجوار قرية مسرابا بمعركة دامية أسفرت عن تكبيد عصابة الأمير عز الدين الجزائري وعصابة سعيد عكاش وإخوته خسارة فادحة.

معركة جنوب حوران في ١١ أكتوبر ١٩٢٥ :

هذا وبعد عودة سعيد عكاش من جبل العرب وأثناء مروره في الأراضي الشرقية لحدود حوران اشتبك مع متطوعة من الشركس في معركة دامية دامت عدة ساعات استبسل فيها رجال ثورته الأبطال وأبدوا بطولة نادرة في هذه المعركة وتغلبوا على المتطوعة وهزموهم بعد أن قتلوا منهم حوالي (٤٠) أربعين قتيلاً مقابل ثلاثة شهداء من الشوار وهذه المعركة أيدتها الصحف اللبنانية في بيروت بتفاصيلها إلا فيما يتعلق بقتلى المتطوعة فقد قالت إن عدد قتلاهم مجهول وذلك تفادياً لاستهداف العقوبة والاغلاق كما جاء في الوثيقة المصرية هذا وقد

صرح على أحداث هذه المعركة مكتب الاستعلامات السوري بالقاهرة في الوثيقة رقم (٥٤) تاريخ (١١) أكتوبر تشرين الثاني ١٩٢٦ والنشرة ٢٣٦..

معركة معربا في (٥٥) ايلول ١٩٢٦ :

وقعت أحداث هذه المعركة صباح يوم الأربعاء الواقع في (٥) أيلول ١٩٢٦ بين سعيد عكاش ورجاله والقائد سعيد العاص وثورته وبين بضع كتائب من الجيش الفرنسي بقيادة الكابيتين (كوك) وقد استمرت هذه المعركة ساعتين متواليتين وكان موقع الشوار حصينا تسره الغابات والأدغال أثناء الثورة، استعمل العدو في هذه المعركة جميع أصناف الأسلحة من مدفعية ورشاشات ومصفحات وطائرات وقد استبسل الشوار في هذه المعركة القاسية وقاتلوا قتالا مستميتاً لم يعهد لهم من قبل حتى سيطروا على المعركة تماماً بعد أن قتلوا وجرحوا من الجنود الفرنسيين قرابة ثلاثمائة عسكري ومتطوع وغنموا الأسلحة والذخيرة وقد شوهدت طيارات الإسعاف تغدو وتروح في سماء دمشق محلقة تنقل الجرحى من الضباط والسيارات الصحية تتوافد أرتالاً، وكان الجنرال (فالير) يراقب المعركة من موقعه حوالي نهر تورا. ويقدر المجاورون لمكان الواقعة بأن الخسائر الفرنسية كبير جدا وفادحة لا تقدر.

معركة حمورية :

في ٢٢ تموز ١٩٢٦ وقعت هذه المعركة في أرض حمورية يوم الخميس في ٢٢ تموز ١٩٢٦ فقد خرج سلاح الفرسان التابع للواء الصباحين والمراكشييين إلى أرض حمورية تدعمهم سرية من الدبابات والمصفحات وحلقت خمسة عشرة طائرة فوق مواقع المجاهدين وقذفتهم بقنابلها المتفجرة زهاء ساعة تمهيداً لهجوم

الحملة وفي هذه الفترة جاءت عصابات حرسنا وجوبر يتقدمها عبد الحكيم جلال الهندي وأبناء القضاة وأحمد الخباز وأعلموا المجاهدين المرابطين في أرض حمورية بزحف الحملة نحوهم وانها وصلت قرية مديرة في طريقها إلى مواقع المجاهدين فأرتأى الشوار أن يهاجموا الحملة قبل وصولها فأسرعوا نحوها حتى التقوا في آخر قرية مديرة من جهة الشرق.

وقد حضر هذه المعركة القادة فوزي القساوفجي وذكي الحلبي وشوكت العائدي والامير عز الدين الجزائري وآل ديو وأبناء عكاش الثلاثة وهم سعيد عكاش وإخوته محمد وعبدو وأبناء عليكو الثلاثة وعلي وتوفيق وعز الدين والشيخ محمد حجازي الكيلاني وحسن الزبيق وتوفيق سوقية. وكان عدد المجاهدين خمس مائة مقاتل وانضم إليهم بعض ثوار الغوطة ووجه المجاهدون نيران بنادقهم على الطائرات وهي على علو شاهق.

بدء المعركة :

تقدم سلاح الفرسان المراكشي أمام الحملة فصدتهم الثوار حتى أرغموهم على التراجع، وهم يضربون في أعقابهم إلى أن دخلوا الطريق العام أمام قرية حمورية التي ترابط فيها الحملة فاحتما بالدبابات والمصفحات التي كانت تقصف نيران مدافعها ورشاشاتها على المجاهدين واستمرت النيران حامية بين الفريقين إلى الليل حيث نفذت ذخيرة المجاهدين فأسرعوا بالانسحاب ليلاً.

معركة جسر تورا :

بعد تنالي هجمات الشوار على طريق دوما والنبك وحووران والجبل،

وتطهير منطقة الغوطة من الفرنسيين وأعوانهم، قررت القيادة الفرنسية أن تعيد تسير خط دمشق حمص البري سواء كان للقطار أو للسيارات.

يذكر عبد الوهاب الداري، أحد رجال ثورة سعيد عكاش ما يلي:

في بداية شهر تشرين الثاني جاء مراسل من قبل الاخوة الشوار في منطقة الطريق الممتدة من جسر تورا إلى عربين وحستا حتى دوما... أمثال أبو عمر ديبو ومحمد خيتو وعلي مكية يونس الخنشور والأمير عز الدين الجزائري اقول جاء مراسل الى سعيد عكاش يطلب منه المؤازة، لان حملة افرنسية قوية تريد أن تدخل دمشق لدعم حمايتها....

عندها جمع سعيد عكاش رجاله، وقرر الذهاب الى الغوطة، لمؤازرة الشوار هناك. وتم عقد اجتماع لزعماء الشوار قرروا فيه أن يقيموا كميناً للقوات الفرنسية عند جسر تورا، وخوفا من القصف بالقنابل. طلب إلى النساء والأطفال والعجز في كل القرى المشرفة على الطريق أن تتجمع في المساجد وتأخذ معها المؤون. والأطعمة...

في يوم (١٥ تشرين الثاني ١٩٢٥) وعند وصول الحملة إلى جسر تورا المؤدي إلى دمشق. وهو جسر ضيق، والمرور عليه إجباري... فعندما تتجاوز القوات منطقة الجسر وتصبح ضمن مرمى أسلحة الشوار، يبدأ سعيد عكاش بالرمي أولاً، ثم باقي الجماعات. وفعلاً بدأ الضرب على الحملة من كل جانب، وأصبحت المصفحة الأولى فوق جسر تورا، فتعطلت وتوقف الرتل... واستمر تبادل النيران، من التاسعة صباحاً حتى الثانية عشر ظهراً... واشتد الرمي على الشوار من مختلف أسلحة الدبابات والمصفحات فطلب عبدو عكاش من أخيه

سعيد أن يغطيه بالنيران، ليهاجم بداية الرتل... وقام من منطقة تركزه، وهجم على الدبابة، وقتل الرامي العامل على الرشاش الكبير فوق البرج وصعد البرج واقتلع الرشاش والقى بقنبلة إلى داخل الدبابة فانفجرت داخل الدبابة، وقتل كافة أفراد طاقم الدبابة، وعاد عبدو عكاش إلى خندقه، تحت حماية رفاقه الشوار ولما بلغ مجموع الدبابات والمصفحات المعطلة أكثر من عشرين.

بدأت الطائرات تقصف القرى والمتاجر والجوامع، لارهاب الشوار والاهالي، وتصدى الشوار ببنادقهم للطائرات واسقط سعيد عكاش طائرة في منطقة (عين الفاتر) عين الساخنة بجوار دوما.

وبعد هذا القتال العنيف، اضطرت الحملة للتوقف.. ثم انسحبت تاركة في أرض المعركة آلياتها المحترقة، والدخان الاسود يتصاعد منها.. وكان عدد قتلى الفرنسيين على أرض المعركة كبيرا، وشاهد سكان باب توما ومسجد الأنصار، الدخان يتصاعد من الآليات الفرنسية المحترقة.

وقد أسرت جماعة سعيد عكاش اثنين من الجنود الفرنسيون مع مدافعهم وذخيرة المدافع، اضافة الى كثير من الغنائم والاسلحة، وقد نقلت المدافع الى قرية الأشرفية مع الجنود ونصبت على بيادر الاشرفية التي تظهر حتى من جديدة الشيباني، وفي اليوم الثاني قامت القوات الفرنسية بمهاجمة الأشرفية، انتقاما لمعارك جسر تورا. وعند وصولها الى مشارف قرية الجديدة شاهد الشوار بالمنظار مقدمات الحملة. فأحضر سعيد عكاش الأسيرين وأمرهم بان يضربوا الحملة بالمدافع تحت التهديد بالقتل... فوافق الاسيران على ذلك واطلقت القنبلة الاولى فاصابت بداية الحملة اصابة مباشرة، وكانت مفاجأة أجبرت الحملة على التوقف... ولما حاولت الحملة التقدم ثانية ضرب الجندي قنبلة ثانية فاصابت

الحملة اصابة مباشرة أوقفتها مرة ثانية، وبعد نصف ساعة عاود الفرنسيون التقدم وهنا رفض الأسيران اطلاق المدافع بعد محادثة بينهما باللغة الفرنسية، وأمر سعيد عكاش باعادتهم الى السجن وعندما تقدم احد الثوار ليعمل على المدفع، واذا به يتوقف لان احد الاسرى قد عطله... وتقدمت الحملة واصطدمت بالثوار، وكانت معركة مطلات الجديدة قاسية ذهب ضحيتها عشرون جنديا فرنسيا وتعطلت مصفحة واحدة وتقدمت القوات الفرنسية حتى الاشرفية.

انسحب الثوار من قرية الاشرفية حفاظا عليها من الدمار، كما حدث في قرية المليحة في الزور - وقد قتل في هذه المعركة ثلاثة من الثوار ... بعد دخول الفرنسيون بلدة الاشرفية حرق الفرنسيون القرية واعتقلوا زوجة سعيد عكاش ووالدتها وردة الموازيني وأولاده الصغار محمود وحسين واخذوهم الى سجن القلعة.

فرض الحصار على دمشق :

بما أن منطقة دمر والهامة وجرايا مشهورة بزراعة الزيتون من قديم الزمان، حيث يمر نهر بردى، وخط قطار دمشق بيروت، وخط سيارات البقاع دمشق، ومع بداية شهر كانون الثاني جمع عكاش رجاله من قرى دمر الهامة الجديدة الاشرفية بسيمة عين الخضراء عين الفيحة جمرايا، ووصل إلى المنطقة مجموعة من ثوار جبل الصاحلية حارة الأكراد بقيادة أبودياب البرازي... وتمركز المقاتلون في وجه الجديدة والبساتين المتواجدة على طرفي خط القطار حتى قرية الأشرفية وهناك قاموا بفك الخطوط الحديدية التي تؤلف سكة القطار

مسافة خمسة كيلو مترات وسحب قضبان السكة الحديدية الى الجبل، وإلقاء البعض الآخر في قاع مجرى النهر...

وعند قدوم قطار الزبداني ووصوله إلى منطقة التخريب، بالقرب من قرية الأشرفية تدهور القطار بخروجه عن الخط، ووقع في كماشة الثوار المتوجدين بين البساتين وجرت معركة قوية بين الثوار والجنود الفرنسيين المكلفين بحماية القطار... وبعد ثلاث ساعات، وصل القطار ثان قادم من دمشق مملوء بالجنود نجدة للجنود الفرنسيين وفي مقدمته عربة مصفحة، وعند وصوله إلى منطقة التخريب خرج على الخط وتدهور، وجرت معارك وإطلاق رصاص وقنابل من قبل الطرفين، ولكن القوات الفرنسية خافت وانسحبت وبقيت الطريق مقطوعة لمدة اسبوع، وقد أمر القائد عكاش رجاله بالمرابطة أيضا على الطريق البرية بين الصحراء ودمر لمراقبة خطوط السيارات المتجهة من دمشق الى بيروت والعكس ويجري قطع الطريق على الفرنسيين فقط، أما المواطنين من أبناء البلاد فلا حرج عليهم.

وبهذه الطريقة تكون دمشق قد قطعت عن لبنان والمناطق الأخرى علما بأن طريق حمص مقطوعة من قبل ثوار القلمون، وكذلك طريق القنيطرة التي تصل دمشق بلبنان مقطوعة أيضا، بسبب قوات الثورة بقيادة زيد الأطرش.

كان من أثر انقطاع الطرق عن القوات الفرنسية وإمداداتها غلاء السكر والرز وجميع السلع التموينية المستوردة عن طريق البحر، وصار غليان بين العائلات الفرنسية في دمشق، حيث البريد لم يصل وظنوا أنهم إذا استمر هذا الحصار سيفقدون أرواحهم، وبدأوا يفتشون عن طريقة لإنقاذ أرواح عائلاتهم،

التي تسكن في دمشق وشعروا أن السيطرة على الحالة غير ممكنة، وقد يفقدون السيطرة على دمشق ذاتها وفكر القائد اندريه والقائد كولييه بضرب دمشق مرة ثانية...

أرسلت القوات الفرنسية قطارا من بيروت مصفحاً وعليه قضبان سكة حديدية لإصلاح الخط كما صادرت من الخط الحديدي الحجازي قضباناً، وأرسلتها بقطار آخر من دمشق ولكن القطارات جوبهت بمقاومة قاسية اضطرتها للعودة، وتصاعدت هجمات الثوار على المناطق العسكرية في مدخل دمشق طريق الربوة، مما حدا بالكولونيل فيرجيني الذي كان يقود عملية التمشيط في الميدان والشاغور إلى أرجاء أعماله والتوجه بجنوده إلى منطقة الجديدة، حيث اشتبك مع الثوار مدة ست ساعات، وقد رمت المدفعية خلالها الحمم على الثوار فاضطروا للانسحاب باتجاه الجبال. عند ذلك تمكنت السلطة الفرنسية من إعادة وصل خط السكة الحديدية وقامت بعدها بحرق قرى الجديدة والأشرفية وبسيسة وهرب السكان عن طريق الجبال باتجاه دمشق حيث وصلوها في شهر كانون الثاني نصف عراة. كما أحرقت قرية جبرايا، وألقت السلطة القبض على محمد علي مهرة ومصطفى يوسف سفر وأحمد حسن نمورة وعلي محمد الترك واعدوا رميا بالرصاص لأن أولادهم من رجال الثورة، وتؤيد وثائق الخارجية البريطانية هذا الأمر حيث نعثر بين وثائقها على الوثيقة رقم (٨) أرشيف وهي موجهة من القنصل سمارت إلى السيد أوسين تشامبرلين في شهر كانون الثاني «استلمت ٢٨ كانون الثاني وكتبت في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٦» حيث تقول:

لي الشريف أن أعلمكم أن الخط الحديدي بين دمشق ورياق قد قطع لمدة

أسبوع في ليلة ١٢ - ١٣ من كانون الثاني ١٩٢٦ فإن جماعة عكاش التي كبرت بانضمام المجندين الأكراد إليها تحت إمرة أبو دياب، وهو قائد جديد انضم إلى قيادة الشوار قد أوقفوا في نقاط متعددة وقطعوا حوالي «٥» كيلومترات من الخطوط الحديدية بين محطات الهامة «على بعد ١٠ كيلومتر شمال دمشق والتكية» «٣٠ كيلو متر شمال دمشق» وقذفوا بكمية لا بأس بها من الخط الحديدي بنهر بردى تحت الضفة. وقد خرج قطار شحن بضائع آت من رياق بين الجديدة «١٤ كم شمال دمشق» والهامة وسلب من قبل العصابة. وقد أخرج عن الخط قطار إغاثة آت من رياق بالعمال لإصلاح الخراب في الكفر بين سوق وادي بردى؛ «٢٩ كيلومتر شمال دمشق» والفيجة؛ «٢١ كيلومتر شمال دمشق» وقد سحبت الخطوط الحديدية هناك بعد رحلة قطار الإغاثة الذي جاء من دمشق وكان مسلحا، أخرج عن الخط شمال الهامة مباشرة وعلى بعد كيلومتر واحد فقط عن النقطة التي أخرج فيها قطار البضائع عن الخط ٣ - ومن محادثة مع الكومندان دوفوكس من الخدمات، ومن مصادر أخرى فقد تبين لي أن السلطات العسكرية قد أظهرت استهتارها بالعهود. ومن الواضح أنهم عرفوا صباح ١٢ من الشهر الجاري بأن هذه العصابة كانت تتحرك باتجاه الخط الحديدي لكنهم لم يتخذوا خطوات للحيلولة دون الخطر. وبعد أخراج قطار البضائع عن الخط الحديدي أعلموا بأن الخط كان قد أصيب بخراب واسع، ومع ذلك فقد سمح لقطار الإغاثة من رياق والقطار المسلح من دمشق للتقدم بحذر في المناطق المخربة وكانت النتيجة أن كليهما أخرجتا عن الخط.

٤ - في صبيحة اليوم التالي، في «١٢» الشهر الجاري، أرسل عمال من دمشق بدون أي حماية عسكرية لإصلاح الخط. وجدوا الجماعة «العصابة» عند

الخط قرب الجديدة وكان طبيعياً أن يرجعوا الى دمشق، لكنهم هوجموا هجوما مكثفاً من قبل العصابة بين الجديدة والهامة وكان عليهم الانسحاب إلى دمشق.

٥ - في اليوم التالي، أي في «١٤» منه، قام الفرنسيون أخيراً، بما كان يتوجب عليهم القيام به في «١٢» منه، عندما تلقوا نبأ الحركة الثورية وقبل حدوث الخراب، الذي كان يقود جميع عمليات التمشيط في المناطق المجاورة لدمشق.

وقام هذا الرتل بدحر العصابة وإبعادها وأحرق قرى الأشرية والجديدة وقد هرب السكان إلى الجبال. كما أن الذكور بدون شك سيصبحون من مجندي العصابات كما أن هذا الرتل على ما يبدو سيهدد الفيحة وبسيمة وهي قرى مجاورة مهددة بنفس المصير.

٦ - كان هناك مواطن هندي بريطاني، يسمى الحاج محمد كمال الهندي، الذي كان يعمل بمطحنة الدقيق في الجديدة ولم يهرب مع سكان القريتين. يبدو انه قد لجأ بأعجوبة واعتماداً على القصة التي رواها بنفسه، فقد دفعه الجنود الى داخل الطاحون وبعد إغلاق الباب أضرموا النار بقصد إحراقه حياً. ويقول أنه قفز من الشباك وهرب حتى وصل المخططة، حيث أن مدير المخططة، الذي كان يعرفه جيداً، قد تدخل لأجله وخلص حياته من موت محقق.

٧ - وبالمناسبة يبدو أن من المدهش بأن سلطات الانتداب التي يجب عليها في فترة ما ان تزود المنطقة بالمواد النادرة الضرورية للحياة، قد اهتمت هذا الواجب، وفي نفس الوقت أحرقت طاحونة كبيرة تزود مدينة دمشق ببعض طحينها.

٨ - وقد أدى قطع الخط الحديدي للمواصلات مع بيروت لأرتفاع أسعار الخبز والشاي والسكر. وقد كان الاتصال البري عن الطريق العام قد قطع منذ فترة طويلة. وبما أن دمشق الآن تعتمد الى حد كبير على الطحين المستورد عن طريق بيروت فان أي انقطاعات طويلة الأمد للمواصلات مع الساحل لابد وان يكون لها آثار خطيرة على المدينة. وقد عمت معاناة سكان المدينة وانتشرت.

أما اليس باولو فقد ذكرت في كتابها في ١٣ كانون الثاني:

لقد عطل الثوار الخط الحديدي الذي يصل بيروت بدمشق ذلك بين قريتي الجديدة والاشرفية ولم يكن هذا العطل ظاهراً البته مما جعل احدى القاطرات تخرج عن الخط ولم ينتظر الثوار اكثر من ذلك اذ ذهبوا فوراً ليطبقوا الخطة نفسها في الخلف مع قطار مصفح جاء لنجدة الاول، ونجحت الخطة وخرج القطار الثاني عن الخط ثم تدهور. وقامت السلطات كالمعتاد بحرق قريتي الاشرفية والجديدة أخذاً بالثأر وقد وصل الفلاحون من هناك إلى دمشق نصف عراة.

وفي هذا الوقت تدور في المنطقة معركة حامية بين الوحدات العسكرية وعصابات الثوار.

وقد بدأ الاعتقاد يسود بأن خط حديد بيروت دمشق لم يعد مضموناً أبداً بعد هذه الأحداث المفجعة، وهذا ما يجعل المدينة بحالة حصار، وهذا دفع الناس في كل مكان إلى تأمين مؤونتهم من الطحين.

وبينما قام بعض الثوار بتعطيل سكة بيروت الحديديّة قام بعضهم الآخر بقطع سكة الحديد التي تصل رياق وحلب...

معارك الهامة في شهر شباط ١٩٢٦ :

ولكن اصلاح خط سكة حديد قطار دمشق بيروت، الذي تم تحت سيطرة القوات الفرنسية بعد حرقها قرى جمرايا والجديدة والأشرفية وبسيسة لم يفد السلطات الفرنسية شيئاً، فنشاهد في البرقيات المرسلة من قيادة الجيش الفرنسي إلى باريس ما يلي:

في ١٤ شباط ١٩٢٦ رقم ٩٤.

من الجيش الفرنسي في الشرق إلى وزارة الحرب.

دمشق في ليل «١٣» شباط قطع أفراد العصابة خط حديد دمشق بيروت في منطقة دمر والهامة القطار خرج عن خطه وتعرض الركاب والبضائع للنهب والسلب.

برقية أخرى بيروت في ١٤ شباط ١٩٢٦ رقم ١٤٧.

نهار ١٢ شباط قصفت قرية مجاورة لدمشق بعد أن شوهد فيها بعض أفراد العصابات، وفرقة الخيالة من الشركس فقدت خمسة قتلى من عناصرها بعد قتال عنيف. ولكنها استطاعت أن تطرد عصابة قوية من قرية حلوة من طريق بيروت وقد بقيت سبع جثث على أرض المعركة.

وفي ١٨ شباط جاء في البرقية «٢٠١ - ١٩٢٦» ما يلي:

عصابة قطعت خط حديد دمشق رباق بين محطة دمر والهامة التصيلحات مهمة كما تحدثت البرقية عن قطع خط القنيطرة والمعارك في راشيا...

وفي نفس الوقت نشرت جريدة أم القرى في مكة المكرمة العدد «٥٩»
١٢ شباط انقطع الطريق بين الشام وحمص وحلب لم تقبل الحكومة قطع تذاكر
السفر لحمص أو حلب بسبب تخريب السكة الحديدية عند رأس العين قرب
بعلبك من قبل عصابة عكاش.

كما نشرت في ١٩ شباط الخبر التالي:

في عين الفيحة تمكنت عصابة عكاش من قطع الخط الحديدي على مقربة
من عين الفيحة واستولت على قطار شحن مؤلف من مركبتين من الطحين
ومركبة من السكر وثلاث مركبات محملة بالأغنام أخذت العصابة جميع ما فيه.
بعد أن وضع الثوار كثيراً من الصخور في طريق القطار فمنعوه من الحركة. وقد
كتبت اليس بولو في كتابها دمشق تحت القنابل ما يلي: ٢٢ شباط ص ٢٩٠٥
.٢٩٦.

علمت اليوم بالتفصيلات التكميلية الشيقة لحوادث قطع الخطوط
الحديدية التي تذكرها بقصة (ملك الجبال) ولما أبدت دهشتي من وقوع جميع
الحوادث في منطقة دمر ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه من كان يحدثني،
وأكد لي أنه قد تم توزيع اكراميات بصورة سرية على رؤوساء القرى وبعض
رؤوساء العصابات في بقية المناطق لكي يبقى الخط سليماً والشخص الوحيد
الذي رفض هذه التطبيقية هو عكاش الذي يشبه أحد لصوص كورسيكا، ولقد
أسر أحد أقاربه ثم قتل، فوجدت معه لائحة تحوي أسماء جميع ضباط عصابته
وعدهم وأسماء من يمكن تطويعهم من الدمشقيين فقبض على هؤلاء الآخرين
من قبل الاحتراز.

وحسب التفصيلات التي وصلتني يكون الخط قد قطع ليلة ١٤ شباط قرب طاحونة دمر وتكون محطة الهامة قد نهبت ثم أحرقت بكاملها... وفي الساعة الثانية وصل قطار حلب قادما من دمشق، فسرقت محتوياته وقد أصيب رشاش العربة المصفحة في هذا القطار باستعصاء جعل سدنته غير قادرين على حماية أنفسهم... وقاد هذه العملية وجيه دمشقي معروف كان منذ ستة أشهر، يقوم بأي عمل ولو على حساب كرامته ليرضينا... وقد ذكرت جريدة أم القرى العدد ٥٦ تاريخ ٢٦ آذار ١٩٢٦ دخل الثوار ليلة أمس دمشق وإلى منازل عديدة واختطفوا سعيد الميداني ودخلوا إلى دار ياسين الحواصلي واختطفوا نسيب بهاء الدين الصوفي ثم انسحبوا إلى الصالحية.

وهاجمت عصابة عكاش محطة دمر واختفطت المفتاحجي وتصادمت مع الجند في طري الحواكير في حي المهاجرين وشاع يومها أن قناصل الدول في دمشق اندروا رعاياهم بأن من يشاء منهم ان يغادر المدينة فليغادرها...

وفي ٢٩ شباط نعر على برقية رقم ١٣٩ تقول: في ٢٥ شباط قامت فرق الشرکس التي ساهمت في عملية حرمون الشمالي بمهاجمة عصابة عكاش بالهامة - ١١ قتل من الأعداء على أرض معركة - خسائرنا ثلاثة قتلى من الشرکس وجريحان.

ضرب القطار بالهامة :

إننا ضربنا قطار دمشق بيروت في منطقة وادي بردى بدأ من دمر وحتى تكية الزبداني أكثر من خمسة عشرة مرة خلال شهرين أما عن معركة الهامة فإننا في يوم ٢٥ شباط وصلت إلى الثوار أخبار تفيد أنه قد يصل إلى دمشق قطار

مصفتح قادماً من لبنان يحمل جنوداً فرنسيين ومواد تمويينية فذهبنا جميعاً بقيادة سعيد عكاش زعيم ثورة دمر إلى منطقة الهامة...

وقمنا بفك سكة القطار بواسطة مفاتيح خاصة عثرنا عليها من إحدى ورشات اصلاح الخط في المرة الماضية. وقلعنا سكة الحديد وحولناها إلى نهر وادي بردى المار بجانب القطار. وعند آذان الظهر تقريباً وصل القطار وفي مقدمته عربية مصفحة خوفاً من مهاجمة الثوار له. وإذا بالقطار يتدهور منه عربتان والقاطرة خرجت عن الخط وصارت الدواليب تحفر الارض وعندها بدأ الضرب من الثوار المتمركزين على جانب الخط واقتحموا العربات وجرت معركة عنيفة وقاسية، دامت حوالي ساعتين قاتل الثوار قتلاً مستميتاً وأظهروا بسالة نادرة، وانتهت المعركة بالسيطرة على جميع عربات القطار، وقتل جنود الحماية. وقد شاهد المواطن محمد أبو رسلان من قرية الهامة ١٢ سيارة ناقلة جنود فرنسية مملوءة بالقتلة من جراء هذه المعركة كما شاهد بأم عينه الدم ينزل من السيارات على الأرض أثناء مرورهم فوق جسر الهامة بالقرب من الطاحون. وقد أسرنا سائق القطار واسمه نخلة برغوت من لبنان وأصيب مساعده في ساقه، وفر هارباً أثناء المعركة.

وقد أخذنا نخلة برغوت الى قرية الأشرفية ووضع في منزل هناك حتى أتى أهله وتوسطوا لدى القائد سعيد عكاش فأطلق سراحه.. أما أليس يولو فقد ذكرت في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٦م:

قام أحد أصدقائنا للمرة الأولى منذ ثلاثة أشهر بتعريض نفسه للخطر وذلك بالخروج بدراجته الى مسافة سبعة كيلومترات من دمشق. وقد تنبأنا له

برصاصة تخرق رأسه، ولكنه عاد سليماً معافى بعد أن رأى في جولاته - حسب قوله - واحة الربوة التي كانت واحتي المفضلة منذ ستة أشهر، وقد أصبحت الآن صحراء قاحلة، ورأى الخراب على طول الطريق. لم يكن هناك رجل أو منزل مفتوح ولم يرى في دمر جنة عدن الصغيرة بالنسبة لنا. إلا علماً يرفرف بحزن وحارس حقول لم يبق عنده ما يحرسه فسكن لوحده في القرية، ومن الجائز أن يكون قد انخرط في إحدى عصب الثوار.

وعلى طول الطريق كانت تسير أرتال محزنة من النساء والأطفال تتوجه من القرى التي تم إحراقها إلى دمشق التي أصبحت مكتظة بالسكان.

وقد أعطيت تفاصيل جديدة، عن اصطدام مسلح حصل البارحة، فقد قامت عصابة من "المارقين" باقتلاع قسم من خطوط السكة الحديدية، ونقلته على ظهور الجمال حتى الجبل، وهذا ما سبب خروج القطار عن الخط وسقوطه في الوادي المجاور للسكة، ونهب ما فيه من قبل القرويين الذين تزودوا من البرتقال وصفائح البترول بما يكفيهم لمدة طويلة.

وقد كانت البيانات الموجودة في المخططة بخصوص أبعاد الحادث خاطئة، ولذلك سارت القاطرة المصفحة بدون أن تصطحب معها (جهاز حماية) وهذا ما جعل القضية عويصة تماماً.

وكان أحد الميكانيكيين المرافقين للقطار سورياً، ولهذا اقتاده الثوار إلى القرية، أما الثاني فقد سقط تحت القاطرة، ولكنه تخلص من تحتها ليلاً وهو يحمل جرحاً خطيراً في رجله، ثم تحامل على نفسه وابتدأ المسير باتجاه قرية جديدة بدون أن يتبادر إلى ذهنه أنه سيقع في أيدي الثوار.

ولقد أراد رئيس العصابة - وكان يعرف الفرنسية صدفه - أن يقتله ولكن زميله السوري أكد للرئيس أن الجريح من المدنيين وأنه ايطالي لا فرنسي.

وبناء على هذه التأكيدات، أوثقه الشوار بعد أن هددوه بأنهم سيخلصون منه فيما إذا ظهرت إحدى الطائرات أو الوحدات العسكرية، ولكن الشوار لم يحرسوه جيداً ولذا تمكن من فك قيوده والهرب وقد سار حوالي ثمانية كيلومترات على رجله المصابة حتى وصل الى دمشق وهو طريق الفراش في مستشفى القديس لويس الآن (المستشفى الفرنسي).

معارك المهاجرين والصاحية وشمال دمشق

إن القسم الممتد من سوق ساروجة وبساتين الصاحية وحرارة الاكراد وكيوان والمزة إضافة إلى وادي بردى يقع ضمن المنطقة السادسة، بقيادة سعيد عكاش لذلك لابد من أفراد بحث خاص للنضال الشعبي في هذه المنطقة، ضد الحكم الفرنسي باعتبار أن العائلات الفرنسية لم تكن تستطيع السكن في وسط مدينة دمشق القديمة. وإنما كانت بحماية الثكنات الفرنسية المنتشرة على جانبي الطريقين الرئيسيين من المزة حتى دمشق مروراً بالقتالة من الربوة حتى جسر فيكتوريا - فكانت عائلات الضباط الفرنسيين تسكن شمال هذه المنطقة في الشعلان خاصة وزقاق الصخر وطريق الصاحية حيث قيادة الجيش الفرنسي العليا في حي الوز البرلمان اليوم.

ورغم أن الثوار كانوا يتمتعون بالفروسية الكاملة لم يكونوا يهاجمون النساء أو يعتدون عليهم وكذلك الأطفال، كما كانت أعمال ما يسمى بالثقفين ضباط الجيش الفرنسي ... ومن أهم الأعمال الثورية التي وقعت في شمال المدينة ما يلي:

أذيع بين الناس أن عصابة عكاش ستهاجم مقر المندوب السامي في العفيف، وهو الآن مقر السفارة الفرنسية، والقصر كان قصر الملك فيصل الأول ملك سورية - ١٩١٨ - ١٩٢٠ - وذلك خلال عهد الإستقلال في سورية، هو وأثاثه الجميل ومبنى على الطريقة العربية، فاغتصبته فرنسا واعتبرته غنائم

حرب، بعد معركة ميسلون. ولا يزال بملكيته إلى اليوم فانتقل المفوض السامي إلى قصر العظم ليعيش في أجواء ألف ليلة وليلة وليتهتك بعيداً عن الشوار المناضلين من أبناء سورية، ولذلك قام ثوار الشاغور باحتلال دمشق ومحاصرته في قصر العظم، مما أدى إلى هربه بلباس امرأة مسلمة واختبأ تحت الجلباب الأسود ليستطيع الهرب إلى قصر الملك السوري المصادر في العفيف.

واستمرت سيطرة سعيد عكاش ورجاله على منطقة الصالحية والمندوب السامي يعيش ضمن الخوف، وإشارة إلى ذلك يمكن ذكر الحوادث التالية:

نشرت جريدة المقتبس في عدد ٤٤٣ تاريخ ١٠ شباط ١٩٢٦، ما يلي:
في الساعة الثامنة من مساء أمس، جاءت شرذمة من الشوار إلى حي الصالحية فصادفت مأمور مخفر أبي جرش في قهوة هناك فاعتقلته كما أعتقلت الحارس أحمد شعبان وذهبت بهما إلى سهل القابون، وهناك سرحتهما بعد أن أخذت سلاحهما.

والواقع أن المخفر يقع بين الشركسية وجامع الشيخ محي الدين ضمن سوق شعيب كما كان يسمى قديماً وهذا الشارع امتداد لشارع الشيخ محي الدين ابن عربي أما منزل أجليقين فيقع في نهاية أبي جرش عند الاقواس في رأس الطلعة طلعة الحلالات أما أولاد شعبان فلا يزالون حتى الآن يشرفون على فرن الحلالات في المنطقة.

وتضيف الجريدة فتقول:

وقد علمنا انها رأت السيد عبد الكريم شقيق المفوض، فاخذته وأخذت

ثلاثة اشخاص وسرحتهم قرب بستان قمر الدين والحارس وشقيق المفوض عند بستان القصر.

وتقدر هذه العصابة بأربعين ثائراً وهي بقيادة عبداً لله عكاش وهذه الحوادث جرت في نفس الوقت عندما كانت القوات الفرنسية تحتل دمر.

وذكرت الجريدة ما يلي:

عادت حملة الشركس التي ذكرنا في عدد أمس خبر خروجها من دمشق وقد علمنا أن معركة وقعت بينها وبين عصابة عكاش في اطراف قرية دمر أسفرت عن أسر ثائر يدعى أبو عبدو الدمراي.

وفي نفس الوقت يمكن أن نذكر أن الحادثة التالية التي وقعت في ٦ نيسان وذكرتها اليس يولو في العفيف وبجانب دار المندوب السامي قام عبده عكاش بإيقاف التزام المتجه إلى وسط دمشق وافرغه من الركاب ثم حل الشكائم (الفرامات) وترك التزام يهوي باتجاه الجسر الأبيض حيث خرج من الخط واصطدم بجدار طاحونه الجسر التي كانت على الجانب الشرقي لطريق الساحلية وهدم الجدار.

على إثر هذه الحوادث ارسل المندوب السامي حملة لتطهير منطقة الساحلية، ودفعت الأموال لآل بوظو وعمر أغا شمددين لايقات ثورة الاكراد، وقد تعهد الجنرال كوله لهم بتسكة مملوءة بالذهب الأحمر اذا استطاعوا مقاومة الثورة وإيقاف ثورة الاكراد وإعادة الأمن إلى شمال دمشق وذلك على إثر مقتل ضابط فرنسي في منطقة الكرركة واقام له نصباً وقبراً في وسط ساحة سبع بحرات وقوس يشبه قوس النصر الفرنسي في باريس.

وقد هدم هذا القوس وأقيم مكانه حديقة فيها بحرات عديدة ويجب أن يقوم في وسط هذه الحديقة نصباً للثوار الأحرار بدلا من النصب الفرنسي الذي هدم وعندها تحدى سعيد عكاش ورجاله المندوب الفرنسي فقد ورد في الصفحة ٢٧٥ من كتاب دمشق تحت القنابل للصحفية أليس بولو، ذهب ده جوفينل فجأة كما جاء فهل يستطيع أن يتخذ قراره هذا بعد الانفجارات التي سمعت ليلة البارحة حين قام الثوار بأربع هجمات كانت أحدها في حي الصالحية على بيت المسيو (بير آليت). الذي كان ينزل فيه المفوض نفسه لا أحد يعلم ولكن يظهر أنه قد قلق من مثل هذه الجرأة فغادر بدون طبل ولا زمر..

ولقد حصلت هجمة أخرى على مخفر شرطة المهاجرين لكي يتم إخلاء مخفر الجسر الأبيض من عناصره المؤهلين لنجدة المخفر الأول. وحصلت الهجمة الثالثة على بيت رضا سعيد وهو وزير قديم من أصل تركي حيث طلب منه الثوار منحة على شكل دراهم وبطاطين فرفض، وهاجم الثوار منزله فأختبأ في أحد الأمكنة ثم قدم استقالته من الحكومة إثر هذا الحادث ولقد كان رضا سعيد وزيراً للمعارف شكلاً لافعلاً لأن مستشار المعارف كان يمارس مسؤولية الوزارة دون أن يعلم رضا سعيد عنها شيئاً..

بعد ذلك قام الفرنسيون بهدم بيوت وبساتين الصالحية وسوق ساروجة وكذلك الجدران التي تفصل بين البساتين قام سعيد عكاش من منطقة المزة بمهاجمة محطة البرامكة وثكنات البرامكة، ووصل حتى ثكنة الحميدية مكان جامعة دمشق اليوم وبعدها في ١٥ شباط ذكرت أليس بولو:

قمت اليوم بزيارة بعض الأصدقاء الذين يقطنون منطقة الصالحية بين البرلمان والعفيف، فقالوا إنهم قد تعرضوا في الليلة الماضية لمعركة حقيقية حين

هاجت العصابات المسلحة بالرشاشات كل الشوارع المحيطة بهم حتى وصلت الجسر الأبيض، وقد برهن الضباط عن شجاعتهم وهم في بيوتهم حيث أن الأحداث جعلتهم يتخيلون أموراً كثيرة فلقد رأى أحدهم صليباً أزرق على باب بيته فظن أن عصابة اليد السوداء هي مجموعة من الشباب في دمشق قررت الانتقام من الضباط الفرنسيين بعد أن اعتدوا على النساء والأطفال وهدموا البيوت وسرقوا الأثاث.

وتأكيداً على هذه الأقوال فقد ذكرت أليس بولو ما يلي يوم ١٤ شباط ١٩٢٦ كان نفر من الضباط الفرنسيين يتحدثون في مواضيع عائلية مماثلة مع أحد الرهبان الأذكىاء المتمرسين بقضايا البلاد، ويذكرون شجاعتهم وفروسيتهم فقال لهم الراهب إن بيته الريفي نهب من قبل الجنود الفرنسيين فقالوا له بحزم إذن لم يكن على رأسهم قادة فأجابهم الراهب مبتسماً بلى ولكنهم لا يطيعونهم - ونظر الضباط إلى بعضهم بخجل وارتباك قبل أن يتقدم أحدهم ليقول: إذن ترسل جنوداً لحراسته. فرد عليهم الأب سيزيد الطين بلة في هذه الحالة..

إقترح أحدهم؛ يمكن إذن حراسة البيت بمفرزة من الجند - ويمكن تصور حالة المنطقة السادسة من الحادثة التالية: لم يعد مدير الاستخبارات الفرنسية الكومندان يشعر بالأمان فقد نقل منزله من طريق الصالحية إلى منزل بأحدى الشكنات وتذكر أليس بولو أن كل الفرنسيين لم يعودوا يشعرون بالأمان حتى أن دمشق أصبحت تشبه المدن التي تقع على مقربة من جبهات القتال في حالة الحرب.

في تاريخ ١٠ نيسان تذكر أليس بولو ما يلي: إن حي المهاجرين قد امتلأ بثوار جبل قاسيون ولذا فإن الميادنة الهاربين من رمي القنابل الفرنسية على حي

الميدان وجدوا أنفسهم مجبرين على العودة الى المدينة. وبعد احتلال القوات الفرنسية لشمال دمشق مرة ثانية طوقت جبل قاسيون وحاولت احتلاله ... ولكن التقدم على مشارف الجبال صعب. وكان سعيد عكاش يتخذ من مغارة كبيرة وسط الجبل، في قلبه مكاناً لقيادته - وجرت معركة عنيفة على سفوح الجبل قتل فيها المجاهد محمود عنتر، كما ذكرت ذلك جريدة المقتبس دون أن تستطيع القوات الفرنسية احتلال الجبل... ولكنها منعت المجاهدين من عودتهم الى مهاجمة منطقتي المهاجرين والعقيف.

وكانت السلطات العسكرية الفرنسية قد حاولت تطويق جبل قاسيون من الشمال وجرت معركة حلبون في بداية شهر كانون الأول ١٩٢٥ وذلك بعد معركة الزور القاسية التي حرق الفرنسيون فيها قرى الغوطة وساقوا كثيراً من سكانها إلى السجون واعداهم كل هذا زاد في عدد الشباب المشتركين بالثورة حقداً على الفرنسيين وذلك لأن الفرنسيين قتلوا آباءهم واخوتهم الاطفال وهدموا بيوتهم وسرقوا متاعهم وقطعوا اشجار مزارعهم، ولم يبق لهم إلا أن يقاتلوا الفرنسيين.

وكان الثوار يقدمون لهم السلاح من الغنائم، أسلحة الفرنسيين، والمال من الضرائب التي يجمعونها من السكان، واهمها عشر حيوانات الماعز والأغنام والبقر والدواجن .. مقابل ايصالات ماهرة بخاتم خاص، وكان الختم باسم الغازي محمد سعيد عكاش وكتب في أعلاه - نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين بمحمد. كما تقدم الأطعمة والألبسة وكل ما يلزم الثوار المجاهدين اقول بعد المعارك العنيفة في الغوطة وجسر تورا، قررت ثورة سعيد عكاش اخذ استراحة لها في جبل القلمون فانتقل الثوار من معربا الى قرية حلبون حيث كان

أولاد الحلال وأولاد عبدالعظيم، وبعد الإقامة في حلبون قام الخونة الحاقدون على أصدقاء الثورة لأن الثوار كانوا يدفعون ثمن طعامهم وشرابهم — اقول قام بعض الخونة بإخبار الفرنسيين فأرسل الفرنسيون قوة كبيرة معززة بالطائرات والمدفعية الجبلية التي تجربها البغال وعجلات مدافعها تشبه عجلات الطنابر ... باعتبار أن الطرق في جبال القلمون لم تكن جيدة وإنما ممرات للعربات فقط.

وفجأة شعر أهالي حلبون بالقوات الفرنسية تطوق البلدة وتضربها بالمدافع.

معركة حلبون :

جمع سعيد عكاش رجاله واعطاهم التعليمات اللازمة واخرج رشاشاً كبيراً وبدأ يضرب القوات الفرنسية، واشتد الرمي وأصيب، ولكنه كان لا يزال للأصابات الطفيفة لشدة بسالته وقوته وعزمه القوي وقد أصيب حصانه الأزرق في فخدة من شظايا القنابل، بعد ذلك فك الطوق عن القرية وانسحب مع رجاله إلى قرية أفرة للتداوي والراحة ودخل الجنود قرية حلبون وأحرقوها وقتلوا من كان يتعاطف مع الثوار، وفي قرية أفرة، أقام الثوار خمسة أيام لمداواة الجرحى وانسحبوا بعدها إلى الأشرفية وعين الفيحة. كل هذه الاعمال الفرنسية الخالية من الأخلاق والفروسية مع السكان الأبرياء من سرقة وقتل وتدمير واعتداء على النساء والأطفال وقتل الشيوخ بالادعاء بأنهم ثوار نجد اخلاق الفروسية والثقة عند الشعب السوري وتعاونهم في الحادثة التالية وقد ذكرت في ديدة الموازين والدة سعيد عكاش: نزلت إلى دمشق واشترت ادوية وشاشا وأطعمة واردة أخذ سيارة لنذهب بها إلى قرية الاشرفية مكان قيادة الثوار وكانت السيارات في دمشق قليلة وتعد على الاصابع وطلبت من قائد سيارة ان يوصلني إلى قرية الأشرفية فلم يقبل وتمنع بسبب وجود كمائن للثوار على جانبي الطريق

- وكان يوجد في دمشق صديق حميم لزوجي سعيد عكاش له متجر بسوق العتيق يدعى أبو أديب حسن الشطا - يسكن الآن في حي المهاجرين وله أراض في الديماس وجديدة يابوس - فتوسط عند بعض السائقين وتعهد له بأن لا يخاف وإذا أراد ثمن سيارته سيدفع له ثمنها لو حصل أي مكروه أو ضرر، فقبل السائق وأخذ كلام الوسيط ثقة وذهب معي بدون أن يعرف أنني زوجة سعيد عكاش - وفي طريقنا الى الأشرفية صار يقول إن شاء الله لا يواجهنا احد من الثوار - ويدعوا الله ان لا يقبضوا عليه وعلى سيارته لانه لا يملك غيرها وهو يعتاش منها. وأنا اقول له لا تخف من الثوار اللهم نجينا من الجنود الفرنسيين.

وعندما وصلنا إلى أول نزله جديدة الشيباني (واسم المكان جبل وردى شان) وكانت الساعة حوالي العاشرة ليلاً فوجيء السائق بطلقات نارية كثيفة على جوانب السيارة وطلب من السائق ان يقف - فبدأ يبكي ويندب حظه وقال لي علقنا - أنا قلت لك اني لا أرغب في هذه السفرة رحنا نحن والسيارة، فقلت له لا تخف ولي جميع طلباتي ولا تتكلم فوقف السائق وقد طلب منه كمين الثوار اطفاء الأنوار والرجل من السيارة لمشاهدة من في السيارة من الركاب، فخرجت من السيارة وبدأت أوبخ الرجال فلما سمع الرجال صوتي عرفوه جيداً، حاولوا الاعتذار وتصليح الخطأ الذي حصل وقالوا اننا نبحث عن الجنود الفرنسيين الهاربين إلى بيروت لنبادل بهم بعض الأبرياء المساجين في سجن القلعة قبل ان يعدمهم الفرنسيون ولا ذنب لهم... فطلبت منهم مرافقتي في السيارة إلى الأشرفية مكان قيادة الثورة وعند وصولنا قاموا باكرام السائق وضيافته وشكروه على توصيلي.. وعندما شاهد السائق ذلك قال والله لو أعلم انك زوجة سعيد عكاش واتيئة إلى مكان الثوار لنقلتك بدون مقابل... وكان

يروى هذه القصة على المسافرين من دمشق إلى عمان حيث يعمل بين دمشق وعمان والقدس.

ويمكن ذكر الحادثة التالية التي رواها مختار ناحية عين الفيحة سعيد عبدالواحد عن اعتقال المجاهد مسعود ناصر الدين.

داهمت القوات الفرنسية قرية عين الفيحة واعتقلت سبعة من السكان باعتبار أنهم يبيعون الطعام إلى رجال ثورة عكاش، وقادتهم إلى دمشق وفي الطريق بالقرب من قرية بسيمة التقى بهم سعيد عكاش فأوقف السيارة واعتقل الجنود الفرنسيين وأطلق سراح المعتقلين. يقول وكان مسعود ناصر قد قبضت عليه السلطات الفرنسية وعذب خلال التحقيق كثيراً، طلب منه التعاون مع الفرنسيين لقتل الزعيم سعيد عكاش، ومساعدتهم لإلقاء القبض عليه. مقابل تنكة من الذهب وكانت والدته تذهب إلى القلعة لتقديم الطعام له فتشاهد ولدها مقيداً بالسلاسل فيحز الألم في قلبها على ولدها، وتخشى اعدامه... بعد ذلك ذهب والده إلى الزبداني للتوسط لدى توفيق الشماط. الذي وعدهم باخلاء سبيله فيما لو تعهد والده بعدم التحاقه في الثورة فكان أن وقع والده التعهد وخرج مسعود ناصر الدين من السجن إلى قرية عين الفيحة فقامت الافراح وزغردت النساء وذبحت الذبائح.

معركة برزة :

ومن معارك المنطقة السادسة معركة برزة في تشرين الثاني ١٩٢٥ يقول عنها المجاهد أبو سليم حنين من مجاهدي حي الميدان بدمشق. إنها أهم معركة أشتركت بها ١٩٢٥ - فقد كنا في قرية الست زينب ويقدر عددنا ١٦٠

مجاهداً فجاءنا أبو قاسم الدرخباني واخبرنا بوجود حملة فرنسية متجهة عن طريق الجبل إلى دوما..

فركبنا خيولنا إلى جوبر ومنها انطلقنا إلى برزه حيث قضينا ليلتنا هناك واجتمعنا بسعيد عكاش ورجاله... وعند الصباح تجمعنا ما بين برزه وجبل الأكراد أمام النهر حيث أخذنا الاستحکامات اللازمة بانتظار قدوم الحملة من دوما... وعند الظهر بدت علينا طلائع الحملة قادمة من دوما وكانت كبيرة تقدر بحوالي تسعة آلاف رجل. وفي اللحظة المناسبة فتحنا عليها النار لمدة ساعة تقريباً وبشكل مفاجئ.. لم تكن تتوقعه.. فقتل من أفراد الحملة أعداد لا تقدر، ولم يفقد من المجاهدين أحدا... ولما جاءت الدبابات لمساندة الحملة أخذنا بالانسحاب بشكل غير نظامي بعد أن ثقلت علينا وطأة النيران ومن أبرز المجاهدين الذين اشتروا في معركة برزة.

سعيد عكاش ورجاله - أبو دياب البرازي ورجاله أبو قاسم الدرخباني - أبودياب سعيد كريشان - ومن مجاهدي الميدان والقيصرية حسني الحلاق (أبو عزو) رشدي عريضة - رسمي المهايبي - جميل كدو محمود الهندي - خيرو الأشتر بشير القاق... حسن حمية، مصطفى وحسين حيدر، وبعض وجوه من آل دندش، فبلغت القوة التي تجمعت لديهم نحو مائة وخمسين مجاهداً، بين مشاة وفرسان.

وبعد أن تدارسو خطة احتلال المواقع العسكرية في بلدة بعلبك، تقرر أن يبدأ الهجوم عليها بعد غروب الشمس، فقسموا أنفسهم إلى عدة فئات مقاتلة، خاضت في وقت واحد معركة عنيفة، تمكنوا على إثرها من السيطرة عليها واضرام النار بدار الحكومة فيها، واخراج المعتقلين من سجنها والإستيلاء على

كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة. ثم سارعوا إلى الإنسحاب منها في الليلة ذاتها، ليذهبوا إلى الجرود المجاورة، تحسباً من الغارات الجوية على البلدة في صبيحة اليوم التالي.

ومن المعارك التي شهدتها المنطقة أيضاً، معركة «اللبوة» الشهيرة، التي قاوم الثوار فيها جيشاً فرنسياً كبيراً تسانده الطائرات والاليات المدرعة والقطارات المصفحة، وكبدوه خسائر فادحة بالأرواح والمعدات، مما أثار حفيظة الفرنسيين وجعلهم يقدمون على تدمير القرى الثائرة وارتكاب الحرائم البشعة فيها.

وقد قامت السلطات الفرنسية في اليوم التالي باعتقال بعض المواطنين في بعلبك ولما لم تستطع اعتقال توفيق هولو حيدر اعتقلت زوجته... جاء في نشرة مكتب الاستعلامات السوري في القاهرة ما يلي:

وجهت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بالقاهرة إلى جمعية الأمم في جنيف البرقية التالية:

احتجاج سجن المخدرات :

ما كفى السلطة الإفريقية في سورية فظائعها المتتابعة وزجها رجال البلاد في السجون التي غصت بهم حتى بدأت بالقبض على النساء المخدرات من فضلى العائلات السورية المعروفة وفي مقدمتهن السيدة والدة توفيق بك هولو حيدر من الأسر الوجيهة في بعلبك وسورية، ونحن نكرر شكوانا إلى العالم المتمدن الممثل بشخصكم الموقر من هذه المظالم التي لا تطاق.

غادر الثوار بعد معركة النبك والقلمون إلى الغوطة وعندما وصلنا إلى قرية زبدین حضر فی الیوم التالی بعض وجهاء قرية عین ترما واصطحبوا معهم الشاب السید محمد الحمزاوی وأعادوه إلى والده بناء علی طلبه.

بتنا لیلتنا دن أن ینزع أحد حدائنه حتی الصباح، وقد حضر أبو أحمد محمد عکاش وبرفقته أخواه سعید وعبدو وخاله وشاب آخر وكان عددهم خمسة أشخاص وكانوا مدججین بالسلاح الحربی، وكان مع أبوصیاح عبـدو عکاش رشیش فی مخزنه بكرة محشوة بالفشک وقد اجتمعنا فی المساء وقص علینا السید سعید عکاش ما فعله فی القلمون واجتماعه مع أبناء طیفور، وجمعة سوسق ورجاله ومهاجرتهم الحامية فی قلعة النبک واستسلام جمیع أفرادها وإن القلمون قد انضم رجاله إلى صفوف الثورة وقد قاد مئة من أهالی جیرود سلیم دعاس آغا الجیرودی كما قاد شباباً من أهالی الجردة فی تلك المنطقة رمضان باشا شلاش وطهرت المنطقة من الإفرنسیین، توزع رجال الثورة علی بیوت قرية زبدین وكان عددهم ثمانية وثلاثین ثائراً وفی الیوم الثاني سرنا من قرية زبدین فی هاجرة النهار إلى قرية سقبا وتخلف عن الركب کل من أبو دياب محمد البرازی وسعید عدی، وحسن الزیبق، وسعید عکاش وعبدو عکاش فی دار أبو علی المطاوع ومکشنا فی سقبا مما یقارب أربع ساعات.

فورد إلینا نبأ من أحد القرویین أنه شاهد حملة إفرنسیة کبيرة تضم فئة من المدرعات والمدافع والرشاشات الکبيرة متجهة نحو أرض الزور وقد، انطلقت من شارع باب شرقي فنهضنا فوراً وأسرعنا إلى رواحلنا وسرنا بإتجاه قرية جسرین للوصول إلى قرية زبدین قبل أن یصلها الجيش الإفرنسی یم سراج السادة: البرازی والزیبق ووعدی والأخوین سعید وعبدو الأغواني ومستو

الأغواني قد وصلوا أرض الزور قبل أن نصل جسر الغيضة لأننا بيننا مشاة ليس لديهم ما يركبون، وكان هذا من حظهم ومن حسن حظ البقية الذين تأخروا بالسير عن الطلائع.

معركة بسيمة في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٦ :

بعد معركة الأشرفية والجديدة وبسيمة وسوق وادي بردى وكفير الزيت التي امتدت إثنا عشر يوما وقطع بها الخط الحديدي الواصل بين دمشق وبيروت ورياق وحلب قامت القوات الفرنسية بحرق القرى ومصادرة الأموال واعتقال النساء والمسنين من السكان حتى الأطفال، وقد حضر إلى قرية بسيمة عن طريق حلبون بعض مجموعات الثوار - البرازي والزبيق وسكر والملا - يريدون مجابهة القوات الفرنسية وكان في قرية بسيمة ثمانية من الثوار من مجموعة عكاش أتوا لمشاهدة أهلهم بعد معركة الجديدة والأشرفية وهم: محي الدين القادري، علي قاسم نصر الله وعباس علي عباس ومحمود القادري ومحمد حسن مهرة علي حسن عوض ومصطفى محي الدين القادري ومحمود محي الدين القادري.

خرج هؤلاء للملاقاة المجموعات الأربعة التي وصلت بعد انتهاء المعركة ورافقهم عبد الغفور القادري من قرية بسيمة وهو رجل موصوف بالرجولة والشجاعة وقد رحب بالثوار وقال لهم يا أصحابي ماذا تريدون ألا يكفي المنطقة، حرق الجديدة والأشرفية، أنا أريد المحافظة على قريتي، فرفضوا وأصرروا على الاشتراك في مقاومة الفرنسيين عندها رفع بندقيته وصاح:

العز بـهـور التـنايـا	والعمر عند الله وديعه
يا حـاضـر سـوق المـنايـا	عار على اللي ما بيع

ومشى معهم إلى منطقة تدعى النقب بين الأشرفية وبسيمة.

ولما وصل إلى هناك لم يشاهد أحدا منهم فجلس مع رفاقه من ثوار سعيد عكاش ينتظر.

في الثانية بعد الظهر وصل إليهم خبر يقيد بأن حملة من الفرنسيين قادمة من وادي بسيمة من ظهر الجبل فأرسل محمد حسن مهره لاكتشاف الخبر ولما عاد أخبرهم أن أبو دياب البرازي مرابط في الجبل بين الصخور ويستعد للملاقات الفرنسيين، في الوقت الذي كان سعيد عكاش ورجاله مرابطين في منطقة دير مقرن خوفاً من نجدة تأتي عن طريق قطار الزبداني من البقاع وبيروت لأن خبراً وصله أن ٢٠ ألف جندي فرنسي تقدموا باتجاه الأشرفية لضرب رجاله.

المعركة في بسيمة :

عندها جمع عكاش رجاله واعترض الحملة، تقدم إلى المرتفعات المطلة على وادي الأشرفية من الجهة الغربية وذلك لمساعدة أبو دياب البرازي والرجال الثمانية الموجودين على المرتفعات الشرقية.

عند مشاهدة الحملة الفرنسية للثوار قصفت الأراضي المنتشرة عليها بالمدفعية المتمركزة على ببادر الجديدة ثم تنالت الإشتباكات في كل مكان على طرقي الوادي ولم تستطع القوة الفرنسية التقدم لصمود الثوار في كل مكان وقتلهم قتلاً مستميتاً.. ولما حان وقت الغروب خاف الفرنسيون من أن يقوم الثوار العارفين بطبيعة الأرض بتطويقهم وإبادتهم خلال الليل فانسحبت الحملة الفرنسية تاركة ٦٠ قتيلاً في أرض المعركة وغنم الثوار سلاحهم وذخائرهم وقد جرح سعيد عكاش خلال المعركة من زنده.

وقد جاء في برقية القيادة الفرنسية عن هذه المعارك ما يلي:

بيروت ١٤ كانون الثاني ١٩٢٦

من الجيش الفرنسي في الشرق

عدة تدميرات نفذتها بعض العصابات بين الهامة والتكية وهي تتطلب عدة أيام من العمل - أفراد العصابة كانوا يستخدمون الأسلحة الرشاشة. وقد نفذت هذه العمليات وللمرة الأولى بمعارف فنية تدل على وجود عناصر غربية الاتصالات الهاتفية مقطوعة.

طابور فيرجين وصل الى الهامة مساء ١٣ كانون الثاني.

وبعد يومين من المعركة داهمت القرية أي الأشرفية قوة كبيرة من السلطة من أجل إلقاء القبض على زعيم هذه الثورة سعيد عكاش ولما دخلوا قرية الأشرفية ولم يجدوا أحد من رجال الثورة قاموا بضرب الأهالي وملاحقة الذين فروا من القرية، وبعدها ألقوا القبض على ثمانية من وجهاء قرية الأشرفية وهم مختار الأشرفية أحمد علي اسماعيل الموازيني - علي بن محمد حمد - علي بن الشيخ عبد الرحيم القادري - الشيخ مصطفى كريكور - حسين أبو حطب - محمد أبو حطب - حسن محمد الخطيب - حسن رضا - وذهبوا بهم وهم في طريقهم الى دمشق، وبينما كان المجاهد محمد حسن مهره من قرية الأشرفية ذاهباً إلى قرية ججرايا عن طريق الجبل أعلم زعيم الثورة سعيد عكاش الموجود في الهامة بدار (مصطفى قمر) بالحادث فقام سعيد عكاش فوراً مع رجال ثورته ورابط على الطريق بالقرب من الجديدة في منطقة (يقال لها جبل وردي شان) وعند قدوم السيارة المقلّة للمعتقلين أطلقوا النار عليها وأسروا من فيها من متطوعين وانقذوا

جميع أهالي الأشرفية المعتقلين وكان اسم السائق (فؤاد السادات) وقد أخذوا المتطوعين الى قرية الأشرفية وأخذوا سلاحهم وفي اليوم الثاني اطلقوا سراحهم بعد أن أوصلوهم الى مطلات قاسيون.

أما عن معركة بسيمة فيقول محمد ماليل أحد رجال ثورة عكاش ما يلي:

في أوائل شهر شباط ١٩٢٦ كنا مرابطين في قرية الأشرفية حيث قيادتنا ومكان تمويننا وكان مجموع القوة، يعادل ٥٠ ثائراً ووصل إلينا أبو عبدو سكر من زعماء المجموعات الثائرة في الميدان وجماعته وأحمد الملا من زعماء المجموعات الثائرة في أكراد الصالحية وجماعته. فاستقبلناهم بالترحيب وتبين أنهم حضروا لمساعدتنا على قطع طريق دمشق بيروت حسب أوامر القيادة لحفظ ومساندة القوات الثائرة بقيادة زيد الأطرش التي تقاتل في سفوح الحرمون الشرقية واطليم البلان تحت راشيا حتى لايطوقوا ويضربوا من الخلف...

فذهبنا جميعاً إلى مكان يدعى المقسم بين بسيمة والأشرفية... حيث قمنا بخلع السكة الحديدية، وربطنا بين الصخور والأشجار حتى موعد وصول القطار. ولما وصل القطار وخرج عن الخط وتدهور، جرى إطلاق النار من الحامية المتمركزة في عربات القطار المصفحة، فرد الثوار على النار بالمثل. استبسل الثوار خلال ساعة وقتلوا جميع جنود الحماية وعددهم أكثر من ٤٠ جندياً وفر الباقون الى دمشق خلال البساتين وقد غنم الثوار خلال هذه المعركة أسلحة الجنود والسكر والرز والشاي أخذها أبو عبدو سكر وأحمد الملا، أما الأغنام فقد كانت من نصيب أولاد عكاش حتى جاء أصحابها من دمشق وصالحوا عليها.

بعد هذه المعركة توجه سعيد عكاش ورجاله إلى قرية حلبون عن طريق وادي بسيمة، والقسم الآخر عن طريق الدريج، وفي هذه المعركة سرقت فرس أبو عبدو سكر وعندما سأل عنها قيل له إن أولاد عكاش سرقوا الفرس - فذهب أبو عبدو سكر ورابط في عين الصاحب منتظراً مرور أولاد عكاش في طريق عودتهم إلى الغوطة، ولما مر أولاد عكاش من عين الصاحب لم يشعروا إلا وهم محاصرين من رجال الميدان بقيادة أبو عبدو سكر، فسأل محمد عكاش عن الموضوع فقال فرسي، فقال لنذهب إلى حلبون سعيد عكاش في حلبون وفي بيت الحلال بالذات اجتمع أبو عبدو سكر مع سعيد عكاش وعاتبه على سرقة الفرس.. فضرب عبدو عكاش بوق الاستنفار فاجتمع رجاله ما عدا إبراهيم الصالحاني... فأمر حالا الثوار بجلبه فأحضروه فكانت الفرس معه فاستلمها أبو عبدو وعانق أولاد عكاش وتمت المصالحة.

لم يقبل أولاد عكاش بما جرى لأنه مخالف للفروسية العربية وهو وصمة عار بجين إبراهيم الصالحاني لذلك ضرب ووبخ وسحب سلاحه وفصل من ثورة أولاد عكاش فالتحق بثورة الاكراد (أحمد الملا) وصار إبراهيم صالحاني يتوعد سعيد عكاش وحاول اعتراض رجال ثورة عكاش عندما كانوا مرابطين في عين الصاحب وخاصة خلال محاولاتهم جلب التموين والاطعمة مما أدى إلى مضاعفات خطيرة كما أن عصابة الملا صادرت بغلا محملاً بالذخيرة مرسلاً من وادي بردى إلى حلبون وعين الصاحب فغضب سعيد عكاش وتوالت الخلافات وكان إبراهيم الصالحاني يقبض المال من الفرنسيين ليقوع بين المجموعتين الثائرتين وكل هذه الحوادث أدت إلى مقتل أحمد الملا ثم قتل سعيد عكاش كما ورد عام ١٩٣٨ بعد عودته من مصر.

معركة عربين :

في صباح يوم الخامس من آذار اشتعلت معارك الثورة من جديد في منطقة عربين تقول أليس بولو في كتابها دمشق تحت القنابل ص ٣٠٣ - بين الساعة السابعة والعاشر من صباح هذا اليوم عاد قصف القنابل مشابهاً لما جرى يوم ١٨ تشرين أول... «أي مثل يوم ضرب دمشق عندما احتلها الثوار».

وقال لنا جندي عاد لتوه من منطقة الإشتباكات إن معركة عنيفة تدور رحاها الآن في منطقة عربين على بعد خمسة كيلومترات من المستشفى الإنكليزي. ومكان المعركة هو المطارح ويحدثنا المجاهد سعيد عبد العال من أبناء الميدان بدمشق عنها فيقول هي واحدة من المعارك التي اشترك فيها ضد جنود الاحتلال وحدثت في عربين على الطريق بين دمشق والقטיפفة.

فقد أرادت قوات الاحتلال الفرنسية استبدال حاميتها في دوما بحامية جديدة قدر عدد جنودها بـ (٤٠٠٠) جندي وقد وصلت معلومات حول هذه الحامية من الكابتن عطاف باشا أحد الضباط الجزائريين في الجيش الفرنسي الذي كان متعاطفاً مع الثوار السوريين...

قبل عدة أيام من الحادثة كان سعيد عكاش ورجاله قد زحفوا إلى مسرابا وجوبر وهاجموا الجنود القائمين بقطع أشجار الغوطة بالقرب من الطريق العام لتوسيع دائرة الرؤية، وإبعاد الثوار عن الأشجار التي يحتمون بها. وقد اشترك معهم أهالي جوبر. فقد كانوا يريدون المحافظة على سلامة أشجار الجوز في بساينهم، وقتلوا بعض الجنود الفرنسيين ثم ساروا مع قوة من رجال حسن الخراط باتجاه باب شرقي حيث كان الجنود الفرنسيون يعتدون على سكان

الغوطة الذين يحملون نتاج حقولهم إلى دمشق من مركزهم في معمل الزجاج وقد أوقفه الفرنسيون عن العمل واستعملوا المعمل كثكنة عسكرية لمضايقة السكان ولكن الثوار لم يستطيعوا احتلال المعمل لارتفاع أسواره فذهبوا إلى المبيت في قرية بيت سحم...

في اليوم التالي هاجم الثوار مغافر الشرطة في السنانية والدرويشية والمسلخ وطريق الشاغور وعادوا إلى زبدین.

ومن زبدین انتقل عبدو عكاش مع رجاله إلى عربین برفقة أبو دياب البرازي ورجاله بناء على إخبار الكابتن عطف باشا وقد حمل المجاهدون معهم مدفعا أرسل إليهم من قبل قائد الثورة سلطان باشا فسحب على بكرة من سقبا والمدفع من عيار «٣,٥» انش ولما علمت السلطة الفرنسية بخروج الثوار لملاقاة الحملة أرسلت مدرعات لنجدة الحملة...

وقد وضع الثوار المدفع تحت الأشجار وتم تجهيزه وعندما هموا بإطلاق النار على المدرعات لم ينطلق بسبب أن بعض البراغي قد احتفظ بها السيد خليل ملحس وهكذا فقد مرت المصفحات دون أن يتمكن الثوار من إبادةها.

نزل بعض الجنود من سيارة عسكرية لمعاينة العبارة التي على الطريق بالقرب من عربین ولما وجدوها مخربة حاولوا وضع بعض ألواح الخشب لتسهيل مرور المصفحات ففتح الثورا عليهم النار، واحرقوا الجنود ولكن المصفحات ردت على النار بنيران غزيرة من مدافعها ورشاشاتها ... وكانت القنابل تتساقط في منطقة تمركز المجاهدين كالبرد والمطر... وبعد معركة عنيفة امتدت حتى غروب شمس يوم (٥) آذار أرغمت المدرعات على التراجع وأسرع محمد

أبو يحيى بمطاردة المدرعات ممتطياً جواده حتى وصل إلى شارع القصاع بجوار المشفى الإنكليزي.

أما أولاد عكاش ورجالهم فإنهم غادروا عربين واشتبكوا بحرستا مع المدرعات التي اجتازت القناة في منطقة حرستا وكان هدفهم منع وصول الحملة إلى دوما وبالفعل حوصرت المدرعات السبع في حرستا من قبل الثوار وقتل في المعركة محمد بن حسن اسماعيل وابراهيم من قرية هريرة وجرح الطناني ... وقد استمرت المعركة حتى فرت المدرعات فانسحب الثوار حتى لا تلحق بهم القوات الفرنسية التي أرسلت من دمشق...

عند وصول حملة المشاة إلى فكي الكماشة على طرفي الطريق من المجموعتين من الثوار المرابطين بدأ الثوار بإطلاق النار والاشتباك معهم واستمرت المعركة ثلاث ساعات حشر بها الفرنسيون قرابة ٨٠٠ جندي وتم تعطيل عدة مصفحات وغنم الثوار بعض الأسلحة والذخائر وخسر الثوار شهيداً واحداً وفرساً وأصيب عدد قليل من الثوار بجروح... وإن المجاهد الذي استشهد في هذه المعركة هو من عداد رجال ثورة سعيد عكاش واسمه ديب علي بكري ودفن في قرية عربين - ومجاهد آخر توفي لأصابته بعد المعركة هو اسماعيل حسين الموازيني من قرية الأشرفية.

وعند انتهاء ذخيرة الثوار انسحبوا الى مواقعهم في الزور وتابعت بقايا الحملة طريقها الى دوما...

ولو كان التعاون في ذلك الوقت بين فئات الثورة كاملاً لأبديت القوة بكاملها... ولكن التعاون كان بين مجموعة أبو دياب البرازي ومجموعة سعيد

عكاش كاملاً حتى في معارك وادي بردى لضرب القطارات بين دمشق وبيروت كما حدث في معركة الجديدة بتاريخ ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٦ وبينما كنا نخرج من قرية عربين الى المقبرة (المدفن) إذ حلقت إحدى الطائرات الفرنسية فوق القرية فأسرعنا بالتواري عن أنظار الطيران ودخلنا الحقول تحت شجر الزيتون فاتجهت الطائرة نحو البساتين وحلقت على علو منخفض تفتش عن فريستها فصبوب الثوار بنادقهم عليها وأصلوها بوابل من الرصاص وقد ألقت حولتها من القنابل في الحقول بدون تعيين وقد شاهدناها وهي تهبط على الأرض فلحقنا بها إلى أن وجدناها تحترق بجانب مزرعة نصري القرية من مدخل باب توما وكان فرح المجاهدين عظيماً فوقفوا صفوا واحداً تحت شجر الزيتون وكان قسم منهم يحمل بعض الآلات الموسيقية التي أحضروها من القلمون فعزفوا بأبواقها ودقوا في طبولها على قدر الإمكان واستعرض السيد حسن الخراط صف الثوار فسلم عليهم وهو يضحك...

وفي هذه الأثناء حلقت بعض الطائرات في سماء الغوطة وخرجت قوة من الجيش الفرنسي لاحتضار الطيار وطائره المصابة فأسرع الثوار لملاقاة الجنود على الطريق العام وبقيت مع أبو أحمد محمد عكاش في أرض مسورة بالدكوك وهي عبارة عن جدران من التراب تفصل الحقول بعضها عن بعض حسب ملكيتها وهذه الدكوك ساعدت الثوار في القتال ضد الفرنسيين.. وطلب محمد عكاش من أخيه عبدو أن يكون بجانبه فلم يقبل إلا الإلتحاق بالمجاهدين على الطريق العام، وكلمة حق سجلها حيث هي: أن البطولة والفروسية والرجولة التي كانت تصدر من هذا الشاب في العقد الثاني من عمره كانت منقطعة النظير إذ كان يطلب الموت ولا يهاب أحداً. وقال مخاطباً أخاه محمد: أنا لا أريد أن

يقال عني بأنني قد تواريت عن القتال ومكثت وراء الدك أراقب الخيل المرابطة في هذا الحقل، نهض واقفاً وبسرعة البرق متحدياً قول أخيه والتحق بإخوانه المجاهدين على الطريق العام ولحقت بأثره بعدما سمعت منه قوله.

معركة النبك :

ثار القلمون مثل باقي المناطق في سورية وخاصة سورية الجنوبية، حوران ودمشق وجبل الدروز وتبعته منطقة القلمون رغم جردها وخلوها من الشجر. وقد تزعم الثورة في القلمون:

١ - جمعة سوسق من قرية رنكوس قام مع مجموعة من المجاهدين واتصل بسعيد عكاش وتعاون معه، اتصلت ثورته بثورة وادي بردى كما تعاون مع رجال باقي المناطق الثائرين في القلمون وباقي مناطق القلمون.

٢ - أحمد طيقور وخالد النفوري وغيرهما من وجهاء النبك، تزعموا رجال النبك الثائرين وقادوهم في المعارك.

٣ - مجموعة محمد محسن من قرية الجبة غربي النبك.

٤ - آل دعاس أبو سلطان من جيروود وكان عملهم قطع خط تدمير على سرية من الهجانة المتمركزة في تدمر ومعها عدة طائرات وقد استطاع البدو من آل الملحم والشعلان حصار المنطقة وتجميد هذه القوة لمدة تفوق الشهر وتجويعها.

٥ - اتصلت هذه المجموعات الثائرة وساندت المجموعات التالية:

١ - توفيق هولر حيدر في بعلبك التي ساهمت مع القلمون في السيطرة

على مدينة بعلبك وإخراج السجناء من قلعتها بتعاونها مع مجموعة الشائر سعيد عكاش كما ساهمت بقطع خط التموين في طريق القلمون عن القوات الفرنسية في مدينة دمشق.

٢ - مجموعة حسن الخراط وقد خرجت من الغوطة بعد توقف معارك جسرتورا بسبب الحصار المضروب على طريق وادي بردى من مجموعة عكاش.

٣ - مجموعة سعيد عكاش والتي كانت مسؤولة عن المنطقة السادسة، المهاجرين ووادي بردى حيث انتقلت عن طريق الجبال إلى رنكوس ثم معلولا إلى النبك والتقت بمجموعات الثوار في غوطة دمشق لمنع امداد القوات الفرنسية المحاصرة في المدينة.

عن المعركة يقول السيد محمد حسن مهرة أحد رجال ثورة سعيد عكاش بعد أن حضر المعركة بقينا في النبك ثلاثة أيام ونحن نترصد للحملة الفرنسية المتقدمة من حمص، وفي اليوم الثالث جاءت أخبار تفيد عن تقدم الحملة - فذهبا وربطنا على جوانب الطريق العام شمال قرية النبك. وصدرت الأوامر من سعيد عكاش بعدم اطلاق النار حتى تدخل الحملة في النطاق المجدي للأسلحة الموجودة معنا... وبقينا مترصين حتى وصلت الحملة وفي مقدمتها ثلاث مصفحات... ولما وصلت المصفحات إلى نهاية كماشة الثوار أمر سعيد عكاش بإطلاق النار وبدأت المعركة، وأخذ جميع الثوار يطلقون النار على الفرنسيين وكان معنا رشاش كبير غنمناه من قطار بيروت يطلق النار بغزارة - ولكن الجنود الفرنسيين المحمولين على السيارات نزلوا إلى الأرض وبادلناهم اطلاق النار.

وتقدم الجاهد محمود متاعة الملقب بالشيخ خالد وقبض على رامي

المصفحة وضربه في رأسه حتى قتله... وكانت المعركة عنيفة جداً استبسل فيها الثوار وقتلنا جميع جنود الحملة الفرنسية وغنمنا نحن مجموعة سعيد عكاش رشاشاً كبيراً بقي بحوزتنا حتى نهاية الثورة وقد حضر أهالي النبك بعد انتهاء المعركة وأخذوا حولة السيارات.

وقد أقيم بعد الاستقلال نصب يخلد هذه المعركة من معارك الحرية والاستقلال في سورية لا يزال إلى الآن غرب الطريق من حمص إلى دمشق شمال النبك عند منعطف الطريق حيث جرت المعركة...

وبعد انتهاء المعركة عدنا إلى منطقة دمشق. وذلك خلال الليل خوفاً من الطائرات الفرنسية التي حضرت إلى أرض المعركة وبدأت بملاحقتنا - ونزلنا في قرية زبدین. وفي اليوم التالي حضر وجهاء قرية عين ترما واصطحبوا معهم الشاب محمد الحمزاوي وأعادوه إلى والده بناء على طلبه. بتنا ليلتنا دون أن ينزع احد أحذيته إلى الصباح، وقد حضر إلينا أحمد عكاش وإخوته وكان معهم رشيش في مخزنه بكرة محشوة بالفشك. وقصوا علينا تعاونهم مع أبناء طيفور وجمعة سوسق... ومهاجرتهم الحامية العسكرية في قلعة النبك وانضمام مائة من أهالي جبرود بقيادة سليم الدعاس إلى الثوار كما اشترك شباب كثر من أهالي المنطقة في تلك المعركة وكذلك رمضان باشا شلاش. في اليوم التالي توجهنا إلى قرية سقبا، وتخلف عن الركب الثوار أبو دياب البراري وسعيد عكاش وإخوته ورجاله.

معركة بعلبك

يقول المجاهد محمد ماليل من رجال سعيد عكاش

قام الفرنسيون في منطقة البقاع المجاورة لمنطقتنا بالضغط على الأهاليين

واعتقال كافة الرجال الوطنيين في منطقة بعلبك فوجه هولوا حيدر نداء استغاثة إلى المجموعات الثورية في منطقة دمشق والقلمون لإنجاده وتخليص الوطنيين المسجونين في قلعة بعلبك وعندما وصلت الرسالة إلى سعيد عكاش قرر الذهاب إلى بعلبك واستدعى رجاله المجاهدين للإجتماع في قرية الأشرفية، وحضر أكثر من مائة فارس من خيالة ومشاة منهم عبد الجليل العيطة فارس خضير يوسف المعضماني ومحمد مائل خليل الخطب عبد العال المصري حسن الخواجة وعبد الوهاب حسون الداري وحسين الجوخدار واسماعيل الجوخدار وسعيد المدني وأحمد عثمان ومحمد الكحيل عبدالمالك حمزة مسلم عرموش أحمد مسعود الخناوي مسعود ناصر الدين وأحمد سلوم وحزرة القادري بن وردة وعلي عثمان ومحمد حسن مهرة وأسعد خطر حجلة وعلي حسن عوض وعباس علي عباس ومحمود عنتر علي السرعبي وكامل مسرابا أبو محي الدين ومسلم حوا وسعيد المغربي وأبو علي مروش واتجهنا نحو جبال سرغايا الشرقية مساء، ثم دخلنا قرية معربو على الحدود السورية اللبنانية فعين البيضاء، وهناك توقفنا للإستراحة وفي الصباح توجهنا إلى عين سباط في الجبل الشرقي وكان هناك في انتظارنا الزعيم توفيق هولوا ومعه رجاله الثوار وأصبحنا قوة ضاربة كبيرة لا يستهان بها.....

وانضاف إلى المجاهدين السيد فياض اسماعيل ومعه بضعة رجال وهناك وضعت خطة الهجوم في مرزعة بنفس المنطقة.

واسند إلى كل زعيم ثورة مهمة يقوم بتنفيذها مع رجاله. وتوجهنا في ليلة ١٩ - ٢٠ أيار ١٩٢٦ الساعة التاسعة ليلا إلى بعلبك المدينة وقام رجال السيد توفيق هولوا وحيدر والسيد فياض اسماعيل باعتقال الرجال المسؤولين والموالين للفرنسيين في البلدة وخاصة منطقة رأس العين بجانب مدينة بعلبك حيث يتجمع

رجال المسؤولين، كما قطعت خطوط الهاتف المتجه إلى البلدة حتى لا يطلب الجنود الفرنسيين الإمدادات.

وكان بعض المسؤولين يقيمون في فندق بمنطقة رأس العين. فاعتقلوا أما مجموعتنا فقد ركزت نيرانها على قلعة بعلبك واطلقنا النار بغزارة على القلعة حتى لا يخرج منها الجنود لنصرة المسؤولين في البلدة.

انقسمت قوات هولر حيدر إلى ثلاث فئات:

الأولى حاصرت رأس العين وقبضت على المسؤولين بها واحتلت المنطقة.
والثانية احتلت الفنادق وبدأت التفتيش عن محافظ بعلبك الذي فر من منزله.

أما المجموعة الثالثة فقد تجولت في البلدة لتعلن سيطرة الثورة على البلدة. في الوقت الذي جهدت قوتنا القوات الفرنسية وقوات الدرك الموجود في القلعة، بعد إتمام الإعتقالات قامت مجموعتان من قوات سعيد عكاش، الأولى قامت بمهاجمة القلعة وكسرت الباب الخارجي ثم دخلت القلعة غير مبالية بنيران الرشاشات.

وقد ألقت القنابل اليدوية بغزارة حتى يغطي دخانها المهاجمين حيث استولت على الأسلحة والذخائر وأطلقت سراح الوطنيين المعتقلين.

بعد ذلك قامت المجموعة الثانية إلى دار الحكومة السرايا فأطلق رجالها النار على خزان الوقود الموجود على سطح المبنى فاشتعلت النيران وابتدت على بناء السرايا وكل ما فيه من أثاث وأوراق حتى أصبحت رمادا لم يبق منها إلا

الجدران، وذهبت فتنة أخرى إلى دار البريد والبرق وإلى دائرة الديون العامة فحطموا الأبواب والنوافذ وحرقوا الموجودات وكسروا ما وجدوه من أثاث.

وقد سمع الجنود الموجودون في المدينة أصوات الرشاشات والقنابل اليدوية وشاهدوا نيران الحرائق... وهدير صوت الثوار ونداءاتهم الله أكبر....

همل المواطنون لأعمال المجاهدين سعيد عكاش، وتوفيق هولو حيدر وفياض اسماعيل. وخاصة عند إحراق دفاتر الديون العامة أمام السرايا.

بحضور الزعماء الثلاثة سعيد عكاش وتوفيق هولو وفياض شهاب. وأهالي المدينة. فرغدت النساء، وهتف الجميع بحياة الثورة ومطالبتها بالاستقلال.

أما ثكنة الشيخ عبد الله فقد حاصرها الثوار من أطرافها الأربعة وطلبوا من الجنود التسليم فرفضوا معتمدين على السور العالي الذي يجعل القلعة حصينة ونشبت معركة طويلة بين الطرفين. ولكن جماعة سعيد عكاش خشيت وصول النجادات الفرنسية من رباق عن طريق الخط الحديدي أو من حمص بعد أن شاهد الثوار إشارات الإستغاثة الضوئية تصدر بكثرة عن القلعة والثكنة لذلك اثروا الانسحاب عن طريق «قرنه» وبذلك دخلوا الأراضي السورية حيث يسيطر الثوار على القلمون فاستقبلهم زعيم ثورة رنكوس جمعة سوسق وهنأهم بالسلامة ومن رنكوس عدنا إلى وادي بردى.

أما جريدة المقتبس للاستاذ محمد كرد علي الذي كان يتعاون مع الفرنسيين ويقبض منهم المال كما ورد في كتاب الدكتور كوثراني عن تاريخ سورية فقد ورد في العدد ٤٥١٧ تاريخ ٢٦ أيار ١٩٢٦ السنة السابعة عشر.

«ونشرنا في عدد مضى حادث بعلبك كما اتصل بنا وقد جاءنا من بعلبك أن عصابة سعيد عكاش انضمت إلى عصابة توفيق هولو حيدر المراقبة في الجبل الشرقي المحيط ببعلبك وقد أصبح عدد هاتين العصابتين ٤٠٠ ثائراً وانضم إليها فياض اسماعيل مدير بريثال وقرروا مهاجمة بعلبك ليلاً فقطعوا الخط وأسلاك البرق والهاتف وفي ليل ٩ الجاري نحو الساعة التاسعة والنصف احاطوا مدينة الشمس من أطرافها الأربعة وهاجموها وأخذوا يطلقون النار وانقسموا إلى فئات وقصدت فئة منهم بقيادة توفيق هولو حيدر إلى نزل خوام في رأس العين فتناولوا طعام العشاء وألقى توفيق هولو خطاباً على مسمع من النازلين في الفندق ومما قاله «اننا لانريد شراً بأحد» وهم أحد رفاقه أن يأخذ فيليب أفندي نادر أحد مهندسي النافعة وعقيلته النازلين في الفندق المذكور فمنعه توفيق من ذلك وقد توجهت فئة من الثوار إلى دار الحكومة فأشعلت النار فيها فجعلتها رماداً تذروه الرياح بجميع ما فيها ولم يبق إلا جدرانها. وذهب فريق إلى إدارة البرق والبريد وإلى دائرة الديون العامة فحطموا الباب وكسروا ما وجدوه من الأثاث وأخذوا موجودات الصناديق.

وقصدت فئة بقيادة مصطفى عقيل حيدر في ذلك المساء - وكأنه يعلم بالحادثة قبل وقوعه - وذهب إلى الحطة حيث تعسكر فرقة من الجند.

وقد اعترض الخواجة فضل الله قرعة صاحب نزل سنترال الثوار وحاول المقاومة فقتلوه طعناً بالخناجر واعتقلوا من نزلاء الفندق المذكور يوسف أفندي رشيد مراد.

وذهب قسم من الثوار إلى دار كان يقيم فيه المستنطق نصري أفندي

نصار بغية اعتقاله فلم يجدوه وكان قد نقل إلى منطقة أخرى قبل بضعة أيام ثم قصدوا دار محمد سعيد أفندي المرتضى قاضي المدينة بغية اعتقاله فلم يعثروا عليه.

وأخذوا خيل عربتي خليل عساف وحبیب الجليلاتي وقد قاومهم الجنود بشدة وتعلت أصوات الرشاشات والقنابل اليدوية وكانت ليلة ليلاء لم تشهد بعلبك مثلها وظلت بعلبك وسط النار الحامية حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل حيث انسحب الثوار إلى ناحية قرية نحلة في الجرد الشرقي.

وقد كان عدد الثوار الذين هاجموا بعلبك يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ مجاهداً وكان على رأسهم سعيد عكاش وأخوه وتوفيق هوللو حيدر وفياض اسماعيل مدير بريثال السابق ومصطفى عقيل حيدر شقيق السيد لطفي عقيل الذي اعتقلته الحكومة منذ أيام في بعبداء.

وقد تمكنوا من إخراج المسجونين ولم يكن في مدينة بعلبك من الجنود إلا زهاء ثلاثين دركياً أقاموا في دار الحكومة والقسم الأكبر منهم في الثكنة العسكرية.

وقد أحرق المجاهدون دفاتر دائرة الديون العامة أمام دار الحكومة وحاولوا اختطاف السيد قاسم مرتضى رئيس البلدية فلم يعثروا عليه أما يوسف الذي اختطفوه فهو نجل رشيد أفندي عضو مجلس الإدارة.

وقد بعثوا كتباً إلى عائلات الذين اعتقلوهم يطلبون عن كل واحد ٤٠٠ ليرة ذهبية ليخلوا سبيلهم.

وقد أحاط الثوار بالشكنة العسكرية من جهاتها الأربع وطلبوا من الجنود التسليم فرفضوا والشكنة محكمة البناء والتحصين فنشبت بين الطرفين معركة حامية الوطيس.

كما نشرت جريدة القبس تحت عنوان «عصابتا حيدر وعكاش» اتصل بجريدة الأوريان أن قسماً من عصابة حيدر وعكاش التي أغارت على بعلبك قد ذهبت إلى جهات حماة والتقت هناك بقوة من الدرك لمصادرتها فكبدتها خسائر جسيمة.

ومع ذلك فإن أهالي بعلبك ما زالوا يتلقون من حيدر كتباً تهديدية يطلب من الأغنياء دراهم.

أما الفرنسيون فقد أحوالوا أوراق بأسماء الذين قبض عليهم من بعلبك والقرى المجاورة لها إلى الديوان الحربي العسكري في بيروت لحاكمتهم... بتهمة اشتراكهم في حادث بعلبك الأخير.

أما من دخل من الثوار إلى حمص فإن ثمانية منهم اخذوا يتجولون في منتزه الميماس دون أن يتعرضوا لأحد وعندما وقع نظرهم على خالد الزايجي انهالوا عليه بالضرب الشديد قائلين له انت بوليس سري وقد أرادوا قتله غير أن الحاضرين تشفعوا به فتركوه.

وكنا قد اشرنا من قبل إلى اتصال المجاهد توفيق هول حيدر بنا في الجبل وأنه اشعرنا باستعداده لإشعال نار الثورة في بعلبك ونواحيها فزودناه ببعض الأسلحة الثقيلة التي كسبناها في معركة المزرعة وألحنا عليه بضرورة التعاون

مع العناصر الوطنية في منطقته وربط نشاطه بنشاط المجاهدين في الهرمل وحمص وحماه والقلمون وكنا قد عهدنا أيضاً إلى المجاهد كنج صلاح بحمل رسائلنا إلى زعماء المنطقة لحثهم على رفع راية الجهاد ونشر الثورة فيها، وفي مقدمتهم الوجيه المعروف ملححم قاسم في البقاع، والجعافره في الشمال. ثم حاول اخي زيد اثناء وجوده في الاقليم، ان يتصل بالقادة انفسهم للغاية نفسها، غير ان نشاطهم ظل مقتصرأ على مضايقة قوات الدرك والقناصة اللبنانية، إلى ان توجه المجاهد سعيد عكاش على رأس قوة تقدر بنحو خمسين مجاهداً، واجتمعوا بتوفيق هولوا حيدر في مزرعة (عين سباط) وحضر الاجتماع فياض اسماعيل (قريب ملححم قاسم) حسن حميه، مصطفى وحسين حيدر، وبعض وجوه من آل دندش. في أعقاب هذه المعركة. أخذت الطائرات الفرنسية تجوب سماء منطقة بعلبك، وترمي قنابلها على القرى الآمنة، وتصوب نيران رشاشاتها على قطعان الماعز ورعاتها. ثم سارعت إلى إقامة الحاميات والمخافر العسكرية حول المنطقة، في زيتا والقاع وبله ووادي خالد والهرمل ورأس بعلبك وبله. مما ضاعف من مخاوف الأهالي وزعماء المنطقة وصار البعض يلوم الآخرين على الاشتراك بالثورة، واتصل الفرنسيون بآل حماده وأقنعوهم بعدم الانجراف مع الشوار وطلبوا منهم السعي لدى عشائريهم لوقف القتال والاستسلام للسلطة على يد الكابتين - ماميه - الذي وعد باسم المراجع الفرنسية العليا بالعفو عن الثائرين وعدم مطالبتهم بأي تعويض أو غرامة حربية. وقد أثر الثائر فياض شهاب الاستسلام إلى الفرنسيين والانسحاب من الثورة. يقول الدكتور مهيب حمادة في كتابه علاقة البقاعيين بالسوريين واستراتيجية البقاع في المواجهة السورية الإسرائيلية: إن عصابة فياض شهاب استسلمت للسلطة بواسطة صبري حمادة وأحمد الحسيني.

كان لاستسلام فياض شهاب ومجموعته صدى سيء عند الوطنيين في سوريا الذين بعثو له الرسائل العديدة طالبين منه العودة عن قرار استسلامه للسلطة، مشيدين بنخوته العربية وأهمية استمراره بالثورة. فوصلت له رسائل من سعيد عكاش وجمعة سوسق وفوزي القاوقجي تحثه على ذلك. وكان من شروط استسلامه للسلطة أن دفعت كل قرية حور تعلا ١٠٠ ليرة ذهبية ومئة وعشرون بندقية. بينما بقي توفيق هولو حيدر على رأس ثوار منطقة بعلبك.

ولما لم تستطع السلطات الفرنسية اخضاع توفيق هولو حيدر اعتقلت زوجه كما جاء في نشرة مكتب الاستعلامات السوري في القاهرة حيث وجه المكتب برقية احتجاج إلى جمعية الأمم في جنيف.

ومن المعارك التي شهدتها المنطقة أيضاً معركة «اللبوة» الشهيرة، التي قاوم الثوار فيها جيشاً فرنسياً كبيراً تسانده الطائرات والاليات المدرعة والقطارات المصفحة، وكبدوه خسائر فادحة بالأرواح والمعدات، مما أثار حفيظة الفرنسيين وجعلهم يقدمون على تدمير القرى الثائرة وارتكاب الجرائم البشعة فيها.

وقد قامت السلطات الفرنسية في اليوم التالي باعتقال بعض المواطنين في بعلبك ولما لم تستطع اعتقال توفيق هولو حيدر اعتقلت زوجه...

معركة الأشرفية

٢٩ حزيران ١٩٢٦

للمحافظة على سير الخط الحديدي بين دمشق وبيروت وهو يؤلف خط التموين والاتصال الرئيسي للقوات الفرنسية بدمشق... أقام السيد بيجان مستشار شرطة دمشق مجموعات من المسلحين على طول الخط الحديدي بين سرغايا ودمشق بأمر السيد توفيق الشماط من سرغايا، وانضم إليهم بعض رجال قرية بريتال وقد وفرت السلطة الفرنسية المال للسيد توفيق وأعطته رتبة نقيب بالجيش الفرنسي. وقام بانتقاء الأشخاص المتعاونين معه، ووزع عليهم الأموال والأسلحة وسيرت قطارين مصفحين الأول ينطلق من دمشق والثاني من بيروت دون أن يقف في المحطات المحروقة سوى الزبداني... لكن ثوار دمر والمنطقة السادسة لم يقبلوا بهذا التحدي بل سارع سعيد عكاش وإخوته ورجالهم ووضعوا ناسفة تحت الخط... وعند مرور القطار عليها انفجرت فخرج القطار عن سيره وتحطمت بعض عرباته، وأطلقوا النار على من فيه فأبادوهم...

وعلى أثر هذه العملية التي تمت في ٢٩ حزيران - قام توفيق الشماط ورجاله بمهاجمة قرية الأشرفية، وجرت معركة كبيرة بين رجال سعيد عكاش وبينه وأثناء المعركة وصل قطاران من دمشق والزبداني وبداخلهما عدد كبير

من الجنود الفرنسيين ونزل الجنود من القطارين واشتبكوا مع قوات الثورة
بمعركة ساخنة، استمرت ساعة ونصف خسر فيها الفرنسيون كثيراً من
جنودهم.

معارك الصبورة ويعفور وقدسياً ومقتل عبدو عكاش :

بعد سيطرة الثورة على طريق وادي بردى وضرب السكة الحديدية كان
لا بد من إغلاق الطريق المؤدية من دير العشائر إلى الصبورة ثم إلى قطنا لتطويق
دمشق وعزل الجنود الموجودين بها عن مراكز امدادهم في لبنان. بينما يقوم
باقي الثوار بقطع طريقا القلمون والحرمون عن طريقا النبك والقنيطرة، وقد
كان طريق القنيطرة مقطوعاً بفعل القتال الدائر في راشيا وجباتا وإقليم البلان،
لذلك كان احتلال قطنا وضرب السرايا وأخذ الأسلحة الموجودة فيها،
ضروري لإتصال جماعات الثوار بعضها البعض ... وأحكام الطوق من حول
دمشق لذلك توجه سعيد عكاش مع ورفاقه إلى قطنا عن طريق الصبورة... وفي
صحراء الديماس بالقرب من الصبورة هاجمت الطائرات الفرنسية المجاهدين
ورمتهم بوابل من القنابل فاخبت المجاهدون بأطراف القرية وتحت الأشجار
وأطلقوا نار بنادقهم على الطائرات ... التي لم تجد أمامها أهدافاً إلا القرية الآمنة
فصبت قنابلها وقتلت بعض السكان وبعض النساء اللواتي كن يخزن أمام
التنور. ويظهر أن هذا ما لفت انتباه الطيار الذي القى قنابله.

عندها صدرت الأوامر إلى المجاهدين بالتفرق إلى قرى رأس العين وقدسياً
والهامة ودمر... ويعفور .

فذهب سعيد عكاش إلى يعفور ورأس العين وذهب عبدو عكاش مع إثنين

من المجاهدين إلى قدسياً ... وباتوا في منزل مصطفى حسن ... وكان من المجاهدين ويتقاضى راتباً من الدولة.. ولكن بعض الخونة من عيون الجيش الفرنسي، نقلوا إلى الفرنسيين خبر وجود عبدو عكاش ورفاقه في قرية قدسيا.

لم يكن القائد الفرنسي الكولونيل كوليه يعلم بوجود بعض أولاد عكاش وقسم من رجالهم في قرية قدسيا واعتبرها الفرصة السانحة والذهبية للقضاء على هذه المجموعة من المجاهدين التي رفضت كل عروضه للاتفاق معه تلك العروض المالية والإدارية ... المجزية مقابل حماية الخط الحديدي والطريق إلى بيروت.

لذلك جمع رجاله من الشركس والمغارسة والسنغال .. والسودان، وقسمهم إلى فيالق مختلفة، وكلهم خيالة وسار بهم إلى قدسياً وطوق البلدة من الغرب فوضع مفرزة في أعلى التلال المشرفة على البلدة للفصل بينها وبين قوات النجدة التي يمكن أن تحضر، ثم بدأ بدخول البلدة بحذر كبير فأغلق حارات البلدة برجاله ليمنع الاتصال بينها حتى لا يهاجم من الخلف ثم دخلوا الحارة التي تحوي بيت المجاهد مصطفى حسن وكان باب البيت قد وضعت عليه شارة بالطبشور الأحمر دائرية الشكل من قبل رجال الفرنسيين لتشير إلى وجود آل عكاش في هذا البيت...

لم يكد الجنود يصلون إلى البيت حتى كسروا الباب بسهولة، لأن أبواب المنازل في القرى ضعيفة المقاومة.

سمع عبدو عكاش صوت كسر الباب فاستيقظ مع رفاقه... كان المنزل محاصراً والقوى العسكرية الفرنسية تجوب كل حارات قرية قدسياً، وكوكبة كبيرة من الخيالة تتوسط ساحة البلدة والجنود منتشرين على المرتفعات المحيطة

بها ... واحتياطي القوات يتمركز على الطريق الممتدة من ساحة القرية حتى الطريق الذي يصل بين دمشق وبيروت، ولم يكد الجنود يدخلون المنزل بعد كسر بابه حتى جابهتهم نيران غزيرة من عبدو عكاش، فقتل الجنود الخمسة، والضباط قائد المجموعة... فارتعد الفرنسيون المهاجمون وكانوا يظنون أن النصر سهلاً والغنيمة بيدهم وجرى تبادل إطلاق النار من الطرفين لمدة نصف ساعة ولما علموا أن لافائدة من الهجوم ولا يمكن اقتحام الغرفة من الباب أمر القائد بأحضار القنابل، فذهبت سيارة إلى دمشق وأحضرت صناديق القنابل. ثم أمر القائد بحفر السطح، فعمد الجنود إلى حفر السطح، وقد قتل عبدو عكاش منهم ما يقارب الخمسة جنود فتوقفوا عن الحفر. وقد أمر الضابط بإحضار رجال من قرية قدسيا وأمرهم بالحفر تحت التهديد بالقتل وباشروا بالحفر، وقد قتلوا أثناء تبادل إطلاق النار بين الفرنسيين وعبدو عكاش لأن الجند الفرنسي أجبرهم على حفر السطح ولما رفضوا قتلهم وهم: محمد البوشي ويوسف البوشي وصادق الخطيب وجميعهم من أهالي قدسيا وبعد أن فتحت طاقة من السطح ألقوا القنابل إلى داخل الغرفة على عبدو عكاش حيث جرت معركة ثم انتهت عندما سكنت، المقاومة من داخل الغرفة وبعد أن سكن الغبار ورائحة القنابل، اقتحموا باب الغرفة فوجدوا أحد حراسه وهو من قرية الديماس قتيلاً. فأدركوا أن عبدو عكاش ما زال حياً ودخلوا الغرفة ثانية فوجدوه مختبئاً. في اليوك وفوقه الفراش مغمى عليه، فحملوه إلى خارج الغرفة وصبوا عليه سطلا من الماء حتى عاد إلى صوابه، فقال له الجنرال الافرنسي، سلم بوجه فرنسا تسلم وكان هدف كولييه المساومة عليه لاستسلام أشقائه بعد استسلامه فأجاب عبدو عكاش: خستم أنا لن استسلم وان أكون أسيراً: الموت أحب إلي من الاستسلام. وكان الكابيتين بيده مسدس فأطلق النار عليه وقتله بعدة طلقات في راسه. كل هذه الحوادث

جرت وابو دياب سعيد عكاش وإخوته لم يعلمو بمحاصرة أخيه في قرية قدسيا.. في اليوم التالي. وعند وصول الخبر إليهم أسرعوا إلى قرية قدسيا مع رجالهم، فوجدوا المعركة قد انتهت، فاشتبكوا مع القوة الفرنسية المتبقية في القرية وفكوا الحصار عنها. وقتلوا كل من تبقى من الفرنسيين بالقرية. وأخذوا بثأر أخيهم عبدوا عكاش الذي قتل على يد الكابتن كوليه.

وتؤكد صحة هذه الرواية ما ذكره السيد عبد الغني الأسطواني في كتابه العرب من وراء اللهب. والمعلومات التي ذكرها السيد عزت الخواجة مختار دمر سابقاً كما يشهد على ذلك جميع وجهاء قرية قدسيا.

معارك ثورة عكاش والأعمال الفرنسية خلال عام ١٩٢٦ المفاوضة :

وخلال الأشهر من شباط حتى ايلول توالى هجمات عكاش على الخط الحديدي المتجه من دمشق إلى بيروت وعند اشتداد الضغط الفرنسي على وادي بردى رحلت مجموعة رجال عكاش إلى عن طريق حلبون والتل حتى القابون ثم إلى غوطة دمشق أحياناً. وأحياناً أخرى كانت تتجه من جبال قننا الى داريا وسفوح جبل الشيخ حتى القنيطرة لمساعدة الثوار في المناطق الأخرى. وعندما تنسحب الحملات الفرنسية.

ومن وادي بردى تعود الى منطقتها لقطع طريق الخط الحديدي وطريق السيارات أيضاً على القوات الفرنسية بين دمشق وبيروت، وهكذا كانت المجموعة تناور لأنها لا تستطيع أن تنزل هزيمة كبيرة في القوات الفرنسية المزودة بالمصفحات والدبابات والطائرات وكافة الأسلحة، وإنما كانت تسير على سياسة اضرب وأهرب، وكان الفرنسيون يبحثون عن ضحاياهم بين المدنيين

سكان القرى من النساء والأطفال والمسنين، إضافة إلى المزارع التي تقطع أشجارها وتلف مزروعاتها ففي ١٨ آذار ذكرت أليس يولو في كتابها دمشق تحت القنابل ما يلي (حملت الجمال والعربات الى السوق اليوم كميات ضخمة من الأشجار الجميلة المزهرة التي تقصف بفعل قنابل الطائرات وكان منظرها يبعث الرهبة والحزن معاً.

وفي مكان آخر:

هاجمت القوات الفرنسية قرى الزور وقبضت على المسنين والأطفال أما الشباب فسيلتحقون بالشوارع خوفاً من إعدامهم من قبل القوات الفرنسية وفي (١٧) آذار كتبت تقول:

حدث اليوم معركة في المزرعة «الصالحية» قتل بنتيجتها ملازم شاب برصاصة في قلبه. وكاد كلبه المسكين أن يجن اضطراباً لما لم يعد يراه وأخذ يفتش عنه في كل مكان.

وانتقاماً لهذا الضابط تم تخريب المزرعة بشكل كامل.

وفي برقية (١٢) حزيران من قيادة الجيش الفرنسي في الشرق جاء:

تراشق بالرصاص في منطقة المواقع العسكرية «طريق الربوة» عصابة عكاش عادت إلى الغوطة...»

ثم عادت عصابة عكاش إلى دمر فقد ورد في برقية أخرى بتاريخ (١٩) تموز صباحاً.

أما في «٢٢ كانون الثاني فقد كتبت:

تنوي السلطات العسكرية قطع جميع الأشجار التي تحيط بدمشق وهدم
الحواجز التي تحدد البساتين. وهذه وحشية تحزن القلب... ضد غوطتي الجميلة
الظليلة المزهرة التي تمتلئ بخير المياه الصافية تحت أشجار المشمش والزيتون.
إيه يا دمشق... المسكينة. ماذا سيبقى من روائعك إذا كانت القرى ستهدم
وأشجار البساتين ستقطع؟

إن هذا التنديس يجرح شعوري حتى أنه يخيل لي وكأن الأملاك المعتدى
عليها هي لي...

إني أحب هذه البلاد منذ أن اكتشفت روحها...

وهكذا استمرت المعارك مع مجموعة عكاش وقد حاول الفرنسيون قطع
طريق دمر القابون من وراء جبل قاسيون فقد ورد في جريدة المقتبس أن معركة
وقعت بين جماعة عكاش في أطراف قرية دمر أسفرت عن أسر ثائر يدعى أبو
عبده الدمرواني وتعتبر معركة جبل قاسيون - مغارة بوابة الريح - آخر معارك
الثورة السورية، فقد سيطر الفرنسيون على الغوطتين الشرقية والجنوبية، ...
وهددوا بفرض عقوبة الإعدام ضد المخالفين كما جرى حرق كل قرية لا تبلغ
عن دخول الثوار إليها.

انسحب الثوار حفاظاً على سلامة السكان إلى جرود القلمون المجاورة
لدمشق. فلاحقت القوات الفرنسية الثوار، وجرت معارك بين هذه القوات
وثوار سورية بقيادة الأمير عز الدين الجزائري وسعيد عكاش وسعيد العاص، ...
ولما كانت طرق جبل القلمون غير معبدة ولا تستطيع الدبابات الفرنسية
السير عليها لذا تراجعت القوات الفرنسية لتتم إخلاء الغوطة من الثوار.

وكانت ثورة سعيد عكاش تتجول في الغوطة. فدخلت قرية بيت سوى واعدمت بعض الجواسيس... ولما حضرت القوات الفرنسية انسحبت قوات سعيد عكاش بعد اشتباكات عنيفة أقول انسحب الثوار إلى بساتين الميدان وداريا وفي طريق انسحابهم دخلوا قرية المعصمية المجاورة لقرية المزة إحدى ضواحي دمشق، ولكن بعض الرجال من القرية طلبوا منه الرحيل خوفاً من حضور القوات الفرنسية وتقوم بحرق القرية وقتل سكانها. وذلك قبل أن يقوم العملاء بإخبار الفرنسيين، سيما أن القوات الفرنسية موجودة في مطار المزة المجاور.

أخذ سعيد عكاش رهائن من رجال القرية المشكوك بولائهم للثورة. لكي لا يقوم أحد بإبلاغ الفرنسيين عن تحركات الثوار واتجه إلى دمر بتاريخ ٢٣ أيلول ١٩٢٦.

اجتاز المجاهدون قرية دمر إلى جبل قاسيون. وقد تمكن أحد الرهائن من الهرب ليلاً وأخبر الفرنسيين بأن الثوار في مغارة بواب الريح بأعالي جبل قاسيون.

كان التعب والنعاس قد تغلبا على الثوار بعد المسيرة الطويلة من الدريج إلى بيت سوا إلى يلدا ثم داريا - المعصمية - دمر - وصعود الجبل، لذا عمدوا إلى النوم في المغارة بينما صعد عبدو عكاش وعبد العال المصري إلى تلة عالية شمال المغارة للحراسة. وفي الصباح الباكر، كانت ثلاث مجموعات من الجيش الفرنسي تتوجه إلى مغارة بواب الريح الأولى من الغرب من مطار المزة.

الثانية من دمشق عن الطريق الجبلية بين المهاجرين ودمر.

الثالثة من الشمال متجهة من صيدنايا غرباً باتجاه المغارة.

شاهد عبود عكاش المجموعات الثلاثة فأطلق النار من رشاش بيده على باب المغارة حيث استيقظ الثوار وشاهدوا القوات الفرنسية على بعد ٣٠٠ م منهم، اسرع سعيد عكاش ونصب رشاشه على باب المغارة وبدأ بإطلاق النار بالتناوب على الأرتال الفرنسية، وقام بعض رجاله بإلقاء القنابل اليدوية على القوات الفرنسية التي توقفت عن التقدم.

وكان بجانب المغارة مجرى للسيل غير محروس من القوات الفرنسية فتسلل الثوار منه واحداً بعد الآخر.

ولما كان رمي النيران من المغارة وما حولها ومن التلة العليا التي تركز بها محمد عكاش غزيراً أشعر الفرنسيين بقوة الثوار، وخافوا من محاصرتهم في شعاب الجبل فتراجعوا، عندها انسحب محمد عكاش وبقيّة الرجال عن طريق السيل إلى دمر.

وقد استشهد في هذه المعركة المجاهد محمود عنتر من المزة - والمجاهد محمد دحدوح من قدسيا، واعتقل الفرنسيون محمد العيطة المسمى أبو عبود الدمراني.

المفاوضات بين سعيد عكاش والفرنسيين :

لما كان طريق التموين الرئيسي للقوات الإستعمارية الفرنسية الخط الحديدي الواصل بين دمشق وبيروت ماراً بسوق وادي بردى والبقاع وجبال لبنان الغربية. لذلك فإن هذا الطريق ذو أهمية كبيرة للقوات الفرنسية لأنه شريان الحياة بالنسبة إليها... فالخط ينقل إليها المؤن والعتاد الحربي والإمدادات من الجنود كما ينقل أوامر القيادة الفرنسية في بيروت لضباطها ومراسليها... وكافة لوازم السلطة الفرنسية، بالإضافة إلى عائلات الضباط.

ولما كان الفريق المحارب في المنطقة السادسة التي يمر منها الخط الحديدي بإمرة سعيد عكاش وإخوانه... وكانت قواته تزيد عن (٩٠) رجلاً وكان هذا المجاهد ينسف الخط كلما تم إصلاحه فقد أثر ذلك على معنويات القوات الفرنسية، لذلك بادر الجنرال اندريا ممثل المندوب السامي الفرنسي (وقد انزعج كثيراً من انقطاع خط القطار مدة اثني عشر يوماً عندما قلع الثوار القضبان الحديدية وأخذوها بعيداً إلى الجبل أو القوا بها في قاع مجرى نهر بردى.

لذلك طلب المفوض السامي الفرنسي عقد صلح مع عكاش ورجاله وأرسل لهذه الغاية بعض وجهاء دمشق البارزين ممن كانوا بحكم وظائفهم العسكرية تحت سيطرة الفرنسيين أمثال عبد الغني القضماني أحد ضباط السدرك الخاضع للفرنسيين وعزة الساطي وغيره.

وقد جاء في نشرة مكتب الاستعلامات السوري ٣٨٢ في القاهرة ما يلي:
اختارت السلطة الفرنسية اشخاصاً ليكونوا وسطاء لدى الثائر سعيد عكاش واخوته لحملهم على التزام السكنية في صيف هذا العام...

وتقول السيدة اليس بولو في كتابها (دمشق تحت القنابل) في الصفحة رقم - ٣٧١ - من الترجمة العربية: آه كم هي مسلية تلك القصة التي رويت لي حديثاً عن واحد من الإخوة عكاش إنها تصور شخصية هذا الرجل وتجعلني أجده لطيفاً تماماً. فلقد كان كثير من الوجهاء يتقاضون مالا من الفرنسيين للتوسط معه لايقاف الثورة، ولكي يتم العفو عنه من الفرنسيين وكان ان نجح هؤلاء في الحصول على تصريح أمان له لمقابلة المفوض السامي.

فتوجه بإحدى العربات من بيته في دمر إلى دار المندوبيه، ومعه افندي

يرتدي الطربوش وأحد حراسه... ويقال إن مدير شركة حافلات التزام وهو بلجيكي قد كفله، وقد تقدم عكاش هذا الى بعض العسكريين من مختلف الرتب وهو يحمل بندقيته ويغطي جسمه بأحزمة الطلقات النارية - وقام جدل عنيف بينه وبينهم انتهى حين ضرب أحد الجنرالات بيده على الطاولة وصرخ، ستسلم نفسك دون أي شرط؛ وعندما سمع عكاش هذه الكلمات رفع حمالة بندقيته وذهب إلى الباب حيث عانق الأفندي الذي كان ينتظره هناك، ثم ركب العربة ليعود إلى قصره على ضفاف بردى، وفي المساء لم يضيع أي وقت بل عاود إطلاق النار من جبل قاسيون على الفرنسيين. إن الذئب لا يمكن أن يصبح كلباً أليفاً.

أما المجاهد عبد الوهاب حسن الداري والسيد عبدو محمد العيطة فقد ذكرا ما يلي:

أرسل بعض وجهاء دمشق البارزين ممن كانوا بحكم وظائفهم تحت سيطرة الفرنسيين على شكل وفد إلى دمر راكبين سيارة عسكرية خمسة ضباط من رتب مختلفة وبالقرب من قصر خالد العظم في المضيق المشرف على مدخل دمر قبض الثوار من رجال عكاش على السيارة وركابها بعد أن لوح الضباط بإشارة استسلام قبل إطلاق النار عليهم. وعند وصول الثوار إليهم طلب أحد الضباط مقابلة سعيد عكاش وكانوا بدون سلاح وملابس بيضاء فرافقهم الثوار إلى دار المرحوم حسن القتلان وهي دار كبيرة واسعة تقع على جسر دمر فطرقوا الباب الخارجي بينما كان القائد عكاش جالساً في باحة الدار وعلى أسطح الدار بعض رجال ثورته.

المفاوضة :

فتح الباب الخارجي المواطن حسن راغب السدالي وإذ به يفاجأ بالضباط وافراد الثورة خلفهم بالبنادق. فأخبر القائد عكاش بأن على الباب خمسة ضباط يريدون مقابلته - منهم ضباط من العرب. والآخر من الفرنسيين فأذن لهم بالدخول وهو جالس على كرسية فرفع الضباط عمراتهم تحية له فلم يقف بل رد التحية وهو جالس على الكرسي... وبعد أن عرضوا عليه بأن السلطة الفرنسية تريد عقد صلح معه وإصدار عفو عنه... وتسليمه الخط الحديدي برواتب مغرية وأن المندوب السامي يريد مقابلته بالذات في دار المفوضية بدمشق لاكمال البحث معه.

ولكن عكاش لم يوافق على النزول إلى القيادة بدمشق وقال للضباط الخمسة سأرسل أخي عبدو وخالي عبد الهادي لمقابلة المفوض العسكري وسماع طلباته شريطة بقائكم رهينة عندي، ريثما يعودوا وحدد ساعتين لعودتهم فقط.

عند ذلك اتصل أحد الضباط بالمفوضية بواسطة هاتف طاحونة الأحذية الكائنة بدمر وأخذوا موافقة المندوبية على ذلك، وبعد ساعة تقريباً أقبلت سيارة ومصفحتين من دمشق إلى جسر دمر فأقلت عبدو عكاش وخاله بطريقهم إلى المفوضية بدمشق. وكانت السيارة تجري وإمامها مصفحة وأخرى خلفها. وعندما وصلا إلى امام المفوضية (البعثة الفرنسية) كانت القوات العسكرية واقفة على رصيف الطريق من الجانبين أمام المفوضية. ولما ارتجلا عكاش وخاله ونزلا من السيارة وهما مدججين ببنادقهم الحربية والخرطوش يملأ صدورهم والقنابل الألمانية الصنع معلقة على صدورهم. واتجها نحو باب المفوضية وهما سائرين

كالطود الشامخ ودخلا المفوضية. فاستقبلهم المفوض الفرنسي وعدد من الضباط الجالسين معه. فكرر إليهم أقوال الضباط الخمسة التي عرضت على سعيد عكاش إذا وافق على طلبنا وهذه المصالحة. سيكون له شأن كبير لدى حكومة فرنسا. فرد عبّو عكاش على الترجمان قائلاً له: قل لحضرة المفوض بأن سعيد عكاش يطلب إجلاء الفرنسيين عن بلدنا لنعود مستقلين وعلى هذا الأساس تتم المصالحة. فغضب المفوض العسكري من هذه الجملة، وضرب بيده على الطاولة أمامه وقال: قل لأخيك بأن فرنسا لم تقهر. وهي غير عاجزة عن تأديب من يخالف أوامرها. وعليك التبليغ. ولكل حادث حديث، وتوقف البحث، وعاد عبّو وخاله وبلغا القائد سعيد بما حدث عندها أفرج عن الضباط الخمسة الموجودين رهينة لديه وطلب إليهم تبليغ المفوض الفرنسي بأن طلب سعيد عكاش الوحيد وجميع رفاقه قواد القطاعات الخمسة في دمشق والغوطة. بأن لا مفاوضة ولا صلح مع فرنسا إلا بإجلائها عن سورية وبعد ذهاب الضباط أو عز عكاش إلى رجاله بالانتقال فوراً من مكانهم فكان ذلك احتياطاً لكل طارئ. أما الضباط الخمسة فقد وصلوا إلى المفوضية وعرضوا على المفوض الفرنسي ما شاهدوه من قوة بأس عكاش ورجال ثورته ومعنوياتهم العالية وبلغوه ما قال عكاش حرفياً. ولأمر ما لنعلمه نحن ولا غيرنا من المواطنين نفاجأ بحضور المفوض الفرنسي مع الضباط الخمسة إلى جسر دمر وبرفتهم خمس مصفحات وقوة من الحرس وطلب من بعض المواطنين ضروة احضار القائد عكاش لمقابلته فوراً بينما كان القائد عكاش قد بارح البلدة مع رجاله إلى موقع في الجبال قريب من دمر فيه عين للمياه بقصد الاستراحة ومراقبة ما يحدث من أخبار جديدة. وكان على علم بمكان وجودهم الشخص الذي فتح الباب الخارجي إلى الضباط الخمسة في بادئ الأمر السيد حسين الدالي فذهب وأخبر

القائد عكاش بطلب مقابلة المفوض في جسر دمر فعاد مسرعاً مع رجال ثورته ووزعهم للوقوف في المواقع المناسبة وبقي برفقته نحو خمسين ثائراً وأرسل واحدا منهم إلى المفوض الفرنسي يبلغه بوجوب رجوع المصفحات إلى الخلف نحو إثنين من الكيلومترات ليرى إذا كانت النية سليمة، وتتم المقابلة. وكان له ما طلب. عندها تقدم القائد عكاش وهو يمتطي جواده مع رجاله المرافقين فوق جسر دمر نحو المفوض الفرنسي الذي تقدم أيضاً وقابله بالمثل مع ضباطه وأخذوا يحوينه برفع عمراتهم بأيديهم. وقد لاحظ المتفرجون من المواطنين أن الدهشة قد لاحت على وجه المفوض الفرنسي عندما شاهد ضخامة شخصية عكاش. ولما قرب منهم بادرهم بقوله (بونسوار مسيو مفوض) وهو مبتسم ابتسامته الشهيرة والدائمة مهما كانت الأحداث. فأخبر الترجمان المفوض بأن عكاش يسلم عليك. فما كان من المفوض إلا أن قفز أمام جواد القائد عكاش يريد مصافحته. وإذ بالجواد يعض المفوض من كتفه، دون أن يؤذيه لأن المفوض ابتعد إلى الورا وقال للترجمان: قل إلى عكاش لماذا فعل حصانك ذلك. فرد الترجمان ما قاله المفوض إلى عكاش الذي قال: قل إلى حضرة المفوض بأن حصاني عرف بأنك عدو. ولما عرف الترجمان جواب عكاش أخذ المفوض يضحك، وأقترب من الحصان، وأخذ يربت على عنقه بلطف، وشكره بالفرنسية لأنه لم يسبب له ضرراً ولم يعرف المواطنون معناها لأنهم لا يتكلمون الفرنسية.

وبعدئذ كرر المفوض الفرنسي أقواله التي طرحت بدمشق بالمفوضية بشأن المصالحة وقال: إنني أتيت إليك بالذات ناصحاً وأتمنى منك الموافقة. فوعده عكاش بالجواب بعد أسبوع ريثما يدرس الموضوع مع جميع قواد القطاعات وإن الجواب سيوضع لدى السيد حسين الدالي. فأخذ الترجمان اسم هذا المواطن وسلمه إلى المفوض. وفعلاً بعد عشرة أيام حضر ضابط أفرنسي والترجمان إلى

دار حسين الدالي وأخذوا الجواب الخطي مهوراً بخاتم قيادة الثورة المكتوبة عليه (نصر من الله وفتح قريب) الغازي محمد عكاش. ومضمون الجواب بأن لا مفاوضة ولا صلح إلا بالجلء عن البلاد السورية. وإنتهت المفاوضة وعادت. شدة المعارك مع الفرنسيين من جميع القطاعات النائرة.

ويمكن أن نضيف أن الثوار كانوا دوماً يخشون البطش والغدر الفرنسي. لذلك فإنهم نقلوا الرهائن الخمسة من دار حسن القتلان إلى دار محمود متاعة. تحسباً من أن تقوم فرنسا بأخذهم بالقوة خلال وجود عبدو عكاش في دمشق، يفاوض المندوب السامي الفرنسي وبذلك يصبح عبدو أسيراً ويعدم غدراً...

وفي كل مفاوضة بين الثوار والفرنسيين كانت شروط الثوار هي جلء الجيش الفرنسي.

أما شروط الفرنسيين التي قدمت لعبدو عكاش وأخيه، فهي:

- ١ - تسليمه المحافظة على طريق القطار بين دمشق ورياق.
- ٢ - تدفع الحكومة لسعيد عكاش المبلغ الذي يطلبه كراتب شهري.
- ٣ - تقدم الحكومة الفرنسية السلاح لسعيد عكاش ورجاله.
- ٤ - يعين سعيد عكاش في المنصب الذي يريده لدى الحكومة السورية.

انتهاء الثورة :

ابتدأت الثورة في نهاية حزيران ١٩٢٥م بمعارك الجبل خاصة الكفر والسويداء وبدأت نهايتها منذ تشرين ١٩٢٦ وشملت كل البلاد السورية من

الجزيرة ودير الزور إلى حلب وإدلب واللاذقية إلى حماة وحمص ودمشق والبقاع وراشيا والجولان إضافة إلى جبل العرب...

ولكن هل كان للثورة أن تنتصر؟... كانت الإمدادات العسكرية الفرنسية تتوالى على القيادة من المغرب والجزائر والسنغال ومالي وتشاد والكونغو بالإضافة إلى المتطوعين من الأكراد والشركس ورجال الدرك والشرطة التابعة إلى الحكومة في دمشق.. وكلما قضى الثوار على حملة أو فرقة من الجيش الفرنسي كان الفرنسيون يحضرون أعداد تفوق ما أباده الثوار.

كما كانت أسلحة الثوار البنادق وهي من مخلفات الجيش التركي. بينما استعمل الفرنسيون الرشاشات الحديثة مثل - ٢٤ - ٢٩ - الهوشكيس إضافة إلى المدفعية والمصفحات والدبابات والطائرات وكلها أسلحة لا تقارن بأسلحة الثوار.

وكان الثوار هم من بسطاء العامة في سوريا ليس لديهم من الثقافة العسكرية والسياسية ما يعادل جنرالات فرنسا وقد خاضوا غمار الحرب العالمية الأولى وفق أحدث إستراتيجيات القتال في العالم ولديهم من القوى عشرات الآلاف من الجنود والضباط المدربين... وترفدهم دولة عظمى بالأموال والأسلحة.

أما قيادة الثوار فكانت متنافسة فالشهبندر كان ذو جنسية أمريكية ضد القوتلي الذي كان من الجمعية العربية الفتاة المتصلة بفرنسا منذ مؤتمر باريس (١٩١٣).

وكان نسيب البكري يمثل البرجوازية المتعاونة مع الفرنسيين لحفظ أموالها

ومراكزها وتجمع حزب الشعب يحارب تجمع حزب الاستقلال وكل يفاوض
الفرنسيين ليتسلم الحكم وينهي الثورة مقابل جزء بسيط من الإصلاحات
لاتسمن ولا تغني من جوع.

وهكذا فالقيادة المتنافرة تبحث عن المكاسب الشخصية ولا تهتم بمصالح
السكان والبلاد. وقد برز ذلك في الخلاف حول الأموال التي تجبى من المواطنين
لمساعدة الثورة وكذلك الأموال التي ترسلها مكاتب القاهرة وفلسطين وجدة
وكيفية توزيعها.

وإذا كان قائد الثورة سلطان باشا الأطرش يثق بالدكتور شهبندر ونسيب
البكري فإن القوتلي والقوافجي ورمضان شلاش كانوا يريدون أن تبقى القيادة
لهم ولذلك دعا رؤساء مجموعات الثوار إلى الاجتماع في شهر شباط (١٩٢٦).
وقد اتخذ قراراً بتأليف المجلس الوطني للثورة السورية في الغوطة وضواحيها
ومدينة دمشق ينتخب أعضائه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطي. ولما كان
رؤساء الثوار من المواطنين الشرفاء وتتمثل في تصرفاتهم روح الفروسية العربية
الأصيلة فقد رأى المجلس تعيين مشاور عسكري لكل مجموعة من الثوار لتنسيق
الخطط بينها وفق خطة عامة وكان العسكريون المشتركون مع القوات مثل
(فوزي القوافجي) وصبري فريد البديوي ومصطفى وصفي السمان ورمضان
شلاش وغيرهم).

وقد عين سلطان باشا الأطرش القائد العام للثورة المقدم الركن مصطفى
وصفي السمان قائداً عاماً لجيش الثورة في منطقة الغوطة وطلب من الدكتور
شهبندر الإتصال بمجموعات الثوار لتبليغهم القرار والتشاور معهم في سبيل

إعادة تنظيم منطقة الغوطة وإدارة شؤونها. وهكذا وزعت المناطق في دمشق
وغوطتها إلى ستة مناطق:

١ - المنطقة الأولى:

أراضي باب سريجة وقبر عاتكة وما بين المزة وداريا والحد بينها وبين
المنطقة الثانية الخط الحديدي.

٢ - المنطقة الثانية:

تمتد من أراضي حي الميدان والشاغور وقرى ببيلا ويلدا وعقربا حتى قرية
العبادة والحد بينهما وبين المنطقة الثالثة نهر بردى.

٣ - المنطقة الثالثة:

تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر تورا والحد بينها وبين المنطقة الرابعة
الطريق بين دوما ودمشق.

٤ - المنطقة الرابعة:

تمتد من حدود المنطقة الثالثة إلى مركز قضاء دوما.

٥ - المنطقة الخامسة:

تمتد من حي الأكراد حتى دوما.

٦ - المنطقة السادسة:

تمتد من سهل القابون حتى صيدنايا ومن دمر إلى الزبداني.

٧ - المنطقة السابعة:

من عدرا حتى النبك حيث تتصل بالمنطقة الشمالية. كما تقرر تأليف مجلس أعلى من عشرة أعضاء ينتخبهم زعماء الثورة في المناطق المذكورة وهذا المجلس ينقسم إلى ثلاث لجان.

١ - اللجنة المالية.

٢ - لجنة الحركات الحربية.

٣ - لجنة الرعايا والاستخبارات.

وتحدد وظيفة اللجنة المالية بجمع الأموال والإعانات وتأمين إعاشة الثوار ومهماتهم وفق نظام خاص يضم المجلس الأعلى (مجلس العشرة).

أما لجنة الحركات الحربية: فوظيفتها تنظيم الخطط الحربية وقيادة الثورة في مناطق القتال وإبلاغ التعليمات إلى المشاورين العسكريين في كل منطقة والسهر على توطيد الأمن في مناطق الثوار وتأمين المواصلات بين مناطق الثورة.

أما لجنة الدعاية والاستخبارات: فمهمتها بث الدعاية وحض الأهالي على مساندة الثورة والقتال في مناطق الثوار ومدينة دمشق وجمع الإستعلامات السرية عن حركات الجيش الفرنسي ومقاومة الدعاية المعادية وإذاعة النشرات الأسبوعية

١ - إن الكسب الذي يحصل من إعانة أو غنائم أو عزائم يوزع بحسب العرف.

٢ - عقاب كل من يتجاوز حدوده ويعتدي على إخوانه من الهيئة التأديبية.

٣ - لا يجوز لأحد أن يتدخل في الأعمال التي تخص القطاعات الأخرى.

٤ - الكسب الذي يحصل بدون معركة هو مال للقضية أما الكسب الذي يحصل بالقوة أثناء القتال إذا كان بندقية أو حصان أو ذخيرة فهو للغنم إلا المقادير الكبيرة فتحفظ للمصلحة العامة للثورة وتمنح مقابلها مكافآت.

وقد قرر المجلس الأعلى أن يعهد بأعمال اللجنة المالية إلى نزيه المؤيد وعلي ديو ومحمد الشيخ.

وأن يعهد بأعمال لجنة الحركات الحربية إلى زكي الحلبي وشوكت صبري فريد بديوي وأن يعهد بأعمال لجنة الدعاية والاستخبارات إلى السيد فائق العسلي. وأن يعهد بأمانة السر إلى السيد فائق العسلي وخلفه بعد استشهاده السيد جميل شاكر.

وهكذا دعي إلى اجتماع بتاريخ ١٣ نيسان وحضره من أعيان المنطقة وزعماء الثوار نسيب البكري ونزيه المؤيد وسعيد العاص وشوكت العائدي والشيخ محمد الأشمر والشيخ ديب القديمي وعبد القادر سكر وأحمد مربوط ومنير الرئيس وسعيد عكاش وسعيد الأظن والأمير أحمد الشهابي يونس الخنشور وصبري العسلي وشفيق عمر باشا وديب الشيخ ومحمود سلوم وأحمد غازي وأبو محي الدين شعبان. وقد تابع المجتمعون نشاطهم باجتماع عقربا في (١٥) نيسان وكان الاجتماع في جامع عقربا ف ضرب الفرنسيون الجامع بالمدافع فذهب المجتمعون إلى حوش غبور ولكن الطائرات أغارت مباشرة على الحوش مما

يدل على أن بعض المجتمعين كان على صلة بالفرنسيين ويخبرهم بالتحركات وقد جرح من هذه القنابل مهدي قزيبها من كيوان.

وخاله وأخوه الأصغر. وقد حضر الاجتماع:

زكي الحلبي فوزي القاوقجي وزكي الدروبي وشوكت العائدي وجميل البابا وصادق الداغستاني وعبد الله التركي ومحمود حمدي وأصف السفر جلاني وسعيد الترماني عادل الحامدي وخير الدين اللبايدي وفائق الكيلاني منير الرئيس وجميل علوان وعبد الوهاب عمر باشا وإبراهيم صدقي.

إضافة إلى الأطباء أمين رويحة وتوفيق القصبياتي ومدحت شيخ الأرض وعن قادة المناطق جمعة سوسق عن القلمون. أبو عبدو سكر عن الميدان والدربخاني والأشمر والمهايني عن الأكراد وأبو عمر إيبو وأحمد الملا أبو داوود الكردي عن دمشق والغوطة أبو دياب عكاش وأخيه محمد وديب محمد القديمي سعي الأظن خليل بصلة أبو محي الدين شعبان وأبو راشد القابوني وأولاد العسلي فائق وصبري وأبو فهد الجوبراني ومن الشباب صالح سلو وخليل الحموي ومصطفى العظم ونسيب شهاب.

كان جواب السلطة الفرنسية على هذه التنظيمات الكارثة التي حلت في حي الميدان من ١٦ نيسان ١٩٢٦ واجتاحت القوات الفرنسية حي الميدان بعد انسحاب المجاهدين نتيجة لتدخل أبو صبحي حباب ونوري آغا المهايني وغيرهم من زعماء الميدان لحمايته من القوات الفرنسية، ولكن الفرنسيين لم يتورعوا بعد انسحاب الثوار فدمروا حي الميدان وأضرمو النار في منازل وحوانيته ولم يكتف بما أصاب الحي في شهر نيسان ولكنها عاودت في أيار الهجوم لأن بعض الثوار

من أبنائه ينامون في منازلهم... فأقتحمت البيوت والمساجد وحطمت أبواب المخازن ومستودعات الحبوب ونهبت ودمرت وأحرقت واعتدت على النساء والأولاد وجمعت المواطنين وداستهم بالدبابات أمام ذويهم... كما ضربت المدفعية من المزة والجنخانة وباب شرقي (معمل زجاج الحي) وقامت الطائرات باللقاء قنابلها على الحي وقدر مجموع المنازل المدمرة بأكثر من (٥٠٠) منزل ومجموع القتلى بأكثر من (٣٠٠) قتيل عدا الجرحى أما المخازن والحواليت فتزيد عن الثلاثمائة.

وتجاه هذا العنف من القوات الفرنسية ضد المدنيين وللحفاظ على المعنويات والتلاحم بين السكان والمواطنين اجتمع قادة الثوار وقرروا:

أن كل الإعانات الواردة الخاصة تعتبر مال خاص للقضية ومحظور على أي رئيس لأي منطقة التصرف بالأموال العامة أو القيام بأعمال اللصوصية كما أن الاعمال الفردية ممنوعة أيضاً.

وفي شهر حزيران من نفس العام تم وضع الميثاق الوطني فقد تلقى المجاهدون السوريون في أواخر شهر يونيو (١٩٢٦) وبعد نزولهم في الأزرق نبأ من بغداد بأن جلالة الملك فيصل عزم على السفر إلى أوروبا وقد أختار طريق الصحراء للاجتماع بزعماء الثورة للوقوف على أرائهم وأنه ينوي التدخل لحل القضية صلحاً بين الثوار وفرنسا إذا استطاع وأنه يود أن يتفق مع الثوار على برنامج معين يقدم إلى جلالتهم ليعمل على حقيقته. وقد عقد الدكتور شهبندر، وحسن الحكيم، وسعيد حيدر، اجتماعات في الأزرق أتموا فيها وضع الميثاق الوطني في يوم (٢٧) يونيو أرسل الدكتور نص الميثاق إلى سلطان باشا الأطرش. وأبلغه ما وقع فواقع عليه وأقره وهذا نصه.

أولاً: إعراف الحكومة الفرنسية باستقلال سورية التام وبحقها في التمثيل التأسيسي أنتخاباً مباشراً بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على أساس السيادة القومية.

ثانياً: تحويل الإنتداب إلى معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا المستقلة لمدة ١٥ سنة. تعين فيها الحقوق والواجبات والعلاقات المتقابلة بين الدولتين مثل المعاهدة المبرمة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفرق بين البلدين ورقي السوريين. ولا تكون هذه المعاهدة نافذة إلا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وأرجحية في المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الإخلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الأمم وتضمن تنفيذها.

ثالثاً: تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وقضاء عكار وحصن الكراد بعلبك التي هي جزء من الوحدة بطبيعة الحال أما بقية البلاد التي ضمت إلى لبنان فيستفتى أهلها في تقرير مصيرهم.

رابعاً: توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والأجانب معاً.

خامساً: دخول سورية في عصبة الأمم.

سادساً: تأليف جيش وطني خلال ثلاث سنوات حيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد، على أن يتم الجلاء التام في هذه المدة.

سابعاً: إصلاح نظام النقد وإعادة العملة على أساس الذهب وإلغاء امتيازات البنك السوري وضمان أوراق النقد السوري المتداولة أو تبديلها.

ثامناً:

العفو العام عن جميع أصحاب الجرائم السياسية بدون قيد أو شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصي المضمون بطبيعة الحال.

تاسعاً: إلغاء الغرامات الحرية كلها مع إعادة ما أخذ حتى الآن بهذا الإسم سواء أكان في دمشق أم في غيرها من المدن.

عاشراً: التعويض على منكوبي الثورة.

نهاية الثورة :

في نهاية شهر تموز (١٩٢٦) وبعد وصول إمدادات كثيرة للقوات الفرنسية وتفرق قوات الثوار في الجبال نظراً لاحتلال الغوطة بعد حصارها كذلك جبل الدروز واستسلام بعض زعماء الثورة في الجبل من آل الأطرش وآل عامر في المقرن الشمالي. أمر سلطان باشا بالإنسحاب وكانت الطائرات الفرنسية تلاحق الثوار والسكان أينما حلوا وتدمر القرى والمنازل والمزارع. انسحب الثوار إلى الأزرق مع مجموعة كبيرة من المجاهدين الذين رفضوا الاستسلام بالرغم من العفو الذي أصدرته القوات الفرنسية لمن يستسلم منهم وتوجه عبد الرحمن الشهبندر إلى مصر.

وقد طلبت السلطات الفرنسية من إنكلترا عدم ايواء الثوار في الأردن

فأجازوا موقع العمري إلى منطقة القريات حيث أستقبلهم آل عزام من الشرارات بموافقة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله... بانتظار ما تحققه الدولة المنتدبة التي وعدت بلسان مفوضها دي جونيڤيل بالإعتراف باستقلال سوريا والعفو عن زعماء الثورة المبعدين وكان من المستسلمين أحمد شعبان من برزة ويونس الحنشور وآل خيتي من دوما اما آل عكاش فقد أنتقلوا إلى فلسطين فقد نشرت جريدة المقتبس النبأ التالي:

علمنا أن الزعيم الثائر سعيد عكاش ترك منطقة الغوطة وتوجه إلى جهات فلسطين للاتحاق بالجيش الوطني الجديد.

هجرة أولاد عكاش إلى القاهرة :

في نهاية عام ١٩٢٦ بعد أن هاجر كبار الوطنيين والسياسيين وزعماء الثورات إلى خارج سوريا وفي مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ذهب إلى بغداد ومنها إلى القاهرة رفض سعيد عكاش وإخوته محمد الاستسلام بعد أن صدر بحقهم حكم الاعدام من قبل السلطات الفرنسية. وغادروا سورية بجوازات سفر فلسطينية وبأسماء مستعارة إلى فلسطين، ومن ثم إلى مصر. هذا وقد تم التشديد على ملاحقتهم في كل مكان في الغوطة الشرقية والغربية بواسطة العملاء لدى فرنسا وقواتها التي وصلت دمشق حديثاً والمجهزة بأسلحة حديثة أكثر، عندها ذهبوا مع عائلاتهم إلى القاهرة عن طريق فلسطين وكان برفقتهم المجاهد عبد العال المصري من قرية دمر، وهو أحد رجالهم في الثورة، حيث أوصلهم الى جسر بنات يعقوب ورجع إلى دمر وهناك أودعوا سلاحهم وخبوهم عند عائلة يقال لها بيت العرقاوية وبدورهم وبواسطة بعض الوطنيين

ادخلوهم فلسطين حتى مدينة حيفا التي تقع تحت الانتداب الانكليزي آنذاك بواسطة مجاهدين ثوريين مثلهم ثم أدخلوهم إلى مصر وسكنوا في القاهرة في حي السيدة زينب سراج نمره خمسة، وأقاموا هناك حتى عام ١٩٣٧ مع بعض الوطنيين إثر صدور عفو عام عن المبعدين باستثناء الشهبندر وابناء عكاش الذين صدر عنهم عفو خاص لاحق حيث عادوا بتاريخ ١٠ تشرين الأول عام ١٩٣٧ مع عائلاتهم.

نكتفي بهذا القدر من الحديث عن الشوار لنعود إلى النشاط السياسي الذي ترافق مع تلك الأحداث في تلك الآونة.

النشاط السياسي في الداخل

وحزب الشعب



الجنرال ساراي

وفي أوائل عام
١٩٢٥ جاء سراي
مفوضاً سامياً
جديداً، وبدأ منه ما
يدل على رغبة
فرنسا في وضع
دستور للبلاد تقوم
على أساسه
حكومات وطنية
تنفيذاً لنص صك
الانتداب الذي تم
وضعه وتصديقه في
عصبة الأمم قبل
هذا التاريخ بأمد
غير بعيد، ومسايرة
للعواطف والمطالب
الوطنية التي لم

تخفت ولم تستسلم، لعل هذه الطريقة تنجح في ما لم ينجح فيه الحديد والنار أو تخمد ما بدأ يشتد إيقاده من تلك العواصف. وكان من خطوات المندوب الجديد في سبيل ذلك ارسال رسائل إلى فريق من أعيان البلاد ومفكرها في شهر تموز لعام ١٩٢٥ يطلب منهم ابداء آرائهم في الاسس التي يحسن ان يقوم عليها الدستور لتستير الحكومة الافرنسية بها في خطواتها التي اعتزمتها مما يدل في ذات الوقت على اصطبغ تلك الرغبة بالطبيعة الاستعمارية في العزيمة على فرض الدستور من عندها فرضاً.

وبالرغم من ذلك اغتنم رجال الحركة الفرصة لاستئناف النشاط، واوفدت دمشق وحلب وفودها اليه يتمثل فيها مختلف الفئات لتطالب بالوحدة السورية الطبيعية والاستقلال التام، والغاء الاشكال المزيفة من الحكام والمجالس التمثيلية، وانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستور البلاد وقيام حكومة مسؤولة أمام مجلس نيابي حر، منع تدخل المستشارين، ووضع حد لشركات الإستثمار، والعودة إلى أساس الذهب في العملة، والعفو العام عن المحكومين والمنفيين والمبعدين السياسيين، ثم أقدم الفريق البارز من رجال الحركة الموجودين في سوريا على تأسيس حزب الشعب وفق المنهج الذي طالبوا به فأخذ ينشط ويعمل على انعاش الروح الوطنية وتوجيه الناس إلى ميثاقهم القومي.

وبعد قليل من ذلك كانت زيارة بلفور دمشق فكانت وسيلة ل اظهار العواطف الوطنية المستيقظة نحو الجزء الجنوبي من سوريا الذي نكبه تصريح هذا الوزير المشؤوم بالصهيونية، حيث تجمع الشعب يريد الفتك به، وحيث قامت المظاهرات تهتف بسقوطه وسقوط دولته وسقوط الانتداب والتجزئة والصهيونية وحياة سوريا المستقلة الموحدة، ونتج عن المظاهرات اشتباكات

استشهد وجرح فيها عدد غير يسير من الشعب، ولم تستطع السلطات تسكين
الهياج إلا بشق النفس وبعد تهريب بلفور من دمشق تهريباً.

يقظة الأمة وروحها :

ولقد كان تشاد قوي بين الروح الوطنية والحداع الافرنسي سجل فيه
نصر عظيم للروح الوطنية بالرغم عن ما كان خلاله من بعض العثرات والصور
الباهتة.



الشيخ تاج الدين الحسيني

فقد حاول جوفيل أن يوجد ثغرات في الصفوف فأمر السلطات بإختيار
وفد من وجهاء دمشق ليقدموا مطالب البلد، وانتخب الوفد بإشراف
الافرنسيين في أذار سنة ١٩٢٦ ولكن المطالب التي قدمها لم تختلف في جوهرها
عن المطالب القومية حيث تضمنت دعوة جمعية تأسيسية تتولى وضع دستور على
أساس السيادة والرجحان الاقتصادي على شرط عدم اخلاهما بالسيادة،
وإنشاء جيش وطني لتمهيد الجلاء عن البلاد، ودخول سوريا في جمعية الامم،

وتوحيد جبلي الدروز واللاذقية مع سوريا، وإعادة الاقاليم السورية المنضمة إلى لبنان، وقيام حكومة وطنية مؤقتة تمهد لقيام حكومة دائمة على أساس الدستور الجديد، وإعلان العفو العام، والتعويض على منكوبي الثورة.

وقدم صبحي بركات رئيس الحكومة استقالته ناصحاً بإجابة مطالب البلاد لتهدئة الحالة، فدعا جوفيل الشيخ تاج الدين الحسني لاستلام منصبه فاشتراط هذا الموافقة على مطالب البلاد كمنهج لحكومته، وقدم لائحة بهذه المطالب مماثلة للائحة وفد الشام؛ وكان كل هذا نتيجة لقوة تلك الروح وأثر جو الثورة. وقد أخذت جوفيل العزة بالاثم وتكشفت نياته الاستعمارية على سجيته إزاء هذا التصميم على عدم الانخداع فعين إفرنسياً لرأسه الحكومة. ولقد حاول أن يفرق بين السوريين والدروز فأخذ حاكم الجبل الافرنسي بناء على توجيهاته يذيع اذاعات يغمز فيها زعماء الثورة من الدروز لاهمالهم إستقلال الجبل واستغراقهم في الدعوة الى استقلال سوريا ودمج الجبل فيها، ويمجد الدروز ويحرضهم ويخوفهم ويطمعهم؛ ولكن هذه المحاولات باءت بالاخفاق كذلك.

ومما جرى أن جوفيل أرسل الامير أمين أرسلان إلى الجبل بكتاب وجه الخطاب فيه للشعب الدرزي وطلب فيه آراءهم في الموقف، فعقد وجهاء الجبل وذو الشأن فيه اجتماعاً كبيراً في دامه بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٢٦ تداولوا فيه الامر ووقعوا على كتاب جوابي طالبوا فيه الاعتراف باستقلال سوريا التام ووحدتها وإنشاء جيش وطني يمهّد للجلاء الافرنسي. وتألّف مجلس تأسيسي يضع دستوراً لسوريا ^{تحت} يمينه عنه حكومة سورية وطنية؛ وإصدار عفو عام؛ مما أثار حنق جوفيل وخيبته وحمله على إرسال جواب قال فيه أن الكتاب يجعل كل

مفاوضة مباشرة وغير مباشرة مع العصاة مستحيلة وإنه لن يقبل بعد الآن سوى الخضوع بدون قيد وشرط.



الدّاماد أحمد نامي

وعمد جوفيل إلى حيلة أخرى فدعا إلى انتخابات عامة في مناطق حلب وحماه وحص بقصد التعرف إلى آراء ممثليها وبث روح التفرقة بينها وبين دمشق وحواران اللتين استثنيتا من الانتخاب؛ ففطن أهل تلك المناطق للحيلة فأظهروا عزمهم على مقاطعة الانتخابات، وظلوا صامدين بالرغم من التهديد والوعيد والترهيب والترغيب. وبالرغم مما كان من اعتقال الوطنيين البارزين فيها ونفيهم، ولقد استطاعت السلطات أن تحمل بعض العناصر الموالية لها في حلب على الاشتراك في الانتخابات فأعلنت المدينة الاضراب وقامت المظاهرات وارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار، وكانت اشتباكات راح فيها عدد غير يسير من ابنائها شهداء وجرحى وحوكم بسببها بعض الوطنيين والشباب. ومع ذلك كله فإن المنتخبين هذا الانتخاب المزيف المغموس بالدم على علائهم حينما دعوا إلى الاجتماع وتقديم المطالب لم يسعهم تحت تأثير الجو القومي الشديد الا أن يقدموا مطالب متسقة مع المطالب القومية مما أثار حنق جوفيل ودفعه الى إلغاء مجلسهم! ولقد سرت هذه الروح القوية إلى المنطقة الغربية الساحلية بمناسبة

إعلان العزم على منحها دستوراً نكايه سوريا فقامت حركة واسعة للمطالبة بالانفصال عن لبنان والانضمام الى سوريا في صيدا وصور وجبل عامل وطرابلس الشام وبعبك وراشيا وحاصبيا والبقاع ومن قبل مسلمي مدينة بيروت أيضاً، وعمد جوفيل إلى حيلة جديدة حيث دفع الشريف عبد المجيد حيدر^(١) إلى الحركة بحجة الرغبة في إقامة عرش سوري يتوسده وتتحقق مطالب البلاد على يده إذا هدأت الثورة؛ ولكن الحيلة أخفقت كذلك لفقدان طابع الاخلاص والصدق عليها.

اشتداد الضغط على الثوار وأثره :

وفي أثناء ذلك أخذت النجديات المنتطرة تتوارد من فرنسا فاغتنم جوفيل الفرصة فاتصل بالدماد أحمد نامي

التركي الاصل^(٢) وفاوضه على تأليف الوزارة، واتصل هذا برجال الحركة الوطنية فتطابقوا على التعاون معه إذا وافق المندوب السامي على منهج وطني للوزارة. وقد كان هذا المنهج مستمداً من لائحة الشام؛ وإزاء هذا العناد القومي الذي لم يكن في أثناء اشتداد الثورة وخفوتها وبالرغم عن تنوع الاساليب والمحاولات التي عمد إليها رأى جوفيل نفسه مضطراً إلى المسaire إنقاذاً لسمعته كسياسي محدود كانت باريس تعول عليه في تهدئة الحال وتمشية الأمور فتبادل

(١) هو ابن الشريف حيدر الذي عينه الاتحاديون أميراً على مكة بدلاً من الحسين حينما أعلن هذا ثورته. وقد أقام جل أيام الحرب في بيروت ولبنان.

(٢) الدمامد لقب كان يطلق على من له صلة مصاهرة بالاسرة العثمانية ومعنى الكلمة «صهر».

مع أحمد نامي الرسائل حول المنهج والمواقفة عليه وتألفت الوزارة في شهر مايس واشترك فيها من الوطنيين لطفي الحفار وفارس الخوري وحسني البرازي.

ولكن الروح الاستعمارية الغادرة لم تغير خطتها فمع أن الوزارة تألفت على أساس منهج معين متفق عليه تناول في ما تناوله توحيد جبل الدروز واللاذقية واستعادة الاقاليم المضمومة إلى لبنان وتسكين الاضطرابات والنفوس الثائرة بالتسامح والملاينة فإن جوفيل ومعاونيه من جهة وقواد القوى العسكرية من جهة أخرى لم يلبثوا أن تجاهلوا هذا؛ و أخذوا يسرون في خطة معاكسة بالنسبة للمسائل الأولى، وأن تذرعت السلطات العسكرية بأسباب تافهة فقصفت الميدان بالمدافع ودمرت فيه نحو ألف منزل، وأخذت تضيق الخناق على مراكز الثورة الرئيسية، وتعيد تمثيل أدوار التنكيل والتحريق والتدمير والغرامات. وعمدت السلطات الافرنسية الى الاستعانة على هذه المقاصد بالمتطوعة الشركسية والأرمنية والاسماعيلية والنصيرية والمارونية والدرزية من كتائب الجيش المحلي والتي أعدت خاصة لمثل هذه المواقف على ما قلناه قبل. وكان ينطوي في هذا التدبير اللئيم بنوع خاص نية إضرار نار الحقد والبغضاء والفتنة بين سكان البلاد وجعل هذه العناصر والطوائف تتمسك بالافرنسيين وتخلص في خدمة أغراضهم خوفاً من أهل البلاد وطمعاً بالخطوة.



لطفي الحفار

ولقد كان لكل ذلك أثر ما في تخفيف حرة الثورة بالرغم مما أبداه المجاهدون من بسالة وإقدام وبطولة في مختلف الجبهات. واغتنم جوفيل الفرصة فأباح لمتطوعة الشركس والأرمن هذا الحي فعاشت فيه تحريقاً ونهباً وفتكاً وهتكاً، ووسعت نطاق قمعها حيث تناول قرى الغوطة بالتحريق والتدمير والنهب وتقتيل الأبرياء الذين لاهلقة لهم بأعمال الثورة والتمثيل بمن ظفروا به من رجال الثورة قتيلاً لثيماً.. مما أحدث رد فعل شديد في الشعب، وحمل الوزراء الوطنيين الثلاثة على المطالبة بالكف عن سياسة القمع والسير في نطاق المنهج المتفق عليه بالنسبة للوحدة والاقاليم المضمومة إلى لبنان؛ ويظهر أن زملاءهم في الوزارة لم يتضامنوا معهم في الموقف فطلبوا من الرئيس تعديل وزارته وجعلها متجانسة ومخلصة للمنهج المتفق عليه؛ فلم يلبثوا أن فوجئوا باستقالة الوزارة وإعادة تأليفها بدونهم، وباعتقالهم مع سعد الله الجابري وفوزي الغزي وأديب الصفدي وبدر الدين الصفدي ونفيهم إلى الحسكة ثم إلى أميون لبنان حيث بقوا كذلك شهوراً عديدة ولم ترد إليهم حريتهم إلا بعد انسحاب جوفيل بمدة طويلة.

وفي أواسط عام ١٩٢٦ انسحب جوفيل من سوريا نتيجة للضجة التي ثارت حول كوارث التدمير والطغيان في القمع ولا خفاقه في مراوغاته وحيله وإيجاد فئة تتعاون معه على ما أراد من حلول هزيلة. وقد ظلت الثورة مشتعلة بعده مدة أخرى، غير أن الحملات القوية الجديدة أخذت تنجح في ضغطها وتطويرقاتها واستطاعت أن تضطر المجاهدين إلى الانسحاب خطوات بعد خطوات من جبهات القتال في الغوطة ثم في الجبل؛ ولا سيما أن التعب أخذ يدب فيهم، والعتاد والمال والوسائل الضرورية تشح بين أيديهم حتى إذا كان صيف عام ١٩٢٧ كانت بقية السيوف وخاصة بني معروف قد نزحت إلى

شرق الاردن. وهنا كشر الانكليز عن نابهم لهم، حيث كانوا نالوا ما يريدونه من فرنسا من تعديلات حدودية، فاضطروا الى الالتجاء إلى قريّات الملح في أراضي المملكة السعودية بعد أن نال بعض رجال الحركة الاذن لهم بذلك من الملك عبدالعزيز، وأقاموا فيها بضع سنوات متجلدين صابرين على الشظف والحرمان بعد نضال رائع وبطولة فائقة امتد امدهما سنتين طويلتين، هذا مع التنبيه على أنهم ظلوا على صلة بالحركة الوطنية في خطوات الحلول النصفية التي حاولت أن تفرضها فرنسا، وكان لصلتهم تأثير توجيهي قوي في مختلف أدوار هذه الخطوات.

احداث مؤسسة في صفوف العاملين في الثورة واثرها :

ونقول مع الاسف إنّ رجال الحركة الذين اشتركوا في الثورة وتنظيمها وتمويلها وتموينها لم يبقوا أثناءها متماسكين متضامين؛ فقد وقع بينهم أنشقاق في صدد ادارة الثورة وتمويلها وتموينها، وسرى ذلك إلى صفوف المجاهدين وقادتهم مما نتج عنه بعض صور ووقائع محزنة، وكان ذلك من عوامل ما طرأ على حركة الثورة من فتور وضعف، وما كتب لحركات القمع الشديدة من نجاح؛ وقد كان هذا الانشقاق شبه امتداد لما كان من حركات انشقاقية وتشاد وتجاذب بين رجال العهد الفيصلي، حيث كان المتشادون المتشاقون يمثلون الفئتين المتشادتين المتشاققتين في ذلك العهد أو يمتنون إليهما.

أثر الثورة في الروح الوطنية :

على أن ذلك الجهاد الأبى القوي والضحايا العزيزة، والعزيمة القوية لم تكن لتذهب سدى. فقد كان ذلك كله دلائل قوية وهاجة النور على قوة

الروح القومية في الشعب السوري وتقديره قيمة الحرية والكرامة والاستقلال، وليس من ريب في أنه كان ذا أثر بليغ في فرنسا نفسها، وأنه برهن لها على حيوية الشعب العربي وإبائه وإستمرار اتقاد الشعلة القومية واستحالة قتل الروح الاستقلالية فيه ولكن الروح الاستعمارية التي أملت عليها الغدر والتنكر لمبادئ الحق والحرية والوفاء منذ الأصل كانت تتغلف أحياناً بالاعتبارات العاطفية وأخرى بالتقاليد والمصالح التي كانت طاغية على رجالها، فكان ذلك عاملاً في استمرار البلاء على سوريا واستمرار المراوغات والغدر في المسدة الطويلة التي تلتها.

بونسو ومكره :

وجاء بونسو في أواخر عام ١٩٢٦ خلفاً لجوفيل، وكانت الحملات العسكرية ضد الثورة في طريق النجاح. وقد أعلن فيما أعلن أنه آت لاتمام الخطة التي اعتزمها سلفه والتي وافقت عليها الحكومة الافرنسية وجمعية الامم والمستمدة من ميثاق هذه الجمعية؛ وهي تهديد السبيل لنمو سوريا ولبنان نمواً تدريجياً كدول مستقلة وتنشيط الاستقلال الداخلي على قدر ما تسمح به الظروف والاستمرار في القيام بواجبات الانتداب المعهودة إلى فرنسا! وإن كل هذا يجب أن يتضمنه الدستور المقبل؛ غير أنه لايمكن أن يتم طفرة أو أن يكون من شأنه تخلي فرنسا عن مهمة ضمان الأمن والسكينة والارشاد. وهكذا دشن عهده بشرى سيادة الروح الاستعمارية واستمرارها مع محاولة لفها ببرقع زائف.

ولقد أقام هذا المفوض في منصبه نحو سبع سنين أي مدة تعدل مدة جميع من سبقه، وقضت البلاد في عهده دوراً عجبياً آخر من المراوغات والمخاتلات

والمحاولات بسبيل الحلول الهزيلة. وكان هذا الرجل على عكس جوفيل سكوتاً بارع المراوغة في صور الدس والاختبار والمشاورة وعدم الاهتمام للوقت؛ حيث كان يمرر الأشهر الطويلة بين خطوة بخطوة ومرحلة ومرحلة مع أن الخطوات والمراحل كانت تقتضي التلاحق. وكان هذا متعمداً من دون ريب للتخدير وإيجاد الثغرات وصرف الافكار إلى انتظار نتائج الخطوات والمراحل بشيء من الأمل والسكوت.

ولقد قضى نحو ثمانية عشر شهراً منذ قدومه بحجة الدرس والاختبار والمشاورة مع باريس؛ ثم خطا خطواته إلى دعوة جمعية تأسيسية تضع دستوراً لسوريا وينتق منها حكومة ممثلة للشعب تسير مع فرنسا في طريق الحل الملائم للقضية، وقد أصدر تصريحاً وعد فيه بحرية الانتخابات، وقيد الدستور المطلوب وضعه مع ذلك بنطاق مهمة فرنسا الانتدابية المستندة إلى صك الانتداب، وأصدر عفواً استثنى فيه عدداً كبيراً من زعماء الثورة ورجال الحركة القومية. وهكذا كانت خطواته الأولى في سبيل حل قضية سوريا متعثرة بالروح الاستعمارية وكانت خطواته التالية كذلك طيلة عهده؛ مع ما كان في خطواته من تظاهر بالرغبة في مسايرة المطالب الوطنية على النحو الذي كان رجال الحركة والجهاد يصرون عليه مما يصح ان يسجل أنه أثر من آثار الثورة والحركة.

الكتلة الوطنية :

وفي أثناء هذه الحقبة نشأت الكتلة الوطنية على انقاض حزب الشعب الذي غادر عدد من أعضائه البلاد منذ انفجار الثورة ولم يعد ينشط خلالها. وقد

انضم إلى اعضائه الذين بقوا في البلاد فريق آخر من المنسقين معهم في المبادئ الوطنية.

فعدت هذه التشكيلة تمثل الحركة القومية في سوريا وتقودها وظلت كذلك إلى الحرب العالمية الثانية، وكان ينضم إليها من آن لآخر من يتيسر له العودة من رجال الحركة أو من ترى في انضمامه فائدة من رجال البلاد الآخرين.

ومناسبة تصريح بونسو ودعوته إلى جمعية تأسيسية عقدت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة اجتماعاً ضم جبهة الرجال الوطنيين الذين ظلوا خارج البلاد وتقرر فيه اذاعة بيان بوجوب تضمين الدستور وحدة سوريا الطبيعية وسلطانها القومي بدون شائبة؛ وأذاع سلطان الاطرش بياناً مثل هذا وموجباً أن يكون جبل الدروز ضمن الوحدة السورية، وعقد أنصار الوحدة في مناطق لبنان واللاذقية مؤتمراً في دمشق قرروا فيه تأكيد الميثاق القومي والمطالبة بالنص على الوحدة السورية التي تضم جبل الدروز ومنطقة اللاذقية والاقضية الاربعة وجبل عامل وسائر المناطق التي ضمت إلى لبنان وصار بها كبيراً ولم تكن منه قبل ذلك. وقد كان غورو أعلن بتاريخ ٣١ آب سنة ١٩٢١ ضم جبل عامل وصيدا وصور وطرابلس الشام وحصن الأكراد وبيروت وراشيا وحاصبيا والبقاع وبعلبك إلى لبنان القديم وسماه لبنان الكبير ضارباً بعواطف ورغبات أهل هذه البلاد وكانت الاقضية الاربعة تابعة لولاية سوريا وجبل عامل وصيدا وصور وطرابلس والحصن وبيروت تابعة لولاية بيروت التي كانت تضم كذلك لوائي عكا ونابلس في فلسطين؛ وأكثريه البلاد المنضمة مسلمة.

وقد كانت الوفود المشتركة في هذا المؤتمر من الطبقة الوطنية المحترمة في مناطقها والمعبرة عن رأي أهلها تعبيراً صادقاً. وقد كان لهذه الحركات والبيانات أثر قوي في سد أزر الكتلة الوطنية وتثبيتها كما كانت إعلاناً جديداً عن تغلغل فكرة الوحدة القومية في مختلف المناطق الشامية، وعن تدمير الذين ضموا إلى لبنان بالرغم عنهم.

الجمعية التأسيسية والدستور :

وفي ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٨ جرت انتخابات الجمعية التأسيسية واشتركت الكتلة الوطنية فيها بالرغم عما كان من تقييد بونسو الدستور بنطاق الانتداب وغموض وعوده ومقاصده، وأذاعت بياناً أكدت فيه حرصها على تحقيق الأهداف القومية في هذه الخطوة، فحالف مرشحها النجاح بمقياس متناسب مع الروح الوطنية التي كانت سائدة بقوة الثورة وتضحيات البلاد وبطولة المجاهدين مما لم يكن يتوقعه الافرنسيون وجعلهم يحسبون له الحساب وسارت الجمعية في عملها إلى أن تم وضع دستور احتوى فعلاً على مطالب البلاد كالنص على السيادة والوحدة وعدم اعتبار ما كان من تجزئة، وحقوق رئيس الجمهورية بصفته ممثل السيادة القومية، وحقوق المجلس النيابي ومسؤولية الوزارة أمامه والتمثيل الخارجي والجيش الخ.

وقد كانت المواد التي تنص على ذلك والتي عرفت بالمواد الست موضوع تشاد بين الجمعية وبونسو وقد تضمنت المواد البنود التالية:

المادة (٢) ان البلاد السورية المنفصلة عن السلطنة العثمانية ذات وحدة سياسية لا تتجزأ ولا عبرة لكل تجزئة طرأت بعد الحرب العامة حتى اليوم.

المادة (٧٣) لرئيس الجمهورية حق العفو العام. أما العفو الخاص فلا يمنح إلا بقانون.

المادة (٧٤) يتولى رئيس الجمهورية عقد المعاهدات الدولية وإبرامها أما المعاهدات التي تنطوي على شروط تتعلق بسلامة البلاد أو بمالية الدولة، والمعاهدات التجارية وسائر المعاهدات التي لا يجوز فسخها سنة فسنة فلا تعد نافذة إلا بعد موافقة المجلس عليها.

المادة (٧٥) يختار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء ويعين الوزراء بناء على اقتراح رئيسهم ويقبل استقالتهم ويولي الممثلين الأجانب السياسيين ويقبل الممثلين ويعين الموظفين والقضاة ويرأس الحفلات الرسمية ضمن حدود القانون.

المادة (١١٠) تنظيم الجيش الذي سينشأ يكون بقانون خاص.

المادة (١١٢) رئيس الجمهورية يعلن بناء على اقتراح مجلس الوزراء الأحكام العرفية في الأماكن التي تحدث فيها اضطرابات أو قلاقل. ويجب أن يعرض إعلان الأحكام العرفية المذكورة على المجلس النيابي فوراً. فإذا كان المجلس غير منعقد دعاه للاجتماع بوجه السرعة.

وقد اعتبر بونسو هذه البنود متعارضة مع مهمة الإنتداب وغاياته وطالب بحذفها. وأبت الجمعية ذلك بقوة وتأثير النواب الوطنيين لأن الدستور بدونها يغدو تافهاً والدولة تكون محرومة من سيادتها واستقلالها. وجرت الاتصالات والمراجعات بسبيل التوفيق؛ ولقد سارت الجمعية في هذا الطريق شوطاً غير يسير حتى أثر عن ابراهيم هنانو زعيم الكتلة الوطنية قوله «لقد تساهلنا إلى أن كدنا

نقع في الخيانة» حيث اقترحت من جملة ما اقترحت للخروج من المأزق هذه التعديلات:

أولاً أن أحكام المواد ٧٣ و٧٤ و٧٥ و١١٠ و١١٢ تنفذ باتفاقيات خاصة بين الحكومتين السورية والإفريقية ريثما تعقد المعاهدة لتحديد العلاقات بين الدولتين.

ثانياً تعدل المادة الثانية من الدستور على الوجه الآتي: البلاد السورية وحدة سياسية لا تتجزأ وحقوق الاعتراض على التجزئة مضمونة.

غير أن الروح الاستعمارية أبت أن تتساهل لأنها رأت في التساهل انهزاماً وتخلياً عن مطامعها، فأجل بونسو الجمعية إلى أجل غير مسمى ورفض ما قدم له من حلول تساهلية ولم يعأ بما كان من احتجاج الجمعية التأسيسية والهيئات الوطنية واستيائها، ولم ينجل من ترديد نغمة سوء النية وعدم الثقة والرغبة في الشعب التي كان الافرنسيون يرددونها إزاء المواقف الوطنية. ثم أذاع بعد سنة بقرار منه دستور الجمعية التأسيسية بعد إدخال كثير من التعديلات عليه، ووضع مادة إضافية أخيرة وهي المادة (١١٦) التي تعطل استعمال رئيس الجمهورية وحكومته بعض الحقوق والصلاحيات التي ذكرت في المواد الست الآتية الذكر حيث عدلت المواد ٢ و ٥ و ٨ و ١٤ و ١٧ و ٢٤ و ٤١ و ٦٨ و ٧٥ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١١٥ والغيت المادة ٦٠؛ والتعديلات متصلة بالوحدة والجيش والحرية الشخصية وحرية الصحافة واللغة العربية والانتخابات وصلاحيات رئيس الجمهورية ومدتهن وممثلة للروح الاستعمارية المتحكمة في الافرنسيين، ومحقة لرغبة التداخل ومثل معنى السيادة. أما المادة (١١٦) المضافة فهذا نصها:

«ما من حكم من أحكام هذا الدستور يعارض ولا يجوز أن يعارض التعهدات التي قطعتها فرنسا على نفسها فيما يختص بسوريا لا سيما ما كان منها متعلقاً بجمعية الأمم. ويطبق هذا التحفظ بنوع خاص على المواد المتعلقة بالمحافظة على الأمن والدفاع عن البلاد وبالمواد التي لها شأن بالعلاقات الخارجية ولا تطبق أحكام هذا الدستور التي من شأنها أن تمس بتعهدات فرنسا الدولية فيما يختص بسوريا أثناء مدة التعهدات إلا ضمن الشروط التي تحدد باتفاق يعقد بين الحكومتين الفرنسية والسورية. وعليه إن القوانين المنصوص عليها في مواد الدستور والتي قد يكون لتطبيقها علاقة بهذه التبعات لا يناقش فيها ولا تنشر وفقاً لهذا الدستور إلا تنفيذاً لهذا القرار، وإن القرارات ذات الصلة التشريعية أو التنظيمية التي اتخذها ممثلو الحكومة الفرنسية لا يجوز تعديلها إلا بعد الاتفاق بين الدولتين.»

وقد أثارت هذه التعديلات والتحفظات العجيبة التي مسخت الدستور والاستقلال والسيادة وحرية مجلس النواب والحكومة ورئيس الجمهورية الهياج وقامت المظاهرات الاحتجاجية، وأضرب الناس في دمشق وغيرها، وأعلنت الكتلة الوطنية أنها لن تنقيد بها وأنها لن تتراجع عن اعتبار دستور الجمعية هو القائم الواجب احترامه وتطبيقه. ودعا سلطان الأطرش إلى مؤتمر يعقد في مبرض المجاهدين في الصحراء فاستجاب إليه فريق كبير من رجال الحركة الوطنية، وقرر المؤتمر تجديد العهد على إنقاذ سوريا وتحقيق مطالبها وحقوقها كاملة.

ومما جرى أن بونسو أقدم على حركة أثبتت إصرار فرنسا على النهج الاستعماري الخاص بجبل الدروز ومنطقة اللاذقية مما أشرنا إليه في مناسبة سابقة؛ حيث أصدر مع دستور سوريا ثلاثة دساتير أخرى واحداً لجبل الدروز وثانياً

لمنطقة اللاذقية وثالثاً لمنطقة الاسكندرونة تنص على استقلال هذه المناطق مالياً وإدارياً، وحصر دستور سوريا الممسوخ في مناطق دمشق وحوران وحلب وحماه وحمص.

الجمهورية السورية الأولى في ظل الانتداب :

وصبر سنتين طويلتين ثم أعلن في أوائل ايلول من عام ١٩٣٢ موعداً لانتخاب المجلس النيابي الذي ينص عليه دستوره. وقد حصل قبيل هذا الاعلان من زعماء الدروز والعلويين الأنصار المندمجين في السياسة الافرنسية والذين كانوا يتحكمون بتعزيد فرنسا في رقاب شعبيتهم على مضابط ببقاء الانتداب الافرنسي والرغبة في الانفصال والكيان الخاص مقدمة لما يراود أن تكون عليه المعاهدة المزمع عرضها على سوريا. ولم يكتف بهذا بل حصل على مضابط من المسيحيين الأنصار بطلب بقاء الانتداب والرغبة في الحماية الافرنسية والنص على ذلك في المعاهدة!

وجرت الانتخابات فنفذت السلطات الافرنسية ما بينته وتدخلت تدخلاً فظيماً في الانتخابات لضمان فوز مرشحيها، وكان لعمالها وضباط استخباراتها خاصة دور كبير في هذا الباب حيث أمكنهم نشر جو كئيب من الارهاب، وأصلت السيف على رؤوس زعماء الوطنيين وصحفهم واجتماعاتهم، وشجع الأنصار والمأجورون على نشر المناشير ضدهم وإلصاق تهمة التآمر على الوطن والمآرب الذاتية والهوس بهم.

ولقد أدى تدخل السلطات السافر في الانتخابات لصالح مواليها ضد الوطنيين إلى مظاهرات وهياج وتحطيم صناديق الانتخاب في أماكن كثيرة

ووقوع اشتباكات بين الجيش والشعب وجرح عدد من الأهالي واعتقال عدد كبير من الشباب في دمشق وحلب وحماه. وكانت نتيجة الانتخابات فوزاً ساحقاً لمرشحي السلطات بحيث بلغ عددهم ٥١ من ٦٩؛ وقد قدمت الطعون الموثقة بالوثائق الدامغة ولكن أكثرية المجلس بتشجيع السلطات لم تعبأ بذلك وصدقت الانتخابات واعتبرتها صحيحة.

ولقد تردد نواب الكتلة الوطنية في الاشتراك في المجلس بعد هذه النتيجة، ثم رأوا أن يسيروا في الشوط مرحلة أخرى فقرروا الاشتراك في المجلس والوزارة.

وقد انتخب محمد علي العابد رئيساً للجمهورية بموافقة الوطنيين الذين تفادوا بهذا نجاح مرشح السلطة صبحي بركات، مع أن محمد علي العابد كان ممن فازوا في الانتخابات من مرشحيها. وتولى رئاسة الوزارة حقي العظم الذي كان كذلك من مرشحيها ودخل جميل مردم ومظهر رسلان من الكتلة فيها.

المعاهدة الانتدابية ورفضها :

وبعد قليل ظهر ما كان مبيتاً حيث عرض المفوض السامي معاهدة معدة لا تحقق سيادة ولا وحدة فقررت الكتلة انسحاب ممثليها من الوزارة وأعلنت عزمها على مقاطعة المجلس فأجل عرض المعاهدة.

وأعفي بونسو من المنصب وعين دومارتيل خلفاً له. وقد اضطلع بعبء عرض المعاهدة وتصديقها. وقد تبادل التوقيع عليها فعلاً مع رئيس الوزارة في أواخر عام ١٩٣٣؛ وكانت تنص على توكيل فرنسا في تمثيل سوريا الخارجي،

وفرض مساعدة فرنسا العسكرية في حفظ الأمن والدفاع، وبقاء الانتداب إلى أن تقبل سوريا في عصبة الأمم، وتعليق مساعدة فرنسا في هذا القبول على وصول سوريا إلى حالة من الرقي تسمح بذلك، وفرض مساعدة فرنسا في تنظيم دوائر الحكومة والدرك والشرطة والجيش لتحقيق ذلك الرقي في فترة قدرت بأربع سنين مبدئياً، وبقاء قوات برية وجوية في أراضي سوريا للغايات المذكورة، كما كانت تنص على استقلال جبل الدروز ومنطقة اللاذقية الذاتي والمالي والاداري. ولم تر فرنسا بأساً بعد كل هذه النصوص في النص على استقلال سوريا وسيادتها، وعدم اعتبار وجود قواتها احتلالاً، واعتبار جبل الدروز ومنطقة اللاذقية جزءاً من سوريا ١١ جريباً مع الذهنية الاستعمارية بأن العرب يقنعون بالاقوال والاشكال، وقد وجدوا منهم من يقنع بذلك ويوافق على المعاهدة.

وقد عرضت الحكومة المعاهدة على المجلس، وكانت أخبارها قد أثارت هياجاً وصخباً؛ فاضطر كثير من نواب السلطات إلى التوافق مع نواب الكتلة الوطنية وقرروا رفضها ووقعوا على مضبطة بذلك. ووزعت المعاهدة على النواب وبدىء بمناقشة عامة حولها، والقى وزير المالية خطاباً مستفيضاً في الدفاع عنها في جلسة ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٣ وحينئذ تقدم جميل مردم إلى المنبر فتلا مضبطة الرفض؛ وبدأ أن السلطات كانت تتوقع ذلك حيث وقف مندوب المفوض السامي وتلا قبل أن ينتهي جميل مردم من تلاوة السطر الأخير من المضبطة قراراً من المفوض بوقف المجلس جاء فيه أنه قرر وقف مذاكرات المجلس لأنه خرق أحكام مواد الدستور بمناقشته في موضوع غير موضوع الميزانية المعروضة عليه تحت تأثير المظاهرات.

ولكن محضر الجلسة كان قد دوّن الوقائع والمضبطة أيضاً. وقد أمر المفوض الحكومة بسحب المعاهدة من المجلس فأرسل رئيس الوزارة كتاباً جاء فيه أنه ثبت قلة استعداد مجلس النواب للاشتراك في مسؤوليات المعاهدة ولذلك رأى فخامة المفوض السامي استردادها لأنه لا يجوز وضع أعباء المناقشة فيها على عاتق مؤسسة لم ترسخ فيها ممارسة الأحكام الدستورية والتقاليد النيابية..

على أن أكثرية أعضاء المجلس اجتمعت في دار رئيسها بعد أن منعت الاجتماع في دار البرلمان ووقعت بياناً احتجت فيه على تدخل السلطات الانتدابية ووقفها الحياة النيابية، وأعلنت تأكيد رفضها للمعاهدة المغايرة لرغائب الأمة من وحدة وسيادة واستقلال. وهكذا باءت المحاولة بالاخفاق، وأثبتت سوريا وعيها، وجرفت قوة روحها الوطنية كتلة كبيرة من مرشحي السلطات الذين اختارهم ليكونوا آلات طيعة في يدها؛ وكان لهذه النتيجة رد فعل عظيم في البلاد فأقيمت حفلات الحفاوة والتكريم للنواب، كما قامت المظاهرات الاحتجاجية على تعطيل المجلس.

ولم تكن السلطات التي تستملي الروح الاستعمارية لتخجل مما قالته وفعلته مع أنه هو الذي لا يتفق مع المنطق والحق والدستور والواقع.

ومن المؤسف أن الوزارة ظلت في الدست بالرغم من ما منيت به من صدمة واخفاق وبالرغم من وقف المفوض السامي للحياة النيابية التي انبثقت من دستور نافذ وقامت الجمهورية الاولى وحكومتها على أساسه؛ بل أنها لم تبال فضلاً عن ذلك ان تكون واسطة تبليغ لقرارات المفوض السامي؛ بل ولقد سارت شوطاً أبعد في النكاية حيث نفذت إيعازاً انتقامياً فأنزلت مخصصات أعضاء المجلس وملاك ديوانه رغم نص الدستور.

على أن كل هذا الاندماج والممالأة لم ينجها من المصير المحتوم؛ فقد أوعز لها بالاستقالة بعد قليل من هذه التمثيلية لتحل محلها حكومة الشيخ تاج الدين.

حكومة الشيخ تاج الأولى :

وحاول هذا اقناع الكتلة الوطنية بالتعاون معه للخروج من المأزق وقد كان التوتر مشتداً بين الكتلة والسلطات فلم تر الكتلة هذه المرة وجهاً ولا فائدة في ما دُعيت إليه فألف وزارته من عناصر أخرى؛ وظلت الكتلة تتولى تسيير الحركة نحو تحقيق الميثاق وتوالي احتجاجها ونشاطها.

وقد أدى هذا الموقف السلبي إلى اشتداد التوتر بين السلطات الفرنسية وحكومة الشيخ تاج من جهة وبين الكتلة التي كان الشعب يؤازرها وينضوي تحت لوائها من جهة أخرى.



فخري البارودي



هاشم الأتاسي

قوة الحركة الوطنية وأحداث عام ١٩٣٥ :

ولم تكد تنتهي سنة ١٩٣٤ حتى أخذت الحركة الوطنية تعود إلى قوتها وتزعج السلطات الحكومية السورية والانتدابية معاً وكان شعارها سقوط الحكومة الناجية وتحقيق الميثاق على يد الكتلة. وقد كانت إلى هذا حركة مقاطعة للكهرباء والترام قادها فخري البارودي أحد رجال الكتلة احتجاجاً على تعسف الشركة الاجنبية، فكانت هذه الحركة وسيلة إلى الهاب الشعور الوطني المتقدم، وعمدت السلطات الى القمع بالعنف فاعتقلت فخري وبعض مساعديه ونفتهم إلى مركز في الصحراء كما اعتقلت كثيراً من مساعديه الآخرين فازدادت النار اشتعالاً وأعلنت دمشق الاضراب العام وتبعته المدن الأخرى، واستمر اضراب دمشق خاصة نحو شهرين تكررت فيهما المظاهرات الصاخبة والاشتباكات الدموية والاعتقالات، وغدت البلاد وخاصة دمشق في حالة ثورية عصبية، كانت تشتد كلما اشتد الافرنسيون في العنف والشدة. وبذل الشيخ ما استطاع من جهد لتلافي الحرج فلم يفلح، وخشي دومارتيل أن تتطور الامور إلى ثورة كبرى جديدة، ولم تزل صورة الثورة الكبرى ماثلة للعيان بما كبذته للافرنسيين من جهد وضحايا فجنح إلى المسايرة، واجتمع برئيس الكتلة الوطنية هاشم الاتاسي الذي استلم دفة الزعامة بعد موت هنانو ووقع الاثنان اتفاقاً مبدئياً على خطوط حل يتسق مع المطالب الوطنية على أن تجري المفاوضات بشأنها في باريس.

إقالة الشيخ والمعاهدة الثانية :

ثم أقال حكومة الشيخ تاج في شباط ١٩٣٦ وعين حكومة انتقالية

حيادية برآسة عطا الأيوبي وعضوية وزراء رضيت عنهم الكتلة، وأعيد فخري البارودي من منفاه، وأفرج عن بقية المعتقلين وكان ذلك مما أئفق عليه أيضاً، فانفجرت الأزمة وفكّ الإضراب الطويل الذي كان له صدى بعيد في الأوساط السياسية المختلفة والذي كان الأول من بابہ أيضاً بحفاوة وطنية استشعر بها الشعب بعزته وكرامته. وسافر وفد المفاوضة المؤلف من رئيس الكتلة وبعض أعضائها وبعض أعضاء الوزارة إلى باريس ومعهم مارتيل وجرت مفاوضات انتهت بعقد معاهدة أيلول عام ١٩٣٦ التي كانت على غرار المعاهدة العراقية - الإنكليزية حيث جعلها رجال الحركة الوطنية نموذجاً وأسوة... وقد نصت على السيادة والاستقلال وحق سوريا في التمثيل الخارجي، وعينت فيها فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات تتسلم الحكومة الوطنية خلالها ما في أيدي السلطات الانتدابية من دوائر وسلطات حكومية مشتركة وغير مشتركة وتدخل سوريا عقب انقضائها عصبة الأمم. ومع أنها كانت تنطوي على ثغرات عديدة وخاصة في صدد صفة الوحدة السورية حيث أصر الأفرنسيون على أن يكون لـ جبل الدروز واللاذقية ومنطقة الاسكندرونة بعض الامتيازات والشخصية الخاصة، وكذلك في صدد مركز فرنسا السياسي والعسكري والإرشادي الثقافي والاقتصادي حيث الحق بالمعاهدة ملاحق تسجل لفرنسا امتيازات وحقوقاً ومنافع عديدة في هذه الشؤون فأنها كانت على كل حال خطوة جديدة ومستقيمة إلى تحقيق الميثاق القومي.

وقد جرت الانتخابات للمجلس النيابي الجديد ففاز مرشحوا الكتلة فوزاً كبيراً، وانتخب هاشم الأتاسي في كانون الأول من عام ١٩٣٦ رئيساً للجمهورية بدلا من محمد علي العابد الذي نصح بالاستقالة تفادياً من الإقالة

والخلع، وتألقت أول حكومة يصح أن تسمى الحكومة الوطنية الاستقلالية
برئاسة جميل مردم وعضوية سعد الله الجابري وشكري القوتلي والدكتور عبد
الرحمن الكيالي، ونعت عهدها بالعهد الوطني.

العهد الوطني الأول

١٩٣٦ - ١٩٣٩

- ١ -

الحيوية الوطنية في العهد الوطني :

لم يكد هذا العهد يقوم وتستلم الحكم فيه الكتلة الوطنية التي كانت كثرتها من رجال الحركة القومية الأول ومن كان لهم دور بارز في عهد فيصل وما بعده من عهود النضال حتى أخذ جو الشام يتبدل ويتسم به ذلك العبوس المرير المديد، ويشبه بعض الشبه جوّها في عهد فيصل، وأخذ نسيم العزة القوية يهب فينעش الأرواح ويثير الحماس واخذت الحركة العربية تستعيد جيشانها وحيويتها، والنشاط القومي يبدو قوياً، وأداة الحكم تدور في دائرة الإصلاح والإحياء والإنعاش والتنظيم واستصدر العفو عن المحكومين من زعماء الثورة ورجال الحركة القومية فأخذوا يعودون إلى الشام وتقام لهم الاستقبالات الرسمية والشعبية الحافلة، وباجملة فقد بدأ عهد يبعث في النفوس الاستبشار والتفاؤل.

دسائس الأفرنسيين للعهد :

غير أن الدسائس لم تلبث أن أخذت تدس لهذا العهد فتعكر صفوه، وتلبد جوه، وتعرقل سيره، وأخذ الناس يشعرون أن فرنسه الاستعمارية لم تتغير، وأن

ما بدا منها من الجنوح للملاينة لم يكن الا من قبيل مسايرة الظروف الخارجية والداخلية، حيث كانت نذر الثورة تهدر في الداخل وشبح الحرب العالمية بسبب أزمة عدوان الطليان على الحبشة واستعادة الألمان حيويتهم وحريتهم ومطامعهم يتزأى في الخارج.

ولقد لعب الموظفون الافرنسيون المحليون وضباط الإستخبارات خاصة في سبيل إحباط هذا العهد دوراً ثميناً وفظيعاً جداً. فقد كانوا يتمتعون بالجاه والمركز والنفوذ والمرتبات الضخمة والامتيازات ووسائل الإثراء المتنوعة، وكانوا المنفذين للسياسة الاستعمارية التي سير عليها خلال المدة الطويلة، ولم يكن أكثرهم ذوي كفاءات علمية وفنية وإدارية تفسح لهم مجال الرزق الواسع في ميدان آخر أو في فرنسه مثلاً، ورأوا في نجاح هذا العهد قطع أرزاقهم ونهاية مجدهم، فقابلوه بالسخط واعتزموا الدس له وإحباطه وعدم تيسير استلام أي إدارة أو صلاحية من الإدارات والصلاحيات التي كانت في يد السلطات الانتدابية والتي نصّت المعاهدة على تسليمها خلال فترة السنوات الثلاث للاحتفاظ بما كانوا يتمتعون به من جاه ورغد رزق ومن جهة، والكيد لرجال العهد القوميين الذين وقفوا من السلطات الاستعمارية التي كانت تتمثل في اشخاصهم موقف المناضل منذ البدء والذين لم يندمجوا في ما كان يعرض من حلول هزيلة تحفظ لهم ذلك الرزق والمجد من جهة أخرى. فأخذوا يتأمررون على العهد ويكيدون لرجاله بكل وسيلة. وقد أكسبهم طول المران براعة وقدرة في الكيد والدس وإثارة الهواجس والفتن والأحقاد، كما أنهم استطاعوا مع الزمن أن يكونوا أنصاراً وأعضاءاً مأجورين أو طامعين أو حاقدين، ولم يتورعوا عن أي شيء في سبيل تحقيق غرضهم والوصول إلى هدفهم.

ولقد نجحوا في مؤامراتهم ومكائدهم بما بشوه من دعايات وتحريضات، وأثاروه من هواجس وفتن، وبما لفقوه من أكاذيب ورفعوه من تقارير في باريس، وقد استند رجال الأحزاب الاستعمارية والعسكرية إلى ذلك كله، واستغلوا ما كان من أزمات عالمية فحملوا الحكومة الفرنسية على أن تخطو في النهاية خطواتها الغادرة إلى نكث العهد ونقض الميثاق، ونقض اليد من المعاهدة التي وقعتها، والعهد الذي قام عليها.

ومما يجدر بالتسجيل أن دسائس الموظفين الفرنسيين أخذت تلمس منذ أوائل هذا العهد بمختلف الاشكال فلم تقابل بالحزم الكافي، فكان ذلك عاملاً في تماديهم في خطتهم إلى أن وصلت إلى البشاعة التي لا يمكن أن تطاق، وظهرت أصابعهم الملوثة صريحة واضحة دون ما خجل أو تستر في كثير من الأحداث والمناوآت والفتن.

ولقد كانت الجزيرة وجبل الدروز ومنطقة اللاذقية خاصة من مسارح هذه الأحداث والمناوآت والفتن التي قام أولئك الموظفون بأدوارهم الخبيثة عليها، ووجهوا إلى العهد وكرامته وهيئته أشد الطعنات.

موقف نصارى الجزيرة من العهد :

ولقد كان من التيارين الذين يسمون أحياناً بالاشوريين تسمية مغلوطة جماعات ساكنة في البلاد التركية المتاخمة للعراق وسورية الشمالية، وكانت وسيلة شغب وفساد وتمرد في الأنحاء التي كانت فيها في أيدي الأجانب فلما نجحت الحركة الكمالية اضطرت إلى مغادرة الأراضي التركية فشجعهم الانكليز والفرنسيون على الهجرة إلى العراق وسورية والتوطن فيهما، وأنزل الذين أتوا

إلى سورية في محطة القامشلي وحواليها في الجزيرة، ومنحوا الأراضي والمساعدات للتوطن والاستقرار، وادخل فريق منهم في الجيش السوري. وقد انضم اليهم بعض الذين هاجروا إلى العراق حيث وقف هؤلاء من حكومة العراق واعتماداً على ما رأوه من عطف الإنكليز ورعايتهم موقف المتمرد المشاغب، فكان باعثاً للحكومة العراقية علل التكتيل بهم، ففر المشاغبون من العراق إلى سورية، وشجعهم الفرنسيون على التوطن عند اخوانهم السابقين، فتكون من هؤلاء وأولئك ومن بعض الشراذم العنصرية والنصرانية الأخرى مجموعة بلغ عددها نحو عشرين ألفاً استقروا في قرى الحسكة وعاموده والقامشلي، وقد وجد الفرنسيون في هذه المجموعة عنصر شغب ودس، واستجابت هي اليهم لتتال الرعاية والحماية الفرنسية في وسط الخضم العربي الإسلامي الذي هم فيه والذي تتكون أكثريته الكبرى الخلية من البدو والاكرد، فصارت لهم انصاراً واعضاداً وعبوناً وأداة شر وفتنة، وكانت تتجه في كل اتجاه يريد الفرنسيون أن يكون فيه معاكسة ومغايرة للامال الوطنية والحركة العربية الاستقلالية، كما كان الجنود منها في مختلف الحركات والمواقف وسيلة تنفيذية صادقة في الاخلاص لهم موثوقة من قبلهم.

فلما كان العهد الوطني حرك ضباط الاستخبارات والموظفون الفرنسيون هذه الاداة ودفعوها إلى التمرد والشغب وفقاً للمنهج الذي رسموه للتشويش على هذا العهد وإحباطه، فأخذت تطالب ببقاء الحماية الفرنسية، وعدم الاندماج في الحكم السوري، وجعل منطقتها ذات شخصية مستقلة كجبل الدروز ومنطقة اللاذقية، وتواقحت بقوة التحريض والتشجيع حتى وصل الامر بها إلى منع كل من يود التوطن في منطقتها من يريد الاعمار والعمل من أهل

الحاء البلاد الاخرى المسلمين والبغي عليهم والكيد لهم وسد المنافذ في وجوههم والى التظاهر والاعتداء كذلك على موظفي الحكومة ورفض أوامرها وقوانينها والامتناع عن أداء ضرائبها على مرأى ومسمع من أولئك الضباط والموظفين، بل ولقد حاصر بعض اشقيائهم المحافظ مرة في بيته، واطلقوا النار مرة على محافظ آخر في طريقه إلى الحسكة ليحل محل زميله، وخطفوا مرة ثالثة محافظاً وابقوه سجينا في مكان مجهول بضعة ايام كرهن على اجابة مطالبهم .

وفعلوا هذا في جبل الدروز الذي كان لهم فيه القدم الراسخة والاعضاء والانصار والذي انتهجوا نهجا خاصا فيه ليكون لهم نقطة ارتكاز وكيد في المواقف العصبية.

دسائس الافرنسيين في جبل الدروز ضد العهد الوطني :

كان المتوقع أن تكون الثورة السورية الكبرى التي ساهم الدروز فيها بنصيب وافر جدير بالاعجاب والتقدير والفخر، والتي كان قائدها العام منهم وامتزج فيها دمهم بدم أخوانهم السوريين، والتي كانت أهدافها وحدة سورية واعتبار جبل الدروز جزءاً منها مما كان يتكرر في مناشيرقائدها العام كافية لازالة الثغرة الطائفية والانقباضية، وغسيل الهنات المتوارثة فيهم. غير أن الافرنسيين لم ييأسوا وظلوا على دسهم ومكائدهم ونهجهم الاستعماري الذي ترسموه بعد فتور الثورة وزاد في جراتهم تغيب ابطالهم المجاهدين المشردين في الصحراء.

فلما عقدت المعاهدة وانبثق عنها العهد الوطني واعترف فيها بجبل الدروز كجزء من سورية، ساروا على نفس الخطا في ابقاء الجبل مجالا لدسهم وكيدهم، واستغلوا ما نصت عليه المعاهدة من الاستقلال المالي والاداري اخلّي

فيه فأخذوا يشجعون أهله على التشدد في الاحتفاظ بشخصية جبلهم وطائفتهم، ويعرقلون مساعي رجال العهد في إثارة الروح القومية فيهم، وإقامة العهد الجديد على أساس التضامن والامتزاج التامين بينهم وبين سائر أجزاء سوريا وبنائها مما هو طبيعي جداً لأن الدروز اقحاح في عروبتههم ولأن شخصيتهم الطائفية ليست إلا أثراً من اثارة تيارات السياسة التي كانت في بعض ادوار التاريخ الاسلامي - ويدفعون بعض زعمائهم وأنصارهم وطامعهم وآلاتهم ومأجورهم إلى الشغب على الحكومة الوطنية وممثليها وموظفيها حتى وصل الامر إلى إقامة المظاهرات العدائية المسلحة ضد هؤلاء الممثلين و الموظفين و طرد بعضهم على مرأى و مسمع من ضباط الاستخبارات و الموظفين الافرنسيين ، بل لقد كان تشجيعهم على هذا الشغب جهرة و عياناً دون ما تستر و لا استخفاء ، و جعلوا مشكلة الجبل من مشاكل هذا العهد و منغصاته حتى استمرت المشكلة بعده ايضاً لمدة طويلة ، و لم تكد تنتهي الا في الحقبة الأخيرة

دسائسهم في منطقة اللاذقية :

و ما فعلوه في جبل الدروز فعلوه في نصيرية منطقة اللاذقية التي نصت المعاهدة على اعتبارها جزءاً من سوريا و التي كانوا فيها أرسخ قدماً بسبب ما كان يوجد فيها من المسلمين السنيين النافذين في بعض المدن ، و لقد قوا انصارهم من الزعماء و المشايخ بالمال و السلاح و حفزوههم إلى الوقوف موقف المتمرد الباغي على السلطات الحكومية السورية، يتحدون نظامها وقوانينها وأمتها وهويتها، وكان هذا منهم كذلك جهرة بدون تستر أو استخفاء، حتى لقد كانوا يستقبلون زعماء الشغب في بيروت وهم مدججون بالسلاح ومعهم

اتباعهم المدججون به أيضاً، كما كان ضباطهم يزورونهم في مراكز شغبهم ويتبادلون معهم الهدايا، وجعلوا مشكلة هذه المنطقة من مشاكل العهد الوطني ومنغصاته التي استمرت بعده أيضاً لمدة طويلة ولم تكد تنتهي إلا في الحقبة الأخيرة كذلك.

خيانة الافرنسيين والانكليز في قضية الاسكندرونة :

ومما هو حري بالتسجيل من المواقف الغادرة الافرنسية في هذا العهد حادث الاسكندرونة. فهذه المنطقة جزء متمم لسوريا من الوجهة الاقتصادية والجغرافية، وهي مسكونة بأكثرية عربية أكثرها من النصيرية وفيها اقلية ارمينية كما فيها اقلية تركية.

ولقد حرص الافرنسيون وفقاً للمنهج الاستعماري الذي ساروا عليه باستغلال كل فرصة طائفية وعنصرية ودينية في سوريا وتقويتها بسبيل مناوأة الفكرة العربية القومية وتوطيد اقدامهم على أن تكون هذه المنطقة بسبب ما فيها من مظاهر وفروق طائفية وعنصرية مسرحاً من مسارح دسهم وكيدهم؛ فاعتبروها ذات شخصية خاصة كما فعلوا بالنسبة لمنطقتي جبل الدروز واللاذقية، وحكموها في أكثر الظروف حكماً عسكرياً مباشراً، وجرياً على ذلك اصدروا لها دستوراً خاصاً حينما اصدر بونسو دستور سوريا كما فعل بالنسبة للمنطقتين على ما ذكرناه سابقاً. وفي معاهدة عام ١٩٣٢ نص على شخصية خاصة لها كما فعل ذلك بالنسبة للمنطقتين المذكورتين أيضاً، وأصر الافرنسيون على شيء من مثل ذلك في معاهدة عام ١٩٣٦ وإن كان جاء اخف مما كان.

ولقد كان الاتراك بزعامة مصطفى كمال يبيتون في انفسهم الطمع في المنطقة ويعتبرونها جزءاً من دولتهم ويتحينون الفرص لتحقيق مطمعهم. وقد سجلوا تحفظهم في شأنه في اتفاق الهدنة الذي عقده مع فرنسا إلى افراد في سنة ١٩٢٠، فاعتبروا تحفظهم هذا تسجيلاً لحق قبل به الافرنسيون، فكان ذلك مما يقوي مطمعهم؛ هذا مع التنبيه على أن التحفظ لم يعد له قيمة بعد معاهدة لوزان التي عقدت بينهم وبين الحلفاء عام ١٩٢٢ والتي لم يسجل فيها شيء من هذا القبيل. ومما لا ريب فيه أن المنهج الاستعماري الذي انتهجته فرنسا وموظفوها قد كان عاملاً في تقوية هذا المطمع؛ ولو لم ينتهجوه وغدت المنطقة محافظة عادية كسائر محافظات سوريا لكان من المحتمل أن لا تقع كارثة سلخها عن امها بغياً وغدراً.



مصطفى كمال أتاتورك

ولقد استقرت حالة تركيا الحديثة وقويت خلال الخمس عشرة سنة التي مرت بين معاهدة لوزان وتاريخ الكارثة فقوى مطعمها في اللواء، وغدا ضم المنطقة إليها طائفاً مستمراً في ذهن زعيمها ورئيس جمهوريتها. وكانت معاهدة ١٩٣٦ والعهد الوطني الذي قام على أساسها من الحوافز للحركة العاجلة خشية نجاح العهد وصعوبة تحقيق المطمع بعد مرور مدة من الزمن وقد كان ما بدا من فرنسا وموظفيها من نية الغدر والنكث واحباط عهد المعاهدة من مقويات امل تركيا وزعيمها والباعث على حركتهم؛ فأخذوا في تحريك اترك المنطقة أولاً ودفعهم إلى المطالبة بالانضمام إلى تركيا أو قيام جهاز حكومي تركي فيها بزعم أن أكثرية سكانها تركية، ولم تلبث الحكومة التركية أن ظهرت على المسرح رسمياً وعلناً لتعضيد حركتهم، فأثارت الموضوع في عصبة الأمم.

ولقد كانت فرنسا وبريطانيا اعتزمتا التقرب إلى تركيا واخذها لجانبهما حينما بدا من هتلر ما بدا وتأزمت الأحوال فسايرها في موقفها وتقرر نتيجة لذلك احصاء اللواء تحت اشراف لجنة دولية. وقد رافق الاحصاء ضغط وتلاعب سافرين من تركيا وفرنسا مما أثار سخط اللجنة وجعلها توقف عملية الاحصاء. ومع ذلك فقد ظلت تركيا تسير في سبيل غايتها وظلت فرنسا تستجيب إليها. ونتج عن ذلك وضع قانون اساسي تطبيقي للواء من قبل عصبة الأمم في شهر مايس من عام ١٩٣٧، وقد نص القانون في ما نص على أن يكون اللواء مستقلاً استقلالاً داخلياً تاماً، وتابعاً في الخارجية لسوريا فتطبق فيه الاتفاقات الدولية السورية ويرعى ممثلو سوريا وقناصلها شؤون اهله ويحمل هؤلاء جوازات سورية، وكذلك نص على أن يكون بين اللواء وسوريا وحدة جمركية ونقدية، واعتبر اللواء فيه مجرداً من السلاح وحظر فيه الخدمة الاجبارية وصناعة السلاح ومروره، وجعل لتركيا ميناء حر في مرفأ اسكندرونة تكون

متمتعة فيه بالسيادة التامة. وقد نص النظام فيما نص على أن يكون للواء مجلس تمثيلي ثمانية من أعضائه ترك وستة علويين واثنيان سنيون وثلاثة من الطوائف المسيحية، و أن يكون له حكومة على رأسها رئيس منتخب من قبل المجلس لمدة خمس سنوات، و أن تكون اللغة التركية هي اللغة الرسمية الأولى واللغة العربية اللغة الرسمية الثانية. ثم عقدت اتفاقيات بين فرنسا وتركيا تبادلتا فيها التعهد بضمان الحدود بين تركيا وسوريا واللواء وبتأمين الأمن في اللواء والدفاع عنه بواسطة قوة افرنسية وتركية متساوية. ومع ما انطوى في هذا من نذر انسلاخ اللواء عن سوريا وقيام حكومة تركية تقريباً في اللواء فإن فرنسا اقنعت الحكومة السورية بالموافقة على أمل أن يقف الامر عند حد الشخصية المستقلة اللواء ضمن الدولة السورية.

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد. فقد اشتد جو أوروبا تلبداً في اواسط عام ١٩٣٨ واشتدت رغبة انكلترا وفرنسا في مخالفة تركيا التي وجدوا فيها سداداً لحاجتهم؛ ولاسيما انهم ضامنون من بلاد العرب وحكوماتها ما يبتغون بالمعاهدات القائمة بينهم وبينها والتي احتوته من القيود والشروط بواقع احتلالهم وسيطرتهم في مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن فعرضوا عليها التحالف. وبالرغم من أن حاجتها إلى هذا التحالف لا تقل عن حاجة فرنسا وانكلترا بل تزيد بسبب جوراها من روسيا وتحسبها المستمر منها فان رجالها احسنوا استغلال الموقف من جهة، وطالبوا بضم منطقة الاسكندرونة إلى دولتهم. ووازن الافرنسيون والانكليز بين العرب والترك فوجدوا أن هؤلاء أقوى من الوجهة الحربية والسياسية بالرغم من تفوق العرب في العدد، فلم يعباوا بهؤلاء وفضلوا ارضاء الترك على حسابهم، ووافقوا على ضم المنطقة إلى دولتهم غير آبهين للعرب وحقوقهم ولا لشرف العهد الدولي الذي قطعوه

على انفسهم والذي ينص بصراحة في صك الانتداب على تحظر التنازل عن
أرض ما من سوريا، وسارع الاتراك فاحتلوا المنطقة ورفعوا عليها علمهم غير
آبهين كذلك بالعرب وحقوقهم وعواطفهم. وكان ذلك في اوائل تموز من عام
١٩٣٨.

وهكذا ارتكب الافرنسيون خيانتهم الكبرى ضد الوطن السوري العربي
وشاركهم فيها الانكليز الذين كانوا دائماً وما يزالون أبطال المساومات على
حساب العرب وحقوقهم وابطال المآسي الغادرة فيهم.

ولقد كان لهذه المأساة رد فعل جارح في نفوس السوريين حكومة وشعباً
فقامت المظاهرات وارسلت الاحتجاجات، وكان هذا كل ما في استطاعتهم أن
يفعلوه إزاء المؤامرة الغادرة.

عدم الانسجام في الافرنسيين وأثره في ما قاسته سوريا :

ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة التناقض والتفكك وفقدان الانسجام في
أسلوب الادارة الفرنسية وبين كبار الموظفين الافرنسيين بل وصغارهم أحياناً
كثيرة وفي سوريا وباريس مما يتردد إليه كثير من ما كان من مشاكل ومآزق
وعثرات ومآس وعسف وبغي في هذا العهد بل طيلة المدة التي بليت فيها سوريا
بفرنسا. فدو مارتيل الذي كان أكبر موظفيهم والناظم لسياستهم في سوريا كان
قنع وصدق الرغبة في حل قضية سوريا على أساس التفاهم مع الكتلة الوطنية
أولاً وعلى أساس مرضٍ ثانياً، واستطاع أن يقنع رجال حكومته في باريس
فتطابقوا معه وكان نتيجة ذلك عقد المعاهدة التي كانت تتضمن نصوصاً يصح
أن نجعلها مرحلة صالحة يقطع النظر عن ما فيها من ثغرات. فالمفروض أن تصبح

هذه النتيجة سياسة فرنسا العليا المرسومة وأن تكون هي النازمة لأعمال وتصرفات الموظفين الفرنسيين إلى أن يتقرر الانحراف عنها في الأوساط العليا التي رسمتها على الأقل. ولكن الذي وقع هو عكس هذا تماماً. فالمندوب السامي عاد يحمل تلك القناعة والرغبة في السير في تطبيق ما تم التعاقد عليه سيراً نزيهاً يغذيه حسن النية على ما ظهر منه، بينما أباح كثير من الموظفين الفرنسيين لأنفسهم أن يسيروا في طريق تناقض مع ذلك كل التناقض؛ ثم أباح كثير من رجال فرنسا الحكوميين والبرلمانيين الذين كانوا من أحزاب الحكومة المتعاقدة أيضاً لأنفسهم وضع العراقيل والعثرات في سبيل حسن تطبيق المعاهدة، ومسحها شيئاً بعد شيء، والتآمر مع بعض الموظفين في سوريا على ذلك عن غير طريق المندوب السامي وعلى غير رغبته وقناعته، حيث كان هؤلاء الموظفون يرسلون التقارير ويتلقون التوجيهات رأساً على ما أستفاضت أخباره حينئذ.

ولقد كان هذا التناقض والتفكك وفقدان الانسجام يبدو كذلك في تصرفات وأعمال المندوبين والموظفين الفرنسيين أنفسهم أيضاً، حيث كان يقع أن يكون لوكيل المندوب السامي في دمشق تصرف واسلوب يناقضان تصرف واسلوب المندوب أو موظفي المندوبية الرئيسيين وفي أمور تتعلق بالسياسة والادارة العامة مما هو مفروض أن يكون له ضابط عام منسجم واحد، وحيث كان يقع تشاد وتجادب وتدافع حول السياسات المحلية يبدو آثاره للناس، ثم يبقى المتمرد الشاذ في عمله فلا يستطيع الرئيس أن يملئ على مرؤسه رأيه ويحمله على السير فيه. بل لقد كان هذا يظهر في المفوضين السامين أنفسهم بحيث يبدو منه أن لكل منهم سياسة شخصية وأنه لم يكن لحكومة فرنسا سياسة عامة مرسومة. فغورو سار سياسة وريغاند على سياسة وسراي على سياسة

وجوفيل على سياسة وبونسو على سياسة ودوماريتل على سياسة وبيو على سياسة بينها قليل أو كثير من التناقض.

جهود حكومة العهد الوطني في سبيل المعاهدة وفشلها :

ولقد أرادت حكومة العهد الوطني إنقاذ المعاهدة والتغلب على ما قام أمامها من عثرات بأي ثمن، فسارعت أولاً إلى عرض المعاهدة على المجلس النيابي وأخذت مصادقته عليها، ثم أخذت تبذل جهدها في باريس لمثل ذلك باعتبار أن التصديق عليها قمين بإيجاد الاستقرار واحباط المكائد وازالة العثرات. وقد زار رئيسها باريس لهذا المقصد أكثر من مرة، فكان يراوغ معه ويعتذر له بانتظار الوقت الملائم، ويستغل موقفه وما كان يلقاه العهد من دسائس وعراقيل ومآزق، وما كان من مواقف الاحزاب العسكرية والاستعمارية استغلالاً لئيماً فيقترح عليه صيغ جديدة من التحفظات والالتزامات والتفسيرات والملاحق التي كادت تخرج المعاهدة من نطاقها الاستقلالي، وأدت إلى ازمة بين اعضاء الوزارة استقال بعضهم فيها كما ادت إلى خلاف وفتور بينهم وبين رئيس الجمهورية فيضطر إلى التوقيع عليها على أمل انقاذ المعاهدة والعهد، حتى لقد استغلت فرنسا هذا الموقف فأملت على الحكومة السورية عملاً ضد المصلحة العربية وبسبيل ابقاء سوريا منعزلة عن التضامن مع الاقطار العربية الأخرى في قضية فلسطين وغيرها فسايرتها فيه، ونعني به العدول عن الاشتراك في وفد المؤتمر البرلماني الذي قرر هذا المؤتمر المنعقد في القاهرة عام ١٩٣٨ ايفاده إلى لندن، وكان فارس الخوري رئيس المجلس النيابي قد سافر من دمشق إلى لندن بطريق الآستانة لهذا الغرض، وقد كان رئيس الحكومة السورية في باريس فطلب منه الابراق لفارس الخوري بعدم متابعة سفره. ولقد حاولت الحكومة الفرنسية

كذلك ولنفس الغاية دون اشتراك الحكومة السورية في مؤتمر لندن الذي دعت إليه الحكومة البريطانية الحكومات العربية في آخر عام ١٩٣٨، فسكتت مسaire في ما كان على شدة الرغبة الانكليزية وخطورة المؤتمر الذي سجل فيه خروج قضية فلسطين من نطاقها المحلي ودخولها في نطاق العروبة العام. ومما كان بسبيل عدم تسبب تشاد وخرج عدم متابعة الحكومة السورية امر استلام الادارات والصلاحيات التي كانت في يد السلطات الانتدابية والتي كان الموظفون الافرنسيون يهتمون كل الاهتمام لاستبقائها في أيديهم مما كان له مساس شديد في مفهومات سيادة الدولة وكيانها ونشاط الحكومة ومتناولها، وعدم إثارة تعديل الدستور الذي أصدره بونسو مشوهاً معدلاً ممسوخاً عن دستور الجمعية التأسيسية بما فيه المادة (١١٦) الاضافية التي كانت تشل معاني السيادة والاستقلال!

على أن كل ما كان من الحكومة السورية من استجابات ومسايرات وتحاشٍ للتشاد والخرج لم يفدها إلا تكبيل البلاد بالقيود وتعريضها نفسها للنقد والتجريح وضياح الهيبة، ومنح فرنسا وسائل كيد جديدة للبلاد وأهلها، وظلت الحكومة الفرنسية على ما سارت عليه من خطة التمثيط والاعتذار إلى أواخر عام ١٩٣٨ ثم عرضت المعاهدة على البرلمان وأحيلت إلى لجنة الشؤون الخارجية لمجلس النواب الفرنسي، وأخذت تصدر في نفس الوقت من المقامات الفرنسية البرلمانية والرسمية والدوائر السياسية تصريحات ضدها، ووقفت الصحافة في موقف التأيد لهذه التصريحات كأنما كانت هناك مؤامرة محبوكة، فلم يلبث أن أعقب هذه الحملة قرار من لجنة الشؤون الخارجية المذكورة في أوائل عام ١٩٣٩ يرفض عرضها على المجلس الراهن، وصدر هذا القرار بينما

كان رئيس الوزارة في احدى رحلاته إلى باريس يبذل جهوده اليائسة . ثم بدل دو مارتيل ببو الذي لم يلبث أن اذاع فور وصوله قرار فرنسا بلزوم اعادة النظر من جديد ووضع نصوص معاهدة جديدة على ضوء الاختبارات، ثم اعلن ممارسة المندوب السامي الانتدابية إلى أن تعقد المعاهدة الجديدة، واخذ يتدخل في شؤون الدولة على اساس هذه السلطة.

سحب المعاهدة واثره :

تأزم الموقف بسبب هذه النهاية اللثيمة واضطرت الحكومة إلى الانسحاب بضغط الرأي العام والمكائد الفرنسية حيث اعتبر المندوب أن سوريا مقيدة بما وقعه رئيس حكومتها من ملاحق وتفسيرات والتزامات، مما يعتبر غاية في اللؤم والاستغلال والكيد والابتعاد عن كل منطق، لأنه تمسك بالفرع مع نقص الاصل الذي نشأ عنه! وكان من جملة ذلك ملحق بمنح جبل الدروز ومنطقة اللاذقية استقلالاً ذاتياً، وملحق آخر بتنظيم الشؤون الطائفية اثار بعض علماء الدين حوله ضجة لا تتحملها النصوص والمدى، وكانت من الأسباب المباشرة لانسحاب الحكومة.

ولقد خلفت الحكومة وزارتان أخريان حاولتا تعديل الموقف فلم يمكن الوصول إلى حل مرض فاستقالتا دون أن تلبثا طويلا ثم استقال رئيس الجمهورية موجهاً استقالته إلى رئيس المجلس النيابي فكان آخر حياة هذا العهد.

تعليقات على موقف الحكومة الوطنية ازاء دسائس وغدر الافرنسيين:

ولقد بدت دسائس الافرنسيين وسوء نياتهم في سوريا وباريس ضد هذا العهد مبكرة فظنت الحكومة أن في الامكان التغلب على المواقف، وسارت

في سبيل ذلك خطوات متنوعة منها ما ذكرناه آنفاً فلم تعد عليها الا باضاعة مزايا كثيرة من روح المعاهدة وقوتها، على ما كان فيها من ثغرات، وكان ذلك سبباً من اسباب التماذي في طلب المزيد من التفسيرات والالتزامات والملاحق إلى أن صارت اقرب إلى الانتداب منها إلى السيادة والاستقلال. ومع ذلك فقد ظلت الحكومة متشبثة بالكروسي باجتهاد السير إلى آخر الشوط، فكان ذلك عاملاً في ضياع هيبتها واضغاف مركزها والثقة فيها، وفتور روح النضال وحمود الحماس في الأمة، التصاق ذلك بالكتلة الوطنية وامحاء طابع النضال القومي تقريباً عنها، وهو الطابع الذي لم ير الا فرنسيون بقوته سبيلاً إلا تهدئة الحال بالتفاهم معها.

وهذا الموقف كان خطأ وضاراً معاً. ولعله من أبرز الأخطاء في هذا العهد من الوجهة القومية والنضالية. وقد أعلن عن ذلك سعد الله الجابري بمناسبة استقالة شكري القوتلي من الوزارة وتقديمه استجواباً عن ما فعله رئيس الحكومة في رحلته وعن سياستها بعد ما صدر من فرنسا ماصدر من تصريحات، انهم يفضلون الاستمرار في الشوط إلى نهايته والنضال في داخل الحكومة. ولو فعلوا هذا او لو انهم استغلوا وجودهم في الحكم وهيئوا وسائل النضال حينما خرجوا او بالاصح حينما اخرجوا من الحكم لكانوا برروا استمرارهم في الحكم وحشد الناس لهم ذلك، واثبتوا احتفاظهم بطابعهم النضالي، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً داخل الحكم حينما اعلنت فرنسا نكثها واذاع مندوبها سحب المعاهدة والعودة إلى ممارسة السلطات الانتدابية التي كان يمارسها المندوبون قبل المعاهدة ولا كانوا هيئوا اسباب النضال حينما خرجوا من الحكم مع انهم قضوا فيه نحو سنتين ونصف، فضلاً عن ما أصاب الكتلة الوطنية من تخطيط ووقع فيها من

تخاذل، مع أن الدلائل اخذت تقوم مبكرة على سوء نية فرنسا وموظفيها هم انفسهم يلمسونها عياناً.

ومما يجدر تسجيله أن شكري القوتلي قد انسحب من الوزارة بسبب ما وصل إليه الموقف من ميوعة و تساهل ومحاولات خائبة، وقبل أن يصل أمر الوزارة إلى الحرج الشديد الذي وصلت إليه فكسب بعمله هذا عطف الجميع واحترامهم، وكان من جملة اسباب ما ظل يتمتع به من الاحترام والثقة وحسن الاحدوثة والمركز الذي جعله في ما بعد رجل الساعة في سوريا.

ولو أن وزارة الكتلة غضبت لكرامتها واستقالت في عهد مبكر لكانت اهابت حماس الشعب وروحه النضالية، ولاضطر الافرنسيون إلى الكف والتراجع، ولكانت قضية سوريا وعهدها الوطني اكتسبا قوة ومكانة عظيمتين؛ هذا عدا عما في الاستقالة من معنى الاستنكار والنضال الوطني في حد ذاته مما يتناسب مع طابع الكتلة النضالي.

والنقد نفسه موجه إلى وزارة لطفي الحفار الكتلوية التي خلفت وزارة جميل مردم، ولاسيما أن نيات فرنسة الغادرة قد ظهرت واضحة لا تتحمل اجتهاداً وأن مندوبها اخذ يستعمل سلطاته الانتدائية المتنوعة في التشريع والادارة.

ولم يتسنّ لثورة الافكار وجليانها وما نتج عنها من مظاهرات واضرابات استمرار لانها لم تجد من يغذيها. وقد سارعت السلطات الافرنسية فانزلت فصائل السنغاليين إلى الشوارع وقبضت على عدد كبير من الشبان المتحمسين وساقتهم إلى المحاكم وعذبتهم اثناء التحقيق كما اعتقلت فريقاً من رجال الكتلة

وشبانها أي نبيه العظيمة ورفاقه ممن كانوا يمثلون الجناح المتطرف فيها وفتحهم إلى تدمير وتواري بقية المرموقين المتطرفين، فلم تلبث أن هدأت الحالة.

حركة المعارضة في العهد الوطني :

وبمناسبة ذكر معارضي الكتلة نقول أن المعارضة الحزبية البارزة للكتلة كانت تتمثل بالمرحوم الدكتور عبد الرحمن شهبندر ومن انضم إليه. وقد كان بين الدكتور وبين الاستقاليين الذين كان أكثر رجال الكتلة البارزين منهم تشاد يمتدّ شيء منه إلى عهد فيصل وكثير منه إلى ظروف الثورة السورية، ثم كان يشتد حيناً ويكمن حيناً. ولما كان اضراب دمشق الطويل وثورتها عام ١٩٣٥ التي انتهت بدعوة رجال الكتلة إلى المفاوضة نقم الدكتور على اهماله، لانه كان يرى لنفسه الحق في أن يكون صاحب الشأن في هذه الخطوة لما كان من سجنه في ارواد واشترآكه في الثورة وتسميته منذئذ باسم زعيمها.

ولما عقدت المعاهدة وتقلد رجال الكتلة مقاليد الحكم كان هو في مصر وكان غيره في مصر والاردن وفلسطين والصحراء والعراق مشردين باحكام عسكرية، فاهتمت الوزارة لاستصدار عفو عن الجميع واشتركت الكتلة حكومة وحزبا في حفلات الاستقبال الرائعة التي اقيمت للعائدين وفي مقدمتهم الدكتور. غير انه لم يلبث أن اخذ يبدي انتقاداته واعتراضاته على المعاهدة والادارة والتفت حوله جماعة من العائدين والمقيمين فبرزت تلك المعارضة.

ومع أن المعاهدة لم تكن تتضمن كل ما كانت تصبو سوريا إليه و أن فيها ثغرات جوهرية على ما ذكرناه سابقاً فقد قيل فيما قيل ان منشأ المعارضة يرجع من جهة ما كان من تشاد ومغاضبة بينه وبين الاستقاليين

ومن جهة إلى سبب نفساني من تأثير ما اعتبره اهمالاً لشخصه سواء في سياق المفاوضات او في سياق نشوء العهد الجديد، و أن الذين التفوا حوله انساقوا بنفس الاسباب و أن المعارضة قد قامت للتهديم والترتيب اكثر منها للحرص على المصلحة القومية العليا. وقد بدا شيء من الصحة في ما قيل في مواقف ومظاهر عديدة بالاضافة إلى أن من الذين اندمجوا في المعارضة من اندمج في العهود الايجابية المزيفة.

ولقد كان لهذه المعارضة شيء من الطين، وكان لها بعض التأثير في الاوساط الناقمة اولاً وفي اوساط الكتلة ووزارتها ثانياً جعل هذه تقف منها موقف الناقم المحنق؛ وكان هذا الموقف مما قوى ذلك الطين، ولم تلبث المعارضة أن ظهرت باسم الهيئة الشعبية حيث انضم اليها بعض النواب الذين انشقوا من الكتلة الوطنية وصار لها بعض الصحف التي تناصرها وتنطق باسمها، غير أن من الحق أن يقال أن هذه المعارضة لم تكن ذات قوة ذاتية وشعبية ولم تكن من السعة ما يجعلها حزباً مزاحماً للكتلة يترشح ليحل محلها في الحركة الوطنية او في حمل اعباء الدولة. واقوى ظروف بروزها كان حينما تأزمت الأمور بين وزارة الكتلة والفرنسيين وبدرت من هؤلاء بوادر النكث والتراجع وضعف مركز الوزارة واربد الافق في وجهها، فحينئذ ارتفع صوت هذه المعارضة قوياً واشتدت حركاتها وكان ما كان من مظاهرات بدت فيها يدها.

ومما يسجل أن هذه المعارضة لم تلبث أن هدأت بعد استقالة وزارة الكتلة، ولم يلبث الدكتور شهنبر أن فاجأ الناس برحلة عاجلة إلى مصر في حين اخذت الافكار تغلي والجو ينذر بالانفجار والجيش يحتل المدينة ويقوم بحركة الاعتقال الواسعة والكتلة الوطنية تقف موقف المخدول الذي فقد قوته

النضالية فكان الامر غريباً حقاً. لأن المعارضة كانت ضد المعاهدة وضد الكتلة التي قبلت بها وسارت في سبيل تطبيقها وضد ظروف هذا التطبيق من قبل الافرنسيين والكتلوين معاً، وكان شعارها في سبيل معاهدة افضل تتناسب مع تضحيات البلاد وتضمن جميع حقوقها وامانيها وتخلو من الثغرات الموجودة في هذه المعاهدة. والتي كانوا يعددونها في نشراتهم. فكان المنطق يقضي أن تتقدم المعارضة وعلى رأسها زعيمها الذي كان قطب رحاها لسد الفراغ الذي خلا من الكتلة التي انسحبت من الحكومة وضعفت في الميدان الشعبي النضالي، وتنزل إلى الميدان الذي تهيأ للنضال تستجيب للأفكار الهائجة والنفوس الثائرة وتستغلها وتقودها. ولقد كانت مفاجأة الدكتور برحلته شديدة الوقع حتى على انصاره الذين حاروا بأي وجه يواجهون الناس، واي موقف يقومونه من الظرف الذي قام والذي ادعوا انه نتيجة لمعارضتهم، حتى أن احد كبار المعارضة وجه له لوماً شديداً فيه شعور المجروح في كرامته حينما اخذ يقسم اشد الاقسام بانه لن يكلم الدكتور ولن يقف وايه في موقف واحد وجبهة متحدة، لأن رحلته كانت خذلاناً لمبدأ المعارضة النزيهة وفراراً من ميدان النضال الذي دعت إليه وحملت على الكتلة لضعفها فيه، وإعلاناً بأن كل القصد هو شفاء غل شخصي تم بسقوط الكتلة ووزارتها وكفى الله المؤمنين القتال. (١)

(١) كل هذا فحوى كلام المعارض الكبير.

العهد الانتدابي الثاني

١٩٣٩ - ١٩٤٣

الارهاب بعد سحب المعاهدة :

وكما فعل الافرنسيون عقب انهيار عهد فيصل فعلوا تقريباً عقب انهدام العهد الوطني دون أن يكون للعشرين عاما التي مرت بين العهدين أي تأثير في ذهنيتههم. فمن جهة نشروا الارهاب في جو سورية واصلتوا السيف واخذوا يتعقبون من ظنوا فيهم القدرة على الحركة النضالية فاعتقلوا فريقاً وشرّدوا فريقاً آخر من رجال الوطنية وشبابها، ومن جهة أقاموا اداة حكومية منفذة لمشيئتهم باسم مجلس المديرين ووضعوا على رأسها بهيج الخطيب الذي له صلة وثيقة بهم، ومن جهة اعلنوا وقف الدستور واجلس النيابي وتشكيلات رآسة الجمهورية والوزارة وحقوقهما، فعاد بذلك نظام الانتداب وعهده بكل سعتهما وبشاعتهما. ولم تلبث الحرب العالمية الثانية أن نشبت فكان لهم منها فرصة لتشديد ضغطهم وتضييقهم وارهابهم واستغلالهم ومكائدهم.

وقد احوالوا نبيه العظمة ورفاقه إلى الخاكمة العسكرية وضموا اليهم اسماء كثيرين من رجال الحركة وشبابها الذين تشرّدوا بالمطاردة ووجهوا اليهم تهمة خيالية ومضحكة (١) تدل على ما يبيحه المستعمر لنفسه في سبيل القمع

(١) من جملة التهم صلة نبيه العظمة وأخيه عادل بهتلر وتلقى الاول من هتلر شكاً

والارهاب من الوسائل وحكموا عليهم بالسجن مدداً متنوعة منها ما هو طويل جداً.

وفي اثناء ذلك انكشفت مؤامرة كان يدبرها بعض المتحمسين لاغتيال بهيج الخطيب رئيس مجلس المديرين انتقاماً لقيامه على انقراض العهد الوطني واندماجه مع الافرنسيين فتجددت حركة الاعتقالات، وادخل في نطاقها بعض رجال الكتلة والشباب. وقد كانت القضية في يد القضاء السوري فلما رأوا هذا القضاء غيرهاضم ما يراد تهظيمه له من التلفيقات والاحكام سحبوها منه واحالوها على المحكمة العسكرية ومزجوا هذه الحادثة بتهم اخرى بعيدة عنها كل البعد ايغالباً في الارهاب والارهاق، وحكموهم بمدد متنوعة ايضاً منها ما هو طويل جداً. ومن عجيب مفارقاتهم انهم ادخلوا نبيه العظمة وبعض رفاقه المحكومين في نطاق هذه القضية وحاكموهم محاكمة ثانية وحكموا عليهم احكاماً جديدة ضوعفت بها مدد سجنهم.

العسف الافرنسي اثناء الحرب :

ولقد مر بسوريا سنة وبضعة شهور قاست خلالها من الشدائد والارهاق الوانا، وكانت الجاسوسية والمحاكمات العسكرية والمطارادات والاعتقالات تززع الناس في كل حركة من حركاتهم ولحظة من اوقاتهم اشد الازعاج، وتشردهم تحت كل كوكب.

بثلاثين الف جنيه دون ان يخلجوا من سخافة الكلام فضلاً عن التهمة وكيف يمكن ان يكون مثل هذا المبلغ شكاً.

وقد استغل الموظفون الافرنسيون الفرصة وخاصة التموين ومراقبة
الاخراجات والادخالات ولوازم الجيش ومعاملات الجمرك ابشع استغلال،
ولقد كان موظفو التموين (الاعاشة) يضعون ايديهم على ما في السوق من
السلع الرائجة بحجة حاجة الجيش او الانتاج الحربي بضمن بخس يقدرونه
ويدفعونه لاصحابه من العملة الورقية التي ضوعفت اضعافاً مضاعفة ضاعفت
من هم الناس وقلقهم لثرواتهم الذهبية والعينية التي تؤخذ من ايديهم مقابلها،
وقد لا يكون للسلع صلة بحاجات الجيش والصناعات الحربية، ثم لا يلبثون في
الأيام التالية أن يعرضوها للبيع بايدي السماسرة بأسعار عالية!! وكانت دائرة
التموين تقطع سعراً معيناً للغلات وتصادرها من البيادر والمخازن وتدفع ثمنها
حسب هذا السعر في حين يكون سعرها في السوق ضعفاً وضعفين، وكثيراً ما
كانت الكميات المصادرة اكثر من حاجة الجيش، وكان الناس يلمسون تسرب
شيء منها إلى السوق لتباع بالاسعار المرتفعة كما كانوا يلمسون شحنها إلى
فلسطين لتباع بأسعار عالية فيها. ولقد حدث كثيراً أن يذهب ضباط افرنسيون
ومعهم سيارات شحن إلى حوران وغيرها فيصادروا كميات من الغلات مقابل
وصولات وبيانات يظهر زيفها وتزويرها حينما يراجع اصحاب الغلات دوائر
التموين والجيش! ولم يكن في امكان تاجر مستورد او مصدر الحصول على
رخصة توريد او تصدير للسلع المسموح بها الا بعد دفع عمولات مضاعفة منها
ما هو رسمي لصندوق ما كان يسمى بالمصالح المشتركة والذي كان ينفق منه
على جيوش الموظفين الافرنسيين والجيوش المسلحة، ومنها ما كان يذهب إلى
جيوب المشرفين على الدائرة وكان نصيب كل معترض او شاك الحرمان
والعثرات والعراقيل والاعتقال احياناً. وكان هذا يجري بدون ما تستر كأنما هو
امر عادي. ولقد كان في لوائح الجمارك مواد بشأن مراقبة المهربات والمخظورات

ومكافأة المراقبين استغلها الموظفون الافرنسيون استغلالاً واسعاً وبشعاً منتهزين كذلك جو الحرب ورهبتها، وكان يقع في هذا السبيل كوارث ونكبات عظيمة، وكانت هذه الدائرة دائرة جاسوسية من جهة ودائرة تعذيب تفتيشي من جهة اخرى. وكان في جملة ما تفعله مصادرة الذهب الذي يحمله الداخلون إلى سوريا بحجة انه مال مهرب ووضع غرامات باهظة على ناقله فضلاً عن حرمانه منه، وبلغ الامر الى كبس البيوت وتحري حسابات الناس ودفاترهم ومصادرة ما يوجد من الذهب لديهم بحجة انه ادخل مهرباً، ووضع الغرامات الباهظة وسوق المتهمين إلى السجن رهناً على دفع هذه الغرامات. وقد سمعنا قصصاً عديدة عن جميع هذا من اصحابها وخاصة في صدد تحكم موظفي الجمارك وما يسومونه الناس من خسف وتعذيب بقصد تأمين مكافآت باهظة لهم هي ادخل في باب النهب والسلب بالاكراه منها في باب المكافآت القانونية.

ولقد تضاعفت الجاسوسية اثناء الحرب واصبحت هي الاخرى سلب ونهب حيث كان الجواسيس يلاحقون الاشخاص ويهددونهم بالوشيات ويبتزون منهم المال ويوقعون بمن لا يستجيب اليهم بعلم وتحريض من رؤسائهم الافرنسيين.

وتجاوز ضغط الافرنسيين نطاق السوريين إلى الفلسطينيين الذين كانوا في دمشق بمناسبة ثورة فلسطين سني ١٩٣٧ - ١٩٣٩ فأخذوا يضيقون عليهم الخناق ويعتقلونهم بالعشرات مع انهم كانوا يغمضون العين عنهم جواباً انتقامياً لما كان من أغماض الانكليز عن حركات مجاهدي سوريا ومنظمي امورهم، وكان تأزم الحالة السياسية الاوربية مما لزم فرنسا الاستعمارية الاستجابة إلى تأثير الانكليز وضغطهم في هذا الصدد. وشجع على ذلك انهدام العهد الوطني وما

كان من جو الارهاب والشدة الذي بثه الافرنسيون في سوريا، وحيث اوحى لهم هذا أن يكون الارهاب شاملا لكل مناضل ولكل حركة نضالية ولو لم تكن موجهة اليهم. وقد شهدنا وقائع وحوادث يقشع منها البدن وتشمئز منها النفس من ضرب وتعذيب في سياق التحقيق والتمهيد للمحاكمات العسكرية مجردة من كل رحمة ورأفة ولم يسلم أي شخص وقع في يد الدرك الافرنسي من ضرب او اهانة الا نادراً جداً. وقد كانوا يضربون المتهم حتى يدموا جلده واحياناً حتى يعطلوا بعض اعضائه. وكثيراً ما كان المعتذون يذهبون عن وعيهم وكان الخوف من تكرار العذاب يسوقهم إلى الاعتراف بكل ما يمليه الخققون الافرنسيون ومن غريب المفارقات أن احد المتهمين حينما وقف امام المستنطق العسكري قال له أن اعترافاتي كانت نتيجة الضرب فصرخ في وجهه وصفعه قائلاً أن الافرنسيين لا يضربون! وكانت المحاكم العسكرية تحكم بتقارير الجواسيس ومذكرات الدرك الافرنسي وترفض أي اعتراض وتأبى جلب اصحاب التقارير والمذكرات للمناقشة والشهادة العلنية.

الحالة بعد انهيار فرنسا :

ولما انهارت فرنسا في صيف عام ١٩٤٠ حاول القائد الافرنسي العام بالاتفاق مع المندوب السامي بيو أن يقف موقف المناوئ لفيشي استجابة لدعوة الجنرال ديغول الذي اخذ يدعو إلى المقاومة باسم فرنسا الحرة من لندن بتشجيع الانكليز وتعريضهم، واحتفاظاً بالسيطرة على بلاد الشام، واعلنت بريطانيا تأييدها لهما واستعدادها لمساعدتهما ومدتهما بالقوى المناضلة فهلعت القلوب من احتمال استمرار الكرب بعد أن تنفس الناس الصعداء حيث رأوا في ذلك الانهيار فاتحة للفرج، ثم عادا من موقفيهما لما بدا من ضعف حركة المناوأة

الديغولية في بادئ الامر ولعدم مساس الهدنة بين الالمان وفرنسا فيشي بموقف فرنسا من سوريا ولبنان.

وقد بدا أن يبو تلقى من فيشي تعليمات في صدد التنفيس والتفريغ في سوريا ولبنان تمشياً مع حالة الوهن والانهيال التي ألمت بفرنسا، فكانت اتصالات بينه وبين بعض رجال سوريا اسفرت عن اتفاق على اجتماع بينه وبين شكري القوتلي الذي خرج سليماً نوعاً ما من التحطيم المعنوي الذي اصاب زملاءه من رجال العهد الوطني للبحث في الموقف. ولكن الجو تعكر فجأة بحادثة اغتيال الدكتور شهبندر التي وقعت في الاسبوع الاول من شهر آب عام ١٩٤٠ وفي نفس اليوم المعين لذلك الاجتماع، فاستغلها الموظفون الافرنسيون في دمشق اشد الاستغلال وتآمروا مع اداتهم الحكومية او بالأصح مع رئيسها ضد البارزين من رجال الكتلة، فوجهت الى جميل مردم وشكري القوتلي وسعد الله الجابري ولطفي الحفار تهمة التآمر والاغتيال، وكان من النتائج المباشرة لذلك الغاء الاجتماع المذكور.

ومما لاشك فيه أن الموظفين الافرنسيين في دمشق وشركاءهم من كبار موظفي المندوبية في بيروت كانوا على علم بما جرى من اتصالات وبالاتحاد المتفق عليه مما يجعل مسارعتهم إلى تهمة رجال الكتلة بالحادثة او على الاقل تقوية خاطرها الذي يمكن أن يكون قد خطر لأولياء الشهبندر بسبب التشاد والعداء بين الفريقين مقصودة لشلهم عن الحركة والحيلولة دون تبدل العهد القائم او تأخير مدة ما حتى لا ينتهي عهد النفوذ والمجد والمكاسب الذي كانوا يتمتعون به والذي كانت فرصة الحرب اعظم وسيلة لاتساع تمتعهم به، والذي كان من دوافع مؤامراتهم على العهد الوطني ودسهم عليه واحباطه نهائياً.

ولقد شغلوا دمشق برمتها بهذه الحادثة وتحقيقاتها ومحاكماتها حتى جاء وقت ينذر بوقوع فتنة هوجاء بين الناس الذين انقسموا إلى معسكرين، وكانت اصابعهم في التحريض والمؤامرة على جماعة الكتلة وانصارها ظاهرة حتى بلغ عدد الذين اعتقلوهم منهم نحو مئة شخص. وانطلقت السنة الصحف المأجورة او المعارضة للكتلة تشتم رجال الكتلة وتنتعهم بالقتلة والمتآمرين. ولم تنفرج الأزمة نوعاً ما إلا باعلان المندوب الجديد الجنرال دانز الحياد والنزاهة التامة في القضية. وقد كانت فيشي سحبت بيو نتيجة للشكايات والمساعي المبذولة وارسلت هذا ليحل محله مزوداً بتعليمات المسيرة والتنفيذ.

وقد جرت المحاكمة كذلك فعلاً فظهرت في قاعة المحكمة آثار التزوير والتحريك والتآمر والتحريض، وبرئ رجال الكتلة من التهمة وانتهى الامر عند حده الطبيعي حيث صدر الحكم بالاعدام ضد الشباب الثلاثة الذين اشتركوا في الجريمة.

ولقد قيل في سياق هذه الحادثة أن مؤامرة الشبان كانت تتناول غير الشهبندر جميل مردم وبهيج الخطيب، باعتبار أن الاثنين الاولين ضربا قضية الوطن بتنازعمها وشقاقهما، وأن الثالث تأمر مع السلطات الافرنسية على ما كان منها من تصرفات باغية وغدر قبيل الحرب وفي اثنائها.

ولقد كان فيما كان من ظروف الحادثة أن الموظفين الافرنسيين خشوا أن يفلت رجال الكتلة من التهمة باساليب القضاء المدني فاعزوا لمجلس المديرين فقرر سحب قضيتها من المحاكم المدنية واحالتها على المجلس العدلي الشبيه بالمجلس العسكري او العرفي وبرئاسة قاض افرنسي وبإدارة محقق عدلي

عسكري، وقد اصدر هذا قرارا بمحاكمة جميل وسعد الله ولطفي ومنع محاكمة شكري. فلم يسع الثلاثة الا مغادرة سوريا إلى العراق، وكان هذا هو المقصود على ما اعتقده المراقبون.

ولقد تولى شكري امر الدفاع عن زملائه وبرز كزعيم للكتلة والحركة الوطنية ورجل ساعتها واخذ رجالها وانصارها يلتفون حوله فداخل الافرنسيين الندم على منع محاكمته وعدم تشريده هو الآخر فلم يتورعوا عن احاطته بجو مزعج من المراقبة والترصد من جهة والاغضاء عن مابدا من الجرأة على بيته، والتفكير في وسيلة تقصيه عن الميدان من جهة اخرى. ولقد كادوا يجدون الوسيلة، فقد كان بعض ضباط وموظفي الجيش الافرنسي اتهموا بسرقة وبيع السلاح من مخازن الجيش سنة ١٩٣٦ وكان ذكر بعض اسماء الوطنيين كمشتريين للسلاح للثورة الفلسطينية ومن جملتهم شكري القوتلي، ثم اقلل الحديث لانه لم يكن مستنداً إلى دلائل راهنة من جهة، وكان العهد الوطني الذي كان شكري القوتلي فيه وزيراً قد قام من جهة اخرى. فاستدعت دائرة الدرك الافرنسي بعض المحكومين الذين كانوا من موظفي الجيش الافرنسي بعد صدور قرار منع محاكمة شكري وبروزه وفتحتهم في الامر وحققت معهم في امر صلة شكري بقضية السلاح ولوّحت لهم ببعض الآمال.

ولقد اعترف القاتل احمد عصاصة ورفيقاه في قاعة المحكمة بالجرم وقرروا أن الباعث عليها هو العاطفة الدينية والوطنية معاً، وخاصة الاولى لانهم علموا أن للشهبندر آراء منحرفة في صدد الدين وتقاليده. ونفوا أي علاقة مباشرة وغير مباشرة لجميل ولطفي وسعد الله وغيرهم من رجالهم بالحادث، وكانوا في اثناء التحقيق وقفوا على اعترافات منافية لهذا الاعتراف والنفي فلما سئلوا عن

ذلك قالوا أن هذه الاعترافات اخذت منهم بالضغط والاكراه حيناً وبالاغراء حيناً وأن بهيج الخطيب وموظفي الأمن الافرنسيين هم الذين استعملوا معهم هذه الاساليب.

وكان سبب الاعتراف أن المحكمة استدعت الشيخ الكتاني المغربي الذي كان القاتل من مريديه، وبعد أن ادلى بمعلوماته عن اخلاق مريده وروحه المتدنية طلب إليه أن ينصحه ورفاقه بالاعتراف بالحقيقة كاملة، ففعل بأسلوب بليغ وأعلن فيصل الشهبندر استعدادده للعفو اذا اعترفوا بالحقيقة والباعث وساد المحكمة جو رهيب ثم صرخ احمد بصوت تخنقه عبرات الخشوع والاستجابة للنصيحة فاعترف كما قلنا فكان مشهد رائع ورهيب اثر في جو المحكمة وقضااتها وحاضريها تأثيراً بلغياً وكان فيه القول الفصل، ولاسيما قد كانت اصابع التزوير والتصنيع والتآمر فضحت لدى استماع الشهادات.

تجدد نشاط الحركة الوطنية وأثره :

وحينما خف التوتر في حادثة الشهبندر بعد اعلان المندوب السامي الحياذ والنزاهة في قضيتها اخذ شكري القوتلي يقوم بحملة في سبيل اطلاق المحكومين السياسيين والكف عن مطاردة الناس وتشريدكم كبدء للحركة الوطنية من جديد، فكان من نتيجة هذه الحملة التي آيده فيها رجال الحركة الوطنية في دمشق والمدن الاخرى أن اطلق سراح المحكومين وخفف من شدة المطاردة والتجسس، ولقد كان اطلاق سراح المحكومين والكف عن المطاردين وسيلة لنشاط الهمم والعواطف الوطنية ولقد تشجع اصحاب السلع في دمشق وتضامنوا على الوقوف في وجوههم حتى انهم تجمهروا اكثر من مرة بعصيتهم

ليردوا حملات المصادرة التي اعتاد هؤلاء الموظفون أن يقوموا بها في جو الحرب وارهابها، واخذ الموقف يعود إلى التأزم ومرجل الحماس يعود إلى الغليان، واعلن اضراب عام في دمشق امتد امداً غير قصير، واذاع شكري القوتلي بياناً قوياً عن موقف البلاد وقضيتها وحقوقها.

ولقد كان الموقف في الحق عجبياً متناقضاً. ففرنسا منهارة خاضعة لجبابرة الالمان تذوق كأس الاحتلال الكريه ويقف رجالها وقفة المهين على عتبة قواد احتلالها بينما هي في سورية تمثل دور المحتل الغشوم والمتسلط الجبار.

ولقد كان رجال فرنسا في فيشي يدركون على ما بدا ما في الموقف من تناقض وما هم عليه من عجز، ولكنهم كانوا يخشون أن يكون في أي خطوة صادقة يخطونها تفريطاً بما في ايديهم وازعافاً لهيبتهم المتزعزعة ونقضاً لليد من المطامع الاستعمارية والمنافع الاستغلالية لم يكونوا ليهضموه بالرغم مما حل فيهم. وازعاجة لورقة قد تفيدهم في المساومة في ظروف الدنيا المتجهمة. ومع ذلك فأن الموقف اضطرهم إلى الاستجابة للاصوات المتعالية والاحتجاجات المتوالية فعمد المندوب إلى حركة تطهير وتحقيق في حق الموظفين الافرنسيين اقل في سياقها بعض كبارموظفي المندوبية واعتقل واحيل على المعاش بعضهم، وذاع في ما ذاع خبر وجود ثروات طائلة من سلع وتحف وسجاد وسبائك ذهبية عند بعض هؤلاء الموظفين حصلوا عليها بالطرق التي ذكرناها والتستر على من كان يقوم بالسلب والنهب من الموظفين المختصين ومشاركتهم فيها! وقد اعتذر عن القيام باي عمل حاسم واساسي في صدد القضية الوطنية، واستعداده لمعالجة الموقف معالجة موقته، وكان من نتيجة ذلك أن نحت الاداة الحكومية البغيضة التي يرأسها بهيج الخطيب، و أن اعيد تشكيل مجلس الوزارة برئاسة خالد العظم.

ومع أن الخطوة كانت نصفية فإنها قوبلت بشيء من الارتياح لأنها أزالَت كابوس تلك الأداة وخففت من سوء تصرفات الموظفين الفرنسيين؛ وحل الناس اضطرابهم وصاروا يتطلعون بنفس مطمئنة مرتقبة إلى قرب يوم الفرج الأكبر، وهذا مع التنبيه إلى أن شكري القوتلي اذاع بياناً آخر اشارفيه إلى أن سوريا لا تكتفي بالعلاج المؤقت وإنما تطالب بحقوقها الشرعية، ودعا مع ذلك الناس إلى حل الاضطراب واعدأ بالاستمرار مع اخوانه في العمل حتى الحصول على تلك الحقوق.

الحرب العالمية الثانية

١٩٣٩ - ١٩٤٥

وفي تلك الظروف العقيمة التي كانت تعيشها المنطقة. اندلعت الحرب العالمية الثانية التي كان لها تأثير مباشر على الوضع الإستعماري الذي كانت تعاني منه كل الدول العربية دون استثناء خاصة وأن بعضاً من الأراضي العربية كانت مسرحاً لمعارك شهيرة وفاصلة في تلك الحرب. لذا نجد لزماً علينا هنا أن نتحدث عن تلك الحرب وبشيء من التفصيل قبل أن نتابع أحداثها المحلية.

بدأت الحرب العالمية في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، وانتهت في أوروبا في الثامن من أيار (مايو) ١٩٤٥، كما انتهت في الشرق الأقصى باستسلام اليابان في الثاني من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥. وقد دامت هذه الحرب حوالي ست سنوات واشتركت فيها معظم دول العالم، وتسبب عنها من الخسائر البشرية والعمرانية ما يعادل خسائر حروب العصور الحديثة بكاملها.

انقسام العالم الى معسكرين "المحور والحلفاء" :

انقسم العالم قيبيل الحرب العالمية الثانية الى معسكرين هما: المحور والحلفاء. وكان الحزب النازي قد سيطر على المانيا بزعماء ادولف هتلر منذ العام ١٩٣٣ وفرض عليها نظاماً دكتاتورياً. فأخضع الاقتصاد الالمانى لتوجيه الدولة الصارم، وانشأ قوة عسكرية ضخمة في البر

والبحر والجو، وضرب عرض الحائط بمقررات عصبة الأمم، وطالب بتكوين «الرايخ الثالث» من جميع المناطق والدول الناطقة باللغة الألمانية، مما جعل النازية تصبح خطراً على جميع الدول المجاورة لألمانيا، حيث تستعمل اللغة الألمانية. والتقت مطامع النازية الألمانية بمطامع الفاشية في إيطاليا، حيث كان الحزب الفاشي بزعامة «بنيتو موسوليني» قد سيطر على إيطاليا منذ العام ١٩٢٢، وفرض عليها نظاماً دكتاتورياً، كما أنشأ قوة عسكرية كبيرة في البر والبحر والجو، ورفض مقررات واندازات عصبة الأمم حول سياسة موسوليني التوسعية في شرقي إفريقيا (الحبشة والصومال).

الاسباب المباشرة للحرب :

كشفت ألمانيا النازية منذ العام ١٩٣٥ عن نواياها التوسعية التي أدت الى إشعال نار الحرب فيما بعد. ونقض هتلر معاهدة فرساي في العام ١٩٣٥ بشأن بناء القوة العسكرية الألمانية، وكذلك بشأن التمرکز الألماني العسكري في منطقة الرين المنزوعة السلاح (١٩٣٦) بموجب المعاهدة المذكورة، ثم ضم النمسا (الانشلوس) (١٩٣٨)، وضم مقاطعة السوديت وفرض سيطرته على تشيكوسلوفاكيا بعد مؤتمر ميونيخ (٢٩ أيلول ١٩٣٨). وقد أظهر الحلفاء، وبشكل خاص نيفل تشمبرلين رئيس وزراء انكلترا، الكثير من الخوف من القوة الألمانية وتهديدات هتلر، مما جعل المؤتمرين في ميونيخ، وتشمبرلين منهم، يرضخون لمطالب هتلر خوفاً من الحرب. ونجم عن ذلك زوال دولة تشيكوسلوفاكيا، وتأكد للحلفاء أن مطامع النازية لن تقف عند حد، فبدأت فرنسا وانكلترا بالتسلح والاستعداد منذ العام ١٩٣٨. ثم طمع هتلر بتوسع بلاده على حساب ليتوانيا وبولونيا، فتمكن من انتزاع ميمل من ليتوانيا (آذار

١٩٣٩) ثم بدأ يطالب بولونيا بمقاطعة دانترزيغ، وأرفق مطالبته بالتهديد. ووقف الحلفاء: فرنسا وانكلترا الى جانب بولونيا يشجعونها على عدم الرضوخ لارادة هتلر.

وفي غمرة التهديدات وقع هتلر معاهدة سرية مع الاتحاد السوفياتي في ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٣٩ لتحديد مناطق نفوذهما في بولونيا وبلاد البلطيق وحاول الانكليز التخفيف من حدة التوتر وابعاد شبح الحرب، فاقترحوا في أواخر آب (اغسطس) ١٩٣٩ البدء بمفاوضات دبلوماسية بين بولونيا والمانيا، ففشلت المحاولة، وكان بدء الهجوم الالماني على بولونيا في أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، وبذلك بدأت الحرب العالمية الثانية.

الوضع العسكري العام قبيل الحرب :

أ- في ألمانيا: ثلاثة عناصر رئيسية حددت الطابع الذي جعل لعمليات الحرب الالمانية ميزة خاصة مختلفة عن الماضي: فاعتماد الآلية من جهة وقوامها الفرق المدرعة. ومكننة الوحدات من جهة ثانية الذي يسمح بالتصرف بالقوات في الزمان بالسرعة التي تقتضيها ظروف المعركة، واخيراً بروز الطيران كقوة شبه حاسمة، وامكاناته في عزل حقل المعركة عن المؤخرة وفي ضرب المراكز الاستراتيجية ومراكز القيادات، كل ذلك جعل من الحرب العالمية الثانية حرباً ذات طابع خاص لم يعرف في الحرب التي سبقتها.

اما الاسلوب، فهو ايضاً تغير، فقد اقتضت التقنية الجديدة استخدام عنصر السرعة استخداماً كاملاً، فعلى امتداد الجبهة بكاملها لا يحصل الخرق إلا في مكانين أو ثلاثة أمكنة، عرض كل منها لا يتجاوز الكيلومترات الثلاثة، ولا

يتحقق ذلك الخرق بشكل موجات متتابعة، بل بشكل حاشد وعميق ومتصل، تندفع فيه الفرق المدرعة متبوعة بفرق المشاة الآلية لتفتك بالاحتياط ولتصل الى الهدف الذي يعين في مؤخرة جهاز العدو، بينما تكلف وحدات أخرى من المشاة بتوسيع الثغرة، ووحدات غيرها بحماية مخبئة السهم ضد هجمات الدبابات العدو.

ان أسلوباً قتالياً كهذا يتطلب تجزئة الوحدات الكبرى الى مجموعات تكتيكية ذات تشكيل متغير وفقاً للظروف، وتكون مجهزة بكافة انواع الأسلحة بصورة تمكنها من الاعتماد على نفسها دون أن تنتظر، على الأقل في بدء عملياتها، أية مساعدة خارجية. لكن الالمان مع استعمالهم دباباتهم بالعمق وبحشد وكثافة، مددوا عمل السلاح المدرع من المجال التكتيكي، الى المجال الاستراتيجي، بتأليفهم جيشاً مدرعاً مستقلاً، تدخل فيه عضواً الأسلحة الأخرى من مشاة منقولة، ومدفعية وهندسة محمولة، وبغية مكافحة الدبابات العدو والطيران المعادي، لحظ في صلب التنظيم العضوي للفرق المدرعة أسلحة مضادة للدبابات وأخرى مضادة للطائرات.

كانت ألمانيا تملك في أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩، ١٠٣ فرق، و ٢٧٠٠ طائرة مقاتلة. وفي ١٠ ايار (مايو) ١٩٤٠ ارتفع عدد الجيش الألماني الى ١٧٥ فرقة عاملة، منها عشر فرق مدرعة واربع فرق ميكانيكية، وفرقة محمولة. وفي العام التالي رفع العدد الى ٢٦٠ فرقة منها ٢٤ فرقة مدرعة. أما في العام ١٩٤٣ فقد وصل عديد الجيش الألماني الى ٣٢٥ فرقة من المانيا فقط، وعلى أثر ادخال بعض الوحدات الاجنبية، والاعتماد على الحزب اصبح عدد القوات الألمانية ٣٥٠ فرقة. على صعيد البحرية كان لالمانيا دارعتان جبارتان تزن

الواحدة منهما ٣٥ ألف طن «بسمارك» و «ترينر»، ودارعتان تزل كل منهما ٢٧ ألف طن هما «شونهورست» و «غيزناو»، بالإضافة الى ثمانية طرادات ثقيلة، وعشرة طرادات خفيفة، وثلاثين مدمرة، وسبع وخمسين غواصة. على صعيد الطائرات، كان لدى ألمانيا ٣٦٥٠ طائرة صف أول في ١/٩/١٩٣٩، فكانت النسبة إزاء طائرات الحلفاء منذ اليوم الاول للمعارك من ٢ الى واحد فيما يخص طائرات المطاردة، ومن ٧ الى واحد فيما يخص طائرات القصف وذلك لصالح ألمانيا.

في فرنسا: كان الجنرال غاملان يتوقع استعمال الوسائل الحديثة (الدبابة والطائرة) في حرب مقبلة، إلا أن الاوساط العسكرية والمدنية الرسمية بغاليتها، كانت تثق بخط «ماجينو» وتشعر بأن الاسمنت يتفوق على القولاذ «لن تُحتاج أرض الوطن بعد اليوم... سيتكسر نشاط العدو على الاسمنت والصخور... يمكن بثمن دبابة شراء عدد من المدافع المضادة للدبابات... لم تربح أية معركة من قبل الطيران... عندما يصبح العدو منهوكةً على أثر محالاته الفاشلة ضد خط «ماجينو» ينتقل الفرنسيون الى العمل الهجومي. « تلك كانت بعضاً من تكهنات المنظرين العسكريين الفرنسيين. وعلى الرغم من دروس الحرب الاهلية الاسبانية، فقد بقي الجيش الفرنسي ينكر الاهمية الرئيسية للمساندة الجوية في المعركة، ولا يرى في الدبابة سوى الاداة تفتح الطريق أمام المشاة بشل الاسلحة الآلية (الاوروماتيكية)، فهي أداة نار لا أداة للمناورة. وعلى ذلك فقد كان الفرنسيون يستخدمونها على جهات فسيحة وبترتيبات خطية. وفي حين كان الالمان قد تفهموا الاهمية الجازمة للحركة بالسيارات على الطرقات ولتعميم استعمال اللاسلكي، بقي الفرنسيون خاضعين للاطار الصلب، باعتمادهم على النقل بالسكك الحديدية والاتصال بالهاتف السلكي.

وكان الجيش الفرنسي مؤلفاً من ٩٤ فرقة، يضاف إليها ٤ فرق انكليزية عاملة في فرنسا وذلك في أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٩، وبتاريخ ١٠ أيار (مايو) ١٩٤٠ ارتفع عدد القوات الفرنسية وكانت موزعة على أربعة مساح عمليات كما يلي: ضمت الجبهة الشمالية الشرقية (من جبال الجورا حتى بحر الشمال) بقيادة الجنرال «جورج»:

- ٧٥ فرقة مشاة ضمنها فرقتان بولونيتان و ٢٦ فرقة احتياط (تتألف الفرقة من ٣ أفواج مشاة وفوج مدفعية).

- ١٤ فرقة مشاة وفوج مدفعية.

- ٦ فرق مدرعة ثلاث منها ثقيلة، وثلاث خفيفة التدرية. وتتألف الفرقة من لواء دبابات (١٥٦). دبابة) وفوج مدفعية، ووحدة مضادة للمدرعات، ومهندسين، وإشارة، ومصالح، وكتيبة مشاة واحدة.

ان قلة عدد مشاة الفرقة المدرعة، وخلو الفرقة من عناصر الاستطلاع، جعلها منها أداة غير مكتملة، وبالتالي أقل إمكانات من الفرقة المدرعة الألمانية.

أما الجبهة الجنوبية الشرقية بقيادة الجنرال «اورلي» فقد ضمت أربع فرق مشاة وأربعين كتيبة مشاة جبلية. كما ضمت جبهة افريقيا الشمالية بقيادة الجنرال «نوغلي» عشر فرق مشاة، وثلاث ألوية من الخيالة. يضاف للاعداد اعلاه قوام جبهة الشرق بقيادة الجنرال «ويغان» أي ما مجموعه ثلاث فرق غير كاملة.

ضمت البحرية الفرنسية ٧ دارعات، وطرايدي قتال، وحاملة طائرات

واحدة، و ١٨ طراداً ثقيلًا، و ٣٢ طراداً خفيفاً، و ٢٧ مدمرة، بالإضافة الى ٧٨ غواصة. أما على صعيد القوات الجوية فكان مجموعها في مسرحي العمليات الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي ٥٠٠ طائرة مطاردة، و ٢٩٢ قاذفة، و ١٥٦ طائرة استطلاع، و ٢٨٠ طائرة للمراقبة، مع العلم بأن حوالي ثلث هذا العدد كان حديثاً كما أن ستين طائرة فقط من سلاح الجو الفرنسي كانت قادرة على اجتياز المسافة بين فرنسا وبولونيا.

في بريطانيا: لم يكن البريطانيون غريبين عن أهمية الدبابة في المعركة، فهم بناء هذه الآلة منذ الحرب العالمية الاولى، الا أنهم لم يكونوا يستخدمونها. بالكثافة التي استخدمها بها الالمان، فهي وان بقيت العمود الفقري في التنظيمات البريطانية إلا أنها كانت محاطة بعناصر أخرى من باقي صنوف الاسلحة. فعناصر الاقتحام الخاصة التي ألفها البريطانيون، قد جسدت نظرهم الى المعركة الجديدة، اذ تألفت من مشاة ومهندسين ودبابات ثقيلة، تعمل جميعها بتراط كامل، وتنسيق مع المدفعية الكثيفة النيران، لفتح ثغرة في جزء من النسق الدفاعي الاول، وعندما يتم الخرق تندفع وحدات استثمار الفوز لتلاحق العدو، وتدمره. أما الطائرة فقد كان لها أيضاً مركز الصدارة في

الجزيرة البريطانية، واعتبرت الذراع الذي تستطيع بريطانيا بواسطته التدخل في أية معركة خارج أراضيها، بالإضافة الى شهرتها التقليدية في البحار، وقد تعلمت بريطانيا درساً مفيداً من الحرب العالمية الاولى عندما اضطرت الى خوض الحرب في الجبهة الغربية، فعكفت على رفع مستوى قواها الجوية والبرية تنظيمياً وتدريباً.

في الاتحاد السوفياتي: على تلك الجبهة الواسعة التي تمتد من البلطيق الى

البحر الاسود، سيحقق الروس، عندما تتوفر لهم الوسائل الالتفاف المزدوج على الحشود العدو الضخمة، وستنفذ كل عملية تطويق على جبهة فسيحة وفي قطاعات جد متباعدة.

فبعد أن اعتمد الروس تكتيك الضربات المتكررة، بالعمق والتي أدت الى نجاح جزئي، اذا بهم يعتمدون تكتيك الضربات الجانبية التي تؤدي الى بعثرة جهود العدو ومنعه من تجميع قواته وحمله على ادخال احتياظه في المعركة.

وكان السوفيات ينظرون الى الدبابات كأحد العناصر الرئيسية للنجاح، ويعتمدون اعتماداً كلياً على كثافة نيران المدفعية التي تكون ساحقة في كل مكان. ولما كان للدبابات مركز حاسم في المعركة، فقد استعاض السوفيات عن الدبابات الخفيفة بالدبابات المتوسطة والدبابات الثقيلة. ومع أن الانكليز وحتى الاميركيين لم يتجاوز عيار مدافع دباباتهم ٧٦ مم والالمان ٨٨ مم، نرى السوفيات يجهزون دباباتهم بمدافع عيار ١٢٢ مم. ان قوة هذا السلاح ستحقق للسوفيات فوائد مضاعفة، بحيث تسمح لهم بالقيام بمهمة تدمير التحصينات المعادية ويخوض المعركة على مسافة أبعد.

أما المدفعية ذاتية الحركة المتميزة بطاقتها النارية الهائلة، ويمدى رميها البعيد، فلم تكن تسهم في التحضير للعمليات، متسرة حتى آخر لحظة، بل تدخل المعركة عند اشتباك الوحدات المدرعة، فيأتي مفعوها شديد الوطأة، عميق الاثر.

وتجدر الاشارة الى أن السوفيات كانوا يعولون خاصة على اشراك حشود هائلة من الدبابات في المعركة، ولهذا نفذت معظم عملياتهم تحت طابع التفوق

الملحوظ على العدو سواء من الناحية العددية، أم من الناحية النوعية. ولقد أعاد السوفييات إلى الخيالة أهميتها الغابرة، ذلك أن طرق المواصلات في الاتحاد السوفياتي، وصعوبة المسالك في شتائها الأبيض، اضطرتهم الى الالتجاء مجدداً الى ذلك السلاح، وهكذا كانت الخيالة تؤلف تارة أحد عنصري الشائبة الروسية: خيالة - دبابات، لارهاق العدو وتطويقه، وطوراً الموصل المرن، أو الحلقة الناقصة بين الوحدات المدرعة السريعة والوحدات المتقلة على الاقدام، وكانت القوات الروسية في مطلع أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ مكونة من ١٠٠ فرقة تقريباً.

العمليات على المسرح الاوروبي :

حملة بولونيا: أراد هتلر بهجومه على بولونيا تسوية مسألة «دانتيغ» ومسألة الممر البولوني. ولكي ينجح في هذا الهجوم كان عليه أن يقوم بتغطية المانيا من جهة الغرب ضد احتمال تدخل فرنسا التي تحمي بولونيا وكذلك ضد بريطانيا العظمى التي قد تدعمها في تدخلها، كما أن المعاهدة الالمانية - السوفياتية (٢٣ آب اغسطس) ١٩٣٩ أمنت المانيا من الشرق.

انطلق الهجوم الالمني على بولونيا بتاريخ أول أيلول (سبتمبر) ١٩٣٩ وخصص الجيش الالمني لهذا الهجوم ٤٢ فرقة عاملة و ١٦ فرقة أخرى احتياطية عيئت في خمسة جيوش وانطلقت في اتجاهين: شمالي بقيادة الجنرال «فون بوك» وتضم مجموعته الجيش الثالث والجيش الرابع، وجنوبي بقيادة الجنرال «فون رونشتيدت» وتضم مجموعته الجيوش الثامن والعاشر والرابع عشر، حيث اعتبر الجهد الرئيسي للهجوم. ولقد قيدت هذه الحرب بشكل خاطف، وأعطت

الجيش الألمانية فيها الدليل الاول أو التطبيق الاول لنظرية حرب المدرعات الحاطقة.

كان الجيش البولوني يضم ٣٠ فرقة مشاة و ١١ لواء من الفرسان، بالإضافة الى لوائين مدرعين، الا انه كان يفتقر الى التجهيز والاعتدة.

وقد تمكن الالمان من الحصول على حسم سريع للمعركة، اولا بقضائهم على الطيران البولوني في الايام الاولى، مع أن هذا الطيران كان يضم ٦٠٠ طائرة، وثانياً بالحركة والاندفاع المتواصلين، وتطوير الوحدات البولونية، وقد أظهر البولونيون مقاومة مستميتة حتى اليوم الذي اجتاحتهم فيه السوفيات في ١٧ أيلول (سبتمبر)، فانتهوا بدفاع مستميت عن «وارسو» في ٢٨ منه، وتقاسمت المانيا والاتحاد السوفياتي بولونيا، حسب خط يفصل بين نهري «سان» و «ناريف» رافدي «الفستولا».

في الثالث من ايلول (سبتمبر ١٩٣٩)، أي بعد اندلاع العمليات على الجبهة البولونية ابلغت فرنسا وانكلترا حكومة الرايخ تصميمها على مساندة بولونيا، فعرض هتلر الصلح عليهما ولكنهما رفضتا، أما ايطاليا فقد التزمت الحياد، وادعت بأن حلفها مع المانيا (ايار ١٩٣٩) لا يلزمها بخوض الحرب.

ثم عمدت روسيا في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٩ الى مهاجمة فنلندا، فاخضعتها في آذار (مارس) ١٩٤٠.

وأثناء ذلك حاول هتلر مجدداً عرض الصلح على فرنسا وانكلترا، ولكن هاتين الدولتين رفضتا المصالحة.

وبينما كانت المفاوضات السرية تدور لانتهاء النزاع في أوروبا، على أساس أن ألمانيا حصلت على مطالبها، إذ بألمانيا تزحف بسرعة خاطفة على الدانمارك فتجتاحتها بسرعة هائلة في ٩ نيسان (أبريل) سنة ١٩٤٠، ثم تنتقل إلى النرويج طمعاً بالحديد المتوفر لديها وتأميناً للمواصلات البحرية بين بحر البلطيق وبحر الشمال. وفي أسبوع واحد كان الألمان يسيطرون على النرويج، دون أن يتزكوا للحلفاء فرصة التدخل أو المساعدة الجوية، ما عدا محاولتهم السيطرة على ميناء نارفيك النرويجي. والتجأ الملك هاكون السابع ملك النرويج مع وزرائه إلى بريطانيا ليتابعوا من هناك محاربة الألمان، كما كان البولنديون قد فعلوا قبل ذلك بسبعة أشهر.

الجبهة الغربية :

على أثر انتصاراته في النرويج، توجه هتلر بضربته نحو الغرب، ففي العاشر من أيار (مايو) وجه مجموعة الجيوش (ب) بقيادة الجنرال «فون بوك» والتي تضم الجيش الثامن عشر والجيش السادس، اللذين ضمما ٣٠ فرقة مشاة وفرقة خيالة بالإضافة إلى ٣ فرق مدرعة، وقوات من المظليين، بهجوم كاسح عبر هولندا وبلجيكا. كان على «بوك» أن يجابه الجيش الهولندي، والجيش البلجيكي، والحملة البريطانية التي أنزلت لموازة الحلفاء (بلغ مجموعها ١٣ فرقة تسع منها على المسرح الهولندي البلجيكي)، بينما تقدمت مجموعة جيوش (أ) بقيادة الجنرال «فون رونشتيدت»، وكانت تضم الجيش الرابع والجيش الثاني عشر والجيش السادس عشر ومجموعة «كليست» المدرعة وتتألف من ٤٦ فرقة، بينها ٧ فرق مدرعة، و ٢٧ فرقة في الاحتياط العام باتجاه الحدود البلجيكية عبر (الأردن) لكي تجابه جيشين فرنسيين يتألفان من ١٢ فرقة مشاة

وأربع فرق خيالة. أما في الجنوب وعلى الحدود الألمانية - الفرنسية بين الموزل وسويسرا فقد حشدت مجموعة جيوش (ج) بقيادة «فون ليب» وتتألف من جيشين - الاول والسابع، لديهما ١٨ فرقة مشاة، بمهمة تهديد خط «ماجينو» وتضليل القيادة الفرنسية حول الجهد الرئيسي للهجوم، إذ أن الفرنسيين كانوا قد حشدوا على هذا الخط ٤١ فرقة، مقابل ٣٩ كانت منتشرة بين الخط المذكور والشاطيء.

كان الجيش الهولندي يتألف من عشر فرق، بالإضافة الى ما مجموعه عشر فرق أخرى في تنظيمات عضوية أدنى. وعلى الرغم من أن المهاجمين كانوا لا يزيدون عدداً عن سبع فرق وبعض القوات المظلية، فإن الجيش الهولندي لم يستطع الثبات أمام الزخم الزاحف، بالنظر الى اتساع الجبهة التي كان عليه مسكها، والى تدني نوعية تسليحه.

اعتمد «فون بوك» على المظليين فأنزل أربع كتائب مع فوج منقول جواً للاستيلاء على الجسور في «موردريك» و «درودرشت» و «روتردام» على الطريق الرئيسي الممتد من الجنوب الى قلب هولندا، بينما أنزلت كتيبة مظليين أخرى مع فوجين منقولين جواً للاستيلاء على المطارات حول «هاغ».

استولى المظليون على المطار قرب «روتردام» وعلى الجسرين الواسعين في «موردريك» واستطاعوا تأمين وصول النجذات البرية اليهم، وبالتالي تأمين الاتصال مع القوات البرية النازية. ان هذه العملية الواسعة النطاق التي ضمت بدفعة واحدة قلب هولندا، ألقت الذعر وثبتت نهائياً في هولندا الغربية، الفيلق الاول الهولندي والفرقة الخفيفة التي سارعت لنجدته.

أثناء ذلك تقدم الجيش الثامن عشر الألماني في سرعة فاجتاز في نهاية النهار «آرنهيم» كما اجتاز «الموز» في الجنوب. ولقد كانت المفاجأة تامة، وبتاريخ ١٣ أيار (مايو) ثبتت القوات الهولندية في كل مكان في موقع «غريب»، وفي ليلة ١٣ - ١٤ تراجع الجيش الهولندي على الجبهة الغربية من هولندا، ولم يستطع مقاومة المد النازي العسكري.

ولما وجه الألمان اندازهم بتدمير مدينتي «روتردام» و «لاهاي» تدميراً كلياً، استسلمت جبهة هولندا الغربية بكاملها (١٥ أيار - مايو) وألقى الجيش الهولندي السلاح، ما عدا بعض الوحدات الزيلندية التي تابعت القتال حتى ١٧ منه، ووحدات البحرية التي التجأت الى بريطانيا العظمى لتتابع القتال الى جانب البحرية الملكية.

وفي بلجيكا اندفع الجيش السادس الألماني، بأربعة فيالق جبهة للاستيلاء على جسور قناة «البرت»، فاستطاع تأمين ذلك بسهولة مدهشة، بانزال مجموعة لا يزيد حجمها عن الفصيلة، خلف كل جسر من الجسور، بالطائرات الشراعية، وانزال مفرزة أخرى بالاسلوب نفسه، في حصن «اين ايميل» الشهير، استطاعت الفتك بالسدنة، وتدمير المدافع، او بعضاً منها، وشل عمل معظم اسلحة الحصن. ان هذا التمهيد الذي ساندته العمليات الألمانية الجوية مساندة جبارة، فتح محور التقدم امام الجيش الألماني السادس، فاجتاز قناة «البرت»، بينما أعطى الملك «ليوبولد الثالث» البلجيكي أمره الى قواته بالانكفاء الى خط «ديل» بين «نامور» و «انفرس».

ولما كان الجيش الفرنسي الاول بقيادة الجنرال «بلانشار» يمسك القطاع

بين نامور» و «وافر» والبريطانيون يتمركزون في القطاع بين «وافر» و «لوفان»، فقد انحصر البلجيكيون بمسك القطاع بين «لوفان» و «انفرس».

أما على خط «ديل» فقد أظهر المدافعون (الجهتان الفرنسية والبلجيكية، اذ لم يحصل أي ضغط الماني على الجبهة البريطانية) عناداً شديداً، ولم يتمكنوا الألمان من خرق هذا الخط خلال أيام ١٢ و ١٣ و ١٤ أيار (مايو). وفي الوقت الذي كان يأمل فيه البلجيكيون بوقف الزحف الألماني أصدر «غاملان» أوامره الى القوات الفرنسية على خط «ديل» بالانسحاب (١٥ أيار) اذ استطاع «فون رونشتدت» الاندفاع عبر «سيدان» والتوجه إلى الأراضي الفرنسية. وضمت مجموعت «فون رونشتدت» من اليمين الى اليسار: الجيش الرابع «فون كلوغ»، والجيش الثاني عشر «ليست»، والجيش السادس عشر والجيش الثاني احتياط، وعززت هذه المجموعة بمجموعتين مدرعتين، واحدة كبيرة بقيادة «فون كليست» وأخرى أقل حجماً بقيادة «هوث».

انطلق هجوم «فون رونشتدت» من الجنوب، وقاد الدفع الرئيسي الأمامي الجنرال «غودريان»، فاجتاز الحدود اللوكسمبورغية واندفع عبر «الأردن» وسط دهشة الفرنسيين والبلجيكيين، الذين كانوا يعتبرون هذه المنطقة منيعة طبيعياً وغير صالحة للعمليات العسكرية الواسعة، خصوصاً لعمل المدرعات. وعلى هذا الأساس لم يجابه الألمان في «الأردن» سوى قطعات خيالة فرنسية قديمة التنظيم والتسليح وقطعات مشاة بلجيكية، بحيث لم يكن هناك أي احتمال لوقف المدرعات الألمانية الزاحفة.

وفي مساء ١٢ أيار (مايو) وصل الاندفاع الألماني الى نهر «الموز»، وكاد يقطع الجيشين الفرنسيين شرقي «سيدان» (الجيش الثاني الفرنسي بقيادة «هنر

يجر» والجيش الفرنسي التاسع بقيادة «كوراب». وفي ١٣ منه استطاع «غودريان» اجتياز نهر «الموز» عند نقطتين قرب «سيدان»، واستطاع الفيلق المدرع العائد للجنرال «ريهاردت» اجتيازه أيضاً، وذلك بفضل اسناد جوي قامت به حوالي ألف طائرة. وبعد يومين وصلت القوات العابرة الى أرض مفتوحة اندفع فيها «غودريان» متجهاً نحو الشاطئ الفرنسي. وتتابع عبور نهر «الموز» عند «نامور» بقيادة الجنرال «رومل»، واندفعت الجيوش الالمانية في الثغرة المفتوحة امامها خلف مواقع جيوش الحلفاء المتمركزة في بلجيكا.

ارسلت القيادة الفرنسية الجنرال «جيرو» ليتسلم قيادة جيش «كوراب» مع تعزيزات قوية، وعندما أراد القائد صد الزحف الالمانى تبين له أن هؤلاء قد تجاوزوه فانسحب الى خط «الواز» بغية إيقاف هجومهم على هذا النهر، الا انه في هذه المرة أيضاً وصل متأخراً، وكان الهجوم الالمانى قد تجاوزه مرة ثانية (١٥ أيار) عندها أعلن «غاملان» الى الحكومة الفرنسية أنه لن يستطيع إيقاف الالمان، وأنه لن يضمن حماية «باريس» إلا لمدة يوم واحد، فقرر «رينو» رئيس الوزراء انسحاب الحكومة الى مدينة «تور». ولكن قبل التنفيذ جاءته بعض الاخبار المطمئنة، فألغى فكرة انتقال الحكومة، كما عزل «غاملان»، واستدعى الجنرال «ويغان» ليسلمه القيادة العامة فلم يصل الا في ١٩ أيار (مايو)، مما أدى الى اهراق أيام كانت الجيوش الفرنسية فيها بدون قيادة عامة تقريباً.

وتسابق الالمان نحو الشواطئ الفرنسية، ووصلت طلائع «غودريان» الى «اميان» في ١٩ أيار (مايو) قاطعة بذلك ومطوقة جميع قوات الحلفاء المقاتلة في بلجيكا، وبوصولها الى «آبفيل» قطعت كل اتصال بين الشمال والجنوب، ثم اندفعت شمالاً نحو «كاليه» و «دنكرك» (٢٢ أيار - مايو).

وعلى جبهة «ذيل»، اضطر البريطانيون والبلجيكيون، بعد انسحاب القوات الفرنسية، الى الانكفاء بدورهم حتى خط «إيسكوت»، إلا أن بوادر الفشل في معركة بلجيكا كانت ظاهرة، ومنذ ١٩ أيار (مايو) اخذ القائد البريطاني «غورت» يفكر بركوب البحر مع قواته عائداً الى الجزيرة البريطانية، اذ لم يجد موقراً آخر، فأمرته السلطة السياسية البريطانية بمحاولة خرق الحصار، ولكنه لم يفلح في ذلك. وهكذا حصرت قوات الحلفاء بين فكي الكماشة، شمالاً من قبل قوات الجيش السادس الالماني، وجنوباً من قبل قوات «فون رونشتدت» وطلعتها «غودريان». وعندما خرق الالمان الخط البلجيكي الجديد على «ايسكوت» اضطر البلجيكيون الى طلب الهدنة (٢٨ أيار) والاستسلام.

وبقيت عمليات الانسحاب من «دنكرك» على قدم وساق من ٢٦ أيار (مايو) حتى ٣ حزيران (يونيو)، واستطاع خلالها ٣٩.٢٣٣٠ جندياً بريطانياً ركوب البحر بطريق العودة، ومعهم ١١٢٥٤٦ جندياً فرنسياً، بعد أن ترك الجميع اعتدلتهم العسكرية وولوا الادبار. وقد ساعد على نجاح هذا الانكفاء ترتيبه من جهة، وانضباط عملياته من جهة أخرى، ورغبة القوهر من جهة ثالثة الذي كبح جماح «غودريان»، الذي وصل الى «دنكرك» في ٢٣ أيار (مايو)، من متابعة وتدمير القوات المنكفئة، على رغم المساندة الجوية الجبارة التي أمنها البريطانيون لعمليات الانكفاء.

كانت حصيلة المعارك، في الاسابيع الثلاثة من شهر أيار (مايو) استسلام وأسر حوالي مليون جندي من الحلفاء، مقابل ستين ألفاً من الالمان بين أسير وقتيل وجريح.

معركة فرنسا: بعد «دنكرك» أمر هتلر قواته المدرعة بالتوجه الى جبهة

«السوم» و «الايسن». وكان الفرنسيون الذين خسروا حتى تاريخه ثلاثين فرقة من قواتهم العسكرية قد جمعوا ٦ ٤ فرقة استقدموها من خط «ماجينو» الى هذه الجبهة، تاركين هناك ١٧ فرقة فقط. وبالإضافة الى قوى الجبهة الجديدة، لم يبق في الميدان من القوات البريطانية سوى فرقتين اثنتين. في هذا الوقت كان الالمان قد أعادوا تنظيم قواتهم فدفعوا بجيشين جديدين الى جبهة «الايسن» هما: الجيش الثاني والجيش التاسع، كما أولوا «غودريان» قيادة فيلقين مدرعين تاركين «كلينست» لقيادة فيلقين فقط.

انطلق الهجوم في الخامس من حزيران (يونيو) على القطاع الغربي بين «لاون» والبحر، ولم تكن المقاومات الفرنسية لتستطيع صد المتقدمين. وفي السابع منه اخترق «رومل» (الفيلق الخامس عشر) المقاومة الفرنسية وسار باتجاه مدينة «روان». وفي التاسع منه اجتاز نهر «السين». وكان الهجوم الغربي هذا تمهيداً للهجوم الكبير على خط «الايسن». لأن الالمان استهدفوا من هذه المناورة تجميد القوات الفرنسية في ذلك القطاع، وتضليل الفرنسيين، واجبارهم على اقتطاع قوات من خط المقاومة الرئيسي على نهر «الايسن» بغية مجابهة التهديد الجديد في الغرب. وفي الواقع فقد أضر الالمان هجومهم العام على خط المقاومة هذا حتى التاسع من حزيران (يونيو)، واستطاعوا بغير جهد كبير، اختراق الخطوط الفرنسية، والاندفاع جنوباً وجنوباً شرقاً لتطويق القوات الفرنسية المدافعة عن خط «ماجينو».

في العاشر من حزيران (يونيو) أعلنت إيطاليا الحرب الى جانب المانيا، وفي ١١ منه أعلن «ويغان» ان المعركة خاسرة، وانه لا بد من الصلح. فانتقلت الحكومة الفرنسية الى مدينة «بورديو». وفي ١٤ حزيران (يونيو) دخلت القوات

الامانية «باريس»، واستقالت حكومة «رينو»، وتألّفت حكومة برئاسة المارشال «بيتان» التي طلبت الصلح في ١٦ منه. وفي ٢٥ أعلنت الهدنة مع المانيا ثم أعلنت مع ايطاليا في اليوم التالي، وكانت شروط الصلح قد وقعت في نفس قاطرة «فوش» التي وقعت فيها المانيا وثيقة استسلامها في الحرب العالمية الاولى، وقد عرفت حكومة «بيتان» بحكومة «فيشي» لجعلها هذه المدينة عاصمة لها بعد ان قسمت فرنسا الى منطقتين: شمالية تحت الاحتلال الالماني وجنوبية (فيشي) جمهورية حرة.

كان أحد مساعدي «رينو» العسكريين الجنرال «ديغول» قد غادر فرنسا سراً الى بريطانيا. وفي ١٨ حزيران (يونيو) أذاع نداءه بمتابعة المقاومة من راديو لندن، كما أعلن بعد ذلك قيام حكومة فرنسا الحرة، نواة المقاومة الفرنسية التي انتقلت الى الجزائر بعد أن اجلى الحلفاء انصار «فيشي» عنها. بانهايار فرنسا، ظن هتلر بأن انكلترا ملقية السلاح لا محالة، ولما عرض الصلح اصطدم بتصميم رئيس وزرائها الجديد، «ونستون تشرشل» على مواصلة المقاومة ولو منفرداً ومنذ الثامن من آب (أغسطس) ١٩٤٠ افتتح قائد السلاح الجوي الالماني معركة بريطانيا الجوية، فقام سلاح الجو الالماني بقصفها، وظلت القاذفات تمطرها ناراً مستمرة غير مفرقة بين هدف عسكري أو مدني حتى كادت تهدم «لندن»، إلا أن البريطانيين أظهروا صبراً مدهشاً، وصموداً هائلاً تعدوهما بعد قليل الى مقاومة عنيدة، استطاعوا بها اسقاط نحو الف طائرة المانية، واسهموا في تأخير ثم الغاء فكرة هتلر بغزو جزيرتهم

ولقاء خسائر الحلفاء لم يكن ممكناً تعويضهم الا من قبل الولايات المتحدة

الاميركية بموجب قانون (الاعارة والتأجير) الذي عمل الرئيس الاميركي «روزفلت» على اقراره في الكونغرس. وقضى القانون بمديد المساعدة للدول التي يشكل أمنها مصلحة حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة الاميركية.

وهكذا سلمت الاسلحة والطائرات والسفن الحربية، واعتدة حرية مختلفة الى كل من بريطانيا، واليونان وفيما بعد الى روسيا والصين.

وفي البلقان هاجم «موسوليني» اليونان، فتدخل الاسطول البريطاني ضد ايطاليا، واستطاع مع الجيوش اليونانية صد «الدوتشي»، ثم دفعه الى التقهقر، فاستصرخ للمساندة حليفه هتلر الذي استجاب للنداء، واقتحم النازيون يوغوسلافيا واليونان في آن معاً (٦ نيسان ١٩٤١).

الانزال الجوي في جزيرة كريت: باستيلاء الالمان على اليونان، هرب الملك جورج الثاني وحكومته الى جزيرة «كريت» بغية إقامة سلطة في الجزيرة تمهيداً للعودة الى اليونان، لكن الالمان بعد شهر من ذلك، أي في ٢٠ أيار (مايو) ١٩٤١ انزلوا فرقة مظليين بقيادة الجنرال «شتودنت» مساندة بالاسطول الجوي الالماني، فاستولوا على الجزيرة وعلى مطاراتها، وكان لدى البريطانيين في «كريت» ٢٥ ألف جندي، إلا أنهم يفتقرون الى مختلف أنواع الاسلحة الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات، ولقد استطاعوا الصمود مدة أحد عشر يوماً حتى اضطروا الى اخلاء الجزيرة، وانسحب منهم أربعة عشر ألف رجل، اما الملك وأعضاء حكومته فانسحبوا الى مصر.

ان احتلال «كريت» وكافة جزر بحر «ايجه» ووصول قوات جوية الى ايطاليا وصقلية واليونان، جعلاً موقف بريطانيا في البحر الابيض المتوسط حرجاً

جداً: فالبواخر القادمة الى الشرق اصبح عليها أن تقطع طريق رأس الرجاء الصالح، أي أن تحتاز مسافة تعادل أربعة أضعاف المسافة العادية في البحر الابيض المتوسط، في حين فتح البحر أمام الاساطيل الالمانية والايطالية. أما جزيرة «مالطة» وهي أصغر من «كريت» وتفوقها من حيث الاهمية الاستراتيجية، فلقد ظلت منعزلة مدة ثلاث سنوات تقريباً، وتعرضت الى ألفي عملية قصف. إلا أنها جابهت المهاجمين بمقاومة مدهشة، حتى أمكن اعتبارها مقبرة الطيران الايطالي - الالمني في البحر الابيض المتوسط (أسقطت فوق هذه الجزيرة خلال شهر تموز (يوليو) ١٩٤٢، ٢٠٠ طائرة) كما أن تموين تلك الجزيرة، التي بقي يحكمها اللورد «غوريت» حتى نهاية الحرب، كان يشكل إحدى أهم المسائل الشائكة التي واجهت البحرية الملكية البريطانية. فلقد كانت قافلة التموين التي يقودها في كل مرة الاميرال «فيان» تفقد أحياناً نصف، أو ثلثي بواخرها أثناء انتقالها، وفي غضون إحدى عمليات التموين تمكنت باخرة واحدة من الوصول الى الجزيرة، ومع هذا فقد بقي تموين «مالطة» يجري بصورة دائمة.

ثورة العراق واحتلال سوريا ولبنان وايران :

كان في نية الالمان، بعد أن اصبحوا أسياد اليونان وجزر «الدوديكانيز» التقدم الى ايران بغية الاستيلاء على مناطق البترول، وقطع خطوط المواصلات بين بريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي. وفي ٣ أيار (مايو) ١٩٤١ استولى رئيس الوزراء العراقي «رشيد عالي الكيلاني» على السلطة في العراق، وسيطر على المطارات حيث هبطت ثلاثة أجنحة من سلاح الجو الالمني.

ودهش البريطانيون لهذا الحدث، وسارعوا الى احتلال بغداد في ٣٠ منه،

وأصبح احتلال سوريا ولبنان ضرورة ملحة. وعلى الرغم من افتقار البريطانيين الى الوسائل في تلك الفترة، فقد توصلوا الى تجميع ٢٥ ألف رجل من البريطانيين والاوزتراليين والفرنسيين الاحرار، تحت قيادة «ويلسون»، وقذفوا بهم من فلسطين على سوريا في ٨ حزيران (يونيو). وبعد قتال استمر شهراً استسلمت قوات حكومة «فيشي»، واصبحت سوريا ولبنان تحت سلطة البريطانيين، فقطع بذلك طريق توغل الالمان باتجاه آبار البترول في العراق، ومنع الالتفاف على قناة السويس من الجهة الشمالية الشرقية.

بقيت مسألة احتلال ايران ضرورية لسببين:

اولهما تحقيق الاتصال مع الاتحاد السوفياتي، حيث أن تموينه لا يمكن أن يجري بصورة آمنة عن طريق المرافئ الشمالية. وثانيهما منع أية محاولة يقوم بها الالمان باتجاه آبار بترول ايران عن طريق تركيا.

في آب (أغسطس) ١٩٤١ طلب السوفيات الى حكومة الشاه، طرد الجالية الالمانية من الاراضي الايرانية، فرفض الشاه الطلب، مما أدى الى اجتياح بلاده من قبل قوات بريطانية من الجنوب التقتها قوات سوفياتية من الشمال. وفي غضون ثلاثة أيام كانت ايران في قبضة الحلفاء. فانفتح بذلك أكبر طريق تمويني عرفته الحرب. وكان هذا الطريق، والامدادات الاميركية إلى الاتحاد السوفياتي عبر ايران، سبباً من اسباب تدعيم القوة العسكرية السوفياتية في وجه النازيين على الجبهة الشرقية.

الجبهة الشرقية :

لم يعمر الاتفاق طويلاً بين هتلر وستالين.

وكان مثار الخلاف قضية النفوذ في شرقي اوروبا، والبلقان. فلقد احتل النازيون رومانيا وبلغاريا واخر ويوغوسلافيا واليونان. ولم يعد بإمكان ستالين أن يتجاهل هذا الوجود النازي يهدده في اقرب المناطق اليه، كما لم يعد بإمكان هتلر السكوت على المد الشيوعي المتعاظم بسبب مآسي الحرب. ومع اطلالة صيف ١٩٤١ بدأ تنفيذ خطة غزو الاتحاد السوفياتي.

انطلقت الجيوش النازية على ثلاث جبهات:

في كل جهة مجموعة جيوش بأمرة القادة أنفسهم الذين قاتلوا على الجبهة الغربية في العام ١٩٤٠.

الى اليمين كان الفيلد مارشال «فون رونشتيدت» جنوبي بولونيا، وفي الوسط الفيلد مارشال «فون بوك»، ونحو اليسار عبر بلاد البلطيق كان الفيلد مارشال «فون ليب». مع الجهد الرئيسي، في الوسط مجموعة «فون بوك» التي أعطيت تعزيزاً بالمدرعات قوامه مجموعتان احدهما بقيادة الجنرال «غودريان» والثانية بقيادة الجنرال «هوث» الذين اندفعا فوصلا الى «منسك» في ٢٧ حزيران (يونيو) وأسرا حوالي ٣٠٠ ألف جندي سوفياتي. وفي ١٧ تموز (يوليو)، وصلا الى «سمولنسك»، وأسرا حوالي ٢٠٠ ألف وتتابع التقدم النازي عبر الاتحاد السوفياتي، ووقعت معارك شديدة استطاع النازيون في معظمها تطويق الجيوش الروسية. ووصل الدفع النازي في الشمال حتى مدينة «لينينغراد» وضربوا حولها حصاراً استمر ستة عشر شهراً دون أن يتمكنوا من احتلالها. وفي الوسط، وصلت طلائعهم حتى خمسين كيلومتراً من موسكو.

وبدا لـ «فون بوك»، وقد أصبح على هذه المسافة من «موسكو»، ان العاصمة السوفياتية أصبحت لقمة سائغة، وبتاريخ ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) شكل قواته لمهاجمتها كما يلي:

- يقوم الجيش المدرع الثاني (فيلقان مدرعان وفيلقان مشاة) بالمهاجمة على «اورل» - «تولا» شرقي موسكو على ميمنة الجيش الثاني الذي يقوم بالحماية باتجاه الجنوب - الشرق.

- الى اليسار يقوم الجيشان المدرعان الرابع والثالث (قوام كل منهما فيلقان مدرعان) من منطقة «روزا» - «كالينين» بالالتفاف على موسكو بطريق «ايسترا» - «دميتروف». وعهد الى الجيش التاسع بحماية هذا الحشد المدرع في الشمال.

- أُنيطت بالجيش الرابع من سبع فيالق مهمة تثبت العدو جبهةً بين طرقي الكماشة.

بتاريخ ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) شرع الالمان بالهجوم. وكانت النتائج الاولى مشجعة، اذ أحرق الخطر في الشمال بـ «دمتروف» كما اكتنف موسكو.

الا ان التقدم تعرقل بسبب توغل الالمان في المنطقة الواقعة في «الفولغا» و «موسكو»، والتي هي عبارة عن مستنقعات وغابات خالية من الطرقات، مما أسقط في يد الالمان الذين كانت خرائطهم تشير الى وجود خمس طرقات، خاصة عندما تبينوا أن الخرائط مزورة، وان القيادة السوفياتية وزعتها قبل الحرب

لتضليل الالمان اذا ما هاجموا الاتحاد السوفياتي. وهكذا وقعت فرق «البانزر» في شرك السوفيات. أما على المحور الأيمن فقد تجاوز الالمان «تولا» على مسافة بعيدة من الشرق، وقطع خط سكة الحديد بين «موسكو» و «تولا». غير أن السوفيات توصلوا الى الاحتفاظ بممر عرضه خمسة كيلومترات لتموين حامية «تولا».

وحاول الالمان تغيير اتجاه الهجوم، فقرروا في ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) مهاجمة موسكو مباشرة من جهتي «نارو» و «نومينسك» بفرق من الجيش الرابع معززة بفيلق مدرع، فاجتاز المهاجمون نهر «نارا». إلا أن هذه المحاولة اصطدمت باستمالة السوفيات في الدفاع، والصقيع الشديد الذي هبط حتى ٤٠ درجة تحت الصفر.

بتاريخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) شرع الروس بالهجوم المعاكس بقيادة «جوكوف» الذي قاد ثمانية جيوش لهذه العملية على جبهة ٤٥٠ كم بين «كالينين» و «افرينوف»، فدحر المهاجمين واجلاهم عن موسكو

في الجنوب، سقطت مدينة «كييف» بيد «فون رونشتدت»، كما سقطت «أوديسا» و «خاركوف» وشبه جزيرة القرم، و «روستوف» (٢٢ تشرين الثاني ١٩٤١) بحيث تم لهتلر السيطرة على «اوكرانيا» ومصانعها وقمحها.

وجدد الالمان هجومهم في آخر ربيع ١٩٤٢، فاصطدموا بمقاومة عنيفة من السوفيات بقيادة الجنرال «تيموشينكو»، فركزوا هجومهم على القطاع الجنوبي واحتلوا مرفأ «سيباستبول» ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا الى

«ستالينغراد» سيسمح للامان في حالة وقوعه بالتمركز بثبات على نهر «الفولغا»، وبقطع مواصلات القسم الاوسط من الاتحاد السوفياتي مع القوقاز.

وبدأت المعركة بانطلاق الهجوم الالمانى اعتباراً من المنعطف الكبير لنهر «الدون» في منتصف شهر تموز (يوليو) ١٩٤٢. وألقي عبء الجهد الرئيسي الالمانى للاستيلاء على ستالينغراد على عاتق مجموعة «فون باولس» المؤلفة من الجيش السادس والجيش المدرع الرابع (٢٩ فرقة). وكانت هذه المجموعة منتشرة على جبهة طولها ٨٠ كيلومتراً، وكانت مجنبتها اليمنى تستند إلى الجيش الرابع الروماني، ومجنبتها اليسرى تستند الى الجيش الثالث الروماني، والجيش الثامن الايطالي. وهكذا كانت مجنبتا (فون باولس) المؤلفتين من قوات رومانية وايطالية نقطة الضعف في ترتيب الهجوم. وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) كان «فون باولس» قد توصل الى «الفولغا» شمالي «ستالينغراد»، وكاد أن يسيطر على المدينة بأسرها، لولا أن السوفيات بقوا في مراكزهم الدفاعية، مستندين الى النهر، عند مصانع الجارات، يدافعون حتى النهاية. وفشلت جميع المحاولات للاستيلاء على ستالينغراد، وكان السوفيات يدافعون بعناد هائل، عاملين في الوقت نفسه على ايجاد ظروف ملائمة لعمليات هجومية مستقبلية، غايتها تدمير مجموعات العدو، المتقدم باتجاه الشرق. وبهذا المفهوم للقتال الدفاعي اتخذت القيادة السوفياتية العليا تدابيرها لمسك وتوسيع رؤوس الجسور على الضفة اليمنى لنهر «الدون» في قطاع «سيرافيموفيتش». ولم تكن القيادة الالمانية تعتقد بإمكانية قيام السوفيات بعمل هجومي عام. ومع هذا فمئذ شهر أيلول (سبتمبر) وفي حى المعركة الدفاعية، بدأ التحضير للعمل الهجومي، وكانت الخطة القيام بهجومين يبعد الواحد عن الآخر مائتي كيلومتر، ويؤديان في النهاية الى تطويق

المجموعة الاساسية الالمانية التي تحاصر ستالينغراد. وكان على الهجوم الأول أن ينطلق من مجرى «الدون» الاوسط، على أن ينطلق الهجوم الثاني من منطقة البحيرات الجنوبي «ستالينغراد».

وكان الهجومان بقيادة الجنرال «جوكوف»، وكان عليهما ان يلتقيا في «كالاتش».

وفي ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت مجموعة جيوش «فاتوتين» والجانب الالمن لمجموعة جيوش «روكوسوفسكي» بالهجوم الشمالي، أما مجموعة جيوش «بيرمنكو» فقد انطلقت في هجومها من الجنوب في اليوم التالي. وكان الهجوم السوفيياتي بشطريه الشمالي والجنوبي، من العنف بحيث زعزع في نهاية اليوم الاول لانطلاقه الخطوط الدفاعية الالمانية.

وبتاريخ ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) انتزعت «كالاتش» من الشمال، ودخلتها في اليوم التالي مجموعة جيوش «بيرمنكو» بعد ان دمر قسم كبير من الجيشين الروماني الثالث والرابع، وفي غضون خمسة ايام فقط، أنجز الروس عملية تطويق العدو، وقاموا حتى نهاية الشهر بعمليات تضيق الخناق، حتى باتت قوات الالمان الاساسية، والتي أصبحت عبارة عن ٢٢ فرقة (٣٣٠ ألف رجل)، محصورة في بقعة مساحتها ١٥٠٠ كم^٢، وعرضة للتدمير الكلي.

وباءت جميع محاولات الالمان لفك الحصار بالفشل واستسلم ما بقي من قوات «فون باولس» في ٣١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣.

الحرب في الشرق الأقصى :

توتر الموقف في الشرق الأقصى بين الاميركيين واليابانيين بسبب قيام الولايات المتحدة بتقديم مساعدات عسكرية متزايدة لقوات تشانغ كاي - تشيك المشتبكة مع اليابانيين منذ العام ١٩٣٧ . وقد بلغ التوتر ذروته في تموز (يوليو) ١٩٤١ . فأرسلت اليابان وفداً مفاوضاً الى الولايات المتحدة الاميركية لمنع الاحتكاك الذي قد يقع بين البلدين، محاولة انظار الاميركيين عما تعده لهم من مفاجأة. وبينما كان الوفد الياباني المفاوض في واشنطن، قامت الطائرات اليابانية بغارة مفاجئة على الاسطول الاميركي المربط في «بير هاربور» صباح الاحد في ٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤١ فدمرت معظم ذلك الاسطول وما كادت الانباء تصل الى واشنطن حتى اجتمع الكونغرس واعلن الحرب على اليابان، وبعد ثلاثة أيام أعلنت المانيا وايطاليا الحرب على الولايات المتحدة الاميركية فدخل العالم كله أتون الحرب.

وبعد مرور ثلاثة أيام على كارثة «بيرل هاربور»، وعلى مسافة ثمانية آلاف كيلومتر، انطلقت الدارعتان البريطانيتان «ريبولس» ٣٢٠٠٠ طن، و«برنس أوف ويلز» ٣٠٠٠٠ طن، اللتان كانتا متمركزتين في سنغافورة، واتجهتا لتدمير أسطول ياباني للنقل ظهر في خليج سيام. ونظراً لخروجهما دون مساندة جوية، فقد هوجمتا في عرض البحر عند «كوان تان» من قبل ما يقارب المئة طائرة يابانية، وأدى ذلك الى اغراقهما مع قائدهما الاميرال «توم فيليب». وهكذا لم يبق للحلفاء أي مركب حربي كبير يقارعون به اليابانيين. وزعزعت الضربة المزدوجة الفجائية ميزان القوى في المحيط الهادى، وسيطر اليابانيون عليه سيطرة شبه كاملة.

دخل اليابانيون من الهند الصينية الى سيام بتاريخ ٨ كانون الاول (ديسمبر)، والى «بانكوك» في ٩ منه، فاجتاحوا شبه جزيرة «مملكة»، وهاجموا بطريق البحر، موقع سنغافورة الحصين الذي سقط بأيديهم في ١٥ شباط (فبراير) ١٩٤٢، وفتح أمامهم باب المحيط الهندي

بتاريخ ١٠ كانون الاول (ديسمبر) سقطت «غوام»، وهي القاعدة الاميركية في «ماريان» ودمرت كافة الطائرات الاميركية في الفلبين من قبل اسراب طائرات أقلعت من «فورموزا»، كما شرع اليابانيون بعملية انزال شمالي «لوسون»، وانزلوا وحدات أخرى في «ساراولك» شمالي «بورنيو».

وانتهت مقاومة الاميركيين في «وايك»، والبريطانيين في «هونغ كونغ»، بتاريخ ٢٤ و ٢٥ منه.

ولم يكن باستطاعة الجنرال «ماك آرثر» المقاومة، فراجع الى شبه جزيرة «باتان» لسد خليج ومرفأ «مايلا». ولكن هنا ايضاً، لم تستطع شبه الجزيرة المقاومة، لأبعد من الثامن من نيسان (ابريل) ١٩٤٣، حيث عزل ١٥٠٠ من قوات مشاة البحرية في جزيرة «كوريجيدور»، ونفذت المؤن، فألقى الجنرال «ونزايت» السلاح مستسلماً مع مئة ألف من الاميركيين والفلبينيين. وعلى الرغم من الحشود الضخمة التي قام بها البريطانيون والاييرلنديون، سقطت «جاوا» ايضاً. وكان قد سبقها سقوط «سومطرة»، واستولى اليابانيون على «رابول» التي أصبحت القاعدة اليابانية الكبرى في جنوبي المحيط الهادىء. أما في «بورما» وكان الدفاع عنها منوطاً بفرقتين بريطانيتين وبضع وحدات صينية، فقد سقطت «رانغون» في ٨ آذار (مارس) وبسقوطها انقطع كل اتصال بري

مع الصين، وفتحت امام اليابانيين امكانات المناورة على الصين من الجنوب، إلا أن وصول النجدة الاميركية والبريطانية والصينية، والطول المتزايد لخطوط المواصلات اليابانية وطبيعة الارض والمناخ، وتعدد جبهات القتال، كل هذه العوامل أدت الى وقف اليابانيين عند الحدود الهندية.

ان فتوحات اليابانيين الخاطفة لم تؤد الى بعيد، فقد اخطأت طوكيو بضربها الاسطول الاميركي في «بيرل هاربور»، لأن تلك الضربة عجلت في دفع اميركا الى دخول الحرب، وأخطأت طوكيو حين أصبحت «سنغافورة» و «رانغون» وطريق «بورما» تحت سيطرتها في عدم الاصغاء لهتلر الذي الخ في أن يكون الجهد الرئيسي الياباني باتجاه الهند، ليتطابق مع الكماشة المزدوجة التي ستحاول جيوش المحور القيام بها في شهر أيار (مايو) ١٩٤٢ باتجاه قناة السويس والقوقاز. غير أن اليابانيين كانوا يخوضون حربهم دون الاكتراث بالمصالح الهتلمرية، ففضلوا التوسع دون إقامة أي اعتبار لحس القياس، ولكن هذه المرة باتجاه «ميدواي» و «استراليا» حيث سيسجلون بواذر اخفاقهم.

بتاريخ ١٩٤٢/٢/٢٣ تلقى مارك آرثر امراً قطعياً من «روزفلت» بتسليم الدفاع عن «باتان» الى الجنرال «وينرايت» والحضور الى «استراليا» لاستلام القيادة العليا لقوات الحلفاء في المحيط الهادىء.

وفي ١٩ آذار (مارس) انطلقت من على حاملة الطائرات «هورنت» ١٦ طائرة وألقت قنابلها على طوكيو، وبعد أيام بدأت النجدة الاميركية تصل الى «اوستراليا»، كما اعيد اليها. الاف الجنود الذين كانوا يحاربون الى جانب البريطانيين في الجبهات الاخرى خارج «استراليا»، خصوصاً في الشرق الاوسط.

جرت معركة بحر «الكورال» بتاريخ ٦ و ٧ و ٨ ايار (مايو) عندما اقلع عدد من الطائرات الاميركية من حاملتي الطائرات «يورك تاون» و «لكسنغتون»، وقام بمهاجمة اسطول ياباني هام كان يطوق غينيا الجديدة من الشرق، ويحيط بعدد من سفن النقل لاحتلال مرفأ «مورسي» باعتبار ان الاستيلاء على هذا المرفأ يشكل خطراً مباشراً على اوستراليا. وانتهت المعركة بانسحاب الاسطول الياباني وغرق الحاملة «لكسنغتون» وانقاذ اوستراليا.

وجه اليابان، بعد معركة «كورال» جهدهم الرئيسي باتجاه «ميداوي»، مكتفين بابقاء قوة بحرية ثانية مؤقتاً في جنوبي المحيط الهادىء. ولو توصل اليابانيون الى احتلال هذه الجزيرة لاستطاعوا الاستيلاء على جزر «هاواي» وبالتالي السيطرة الكاملة على المحيط الهادىء الاوسط.

كان لا بد لليابانيين من تسديد ضربة شديدة الى جزيرة «ميداوي» نظراً لأهميتها الاستراتيجية فشكّلوا بأمرة «ياماموتو» خمس مجموعات متتابعة:

- المجموعة المتقدمة، وقوامها ١٦ غواصة.

- مجموعة الصدمة، وقوامها ٤ حاملات طائرات (٢٧٢ طائرة، وبارجة، وطرادان ثقيلان، و ١٢ مدمرة، وخمس ناقلات نفط).

- مجموعة الاحتلال تتألف من قوة تغطية، وقوة مساندة مباشرة، مجموعها دارعتان و ٨ طرادات وحاملة طائرات خفيفة، وعشر مدمرات، ومن قوة منقولة (خمس آلاف جندي) و طراداً، وعشر مدمرات، وناقلة نفط.

- مجموعة القيادة، وتتألف من ٣ بوارج، وحاملة طائرات خفيفة، و ١٣ مدمرة، و ٤ ناقلات نفط، وناقلتي طائرات برمائية.

- مجموعة مشاغلة وتتألف من ٤ دارعات، وطرادين خفيفين، و ٤ ناقلات
نقط، وعدد من مراكب الانزال.

على صعيد المعسكر الآخر، سمي الاميرال «شيستر نيمتز» قائداً أعلى
للقوات البحرية في المحيط الهادىء. وكانت معظم سفن الاسطول الاميركي في
التصليح او قيد الصنع، ولكنه استطاع بعد قليل أن يدخل تاريخ الحروب
البحرية من بابها الواسع، ويلمع اسمه كأحد قادة الحرب العالمية الثانية البارزين.

لما كان «شيستر» غير قادر على معادلة خصمه، فقد ترك اسطولاً صغيراً
للدفاع عن «اوستراليا» وحشد خفية اسطولاً مؤلفاً من ٣ حاملات طائرات
(٢٣٣ طائرة) و ٧ طرادات ثقيلة، وطراد خفيف، و ١٧ مدمرة، و ١٩
غواصة، في المحيط الهادىء الاوسط، كما عزز الدفاع الجوي في «ميدواي» برفع
عدد الطائرات الى ١١٩ طائرة.

ودارت المعارك عنيفة في الرابع من حزيران (يونيو)، واستمرت حتى
السادس منه، اضطر معها الاسطول الياباني الى الانسحاب بعد ان دمرت منه
أربع حاملات طائرات، وعدد كبير من الطائرات، كما دمرت كافة منشآت
«ميدواي» ولم يبق سوى المطار والمدارج.

وبانتصار الاميركيين في هذه المعارك، أعيد التوازن البحري الى المحيط
الهادىء، بعد أن أمنت الطائرات والغواصات الحليفة في اغراق عدد من سفن
النقل اليابانية في المحيط الهادىء، معرقة بذلك عمليات التزويد الضخمة على
خطوط مواصلات يابانية أصبح طولها يتعارض مع نسق الانتاج الصناعي الحربي
الياباني.

جبهة شمالي افريقيا :

كان شمال افريقيا طريق التقدم الى قناة السويس. ولقد دارت على هذا المسرح عمليات طويلة امتدت من ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ حتى آذار (مارس) ١٩٤٣. وعرف المعسكران المتجابهان خلال هذه العمليات النجاح والفشل. ويمكن تقسيم العمليات إلى ٦ مراحل:

أ - هجوم غرازياني (ايلول ١٩٤٠) كان السير «ويفل» القائد الاعلى للقوات في مصر والسودان وفلسطين. وكانت قواته تتألف من عشرين ألفاً، وتضم الفرقة الهندية الرابعة، والفرقة المدرعة السابعة، واللواء «سلي»، والكتيبة السابعة من الفرقة المدرعة الملكية. أما سلاح الجو البريطاني فكان له في مصر ١٥٠ طائرة قديمة. وكان القائد الايطالي «غرازياني» يأمر بالمقابل ٢٥٠ ألفاً، ولديه ٢٥٠ طائرة، وقد استطاع مهاجمة مصر بمئة ألف جندي على محورين ساحلين، وتوغل في الاراضي المصرية مسافة ٩٠ كيلومتراً من «السلوم» الى «سيدي براني»، حيث توقف دفاعياً أمام دهشة البريطانيين وذهولهم.

ب - هجوم ويفل (كانون الاول ١٩٤٠)

نشر «غرازياني» ثلاثاً من أصل فرق المشاة الست، بين «صوفاني» و «المقتلة»، كما ركز فرقتين حوالي «سيدي براني»، أما الفرقة السادسة فتمركزت في «نقب حلفايا».

وبعد أن قارن «ويفل» بين غايته ووسائله المتواضعة قرر القيام بهجوم وقائي، بغية خلق البلبلة في تحضيرات العدو، وبالتالي كسب الوقت.

الا انه بعد احرازه النجاح غير المنتظر، حول عمله الى فكرة استراتيجية واسعة. وقد تمثلت خطته باجراء خرق في وسط ترتيب العدو، بالفرقة الهندية الرابعة، وكتيبة المدرعات الملكية، بينما يتقدم لواء من الفرقة المدرعة السابعة باتجاه البحر غرب «سيدي براني» لقطع الحشد الرئيسي للعدو، على حين يقوم اللواء «سلي» بمناورة تثبتية للعدو.

في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) انطلق الهجوم البريطاني، فأخذ يجتاز القوى الايطالية سائراً من نصر الى نصر. وفي اليوم التالي سقطت «سيدي براني»، والقت الفرقتان الاولى والثانية الليبيتان السلاح واستسلمنا. وبعد مضي تسعة أيام حررت الاراضي المصرية جميعها، ووقع اربعون ألف أسير بيد البريطانيين، بينما لم تتجاوز خسائرهم ١٣٣ قتيلًا وحوالي ٤٠٠ جريح

وكانت الفرصة سانحة امام «ويفل» لاستثمار النصر، فلم يتأخر عن التقاطها، واندفع ملاحقاً فلول الايطاليين، فسقطت «السلوم» في ١٦ كانون الاول (ديسمبر)، ثم في ١٨ منه سقطت «البردية» واستسلم فيها اربعون ألفاً، وفي ٢١ منه سقطت «طبرق» مع ثلاثين ألف أسير. بالاضافة الى ذلك استطاع البريطانيون انزال ضربة حاسمة بالايطاليين، خلال شهر شباط (فبراير) ١٩٤١، عندما تصدت قوة استطلاعية بريطانية لا يتجاوز عديدها الثلاثة آلاف الى رتل ايطالي كبير، يزيد عن العشرين ألفاً، ويضم ١٥٠ دبابة و ٢٥٠ سيارة مدرعة في معركة «بيضاء فم»، فاجبرته على القاء السلاح.

جـ - هجوم رومل (آذار ١٩٤١) اضطر «ويفل» الى التوقف قبالة

صحراء «سرت» بغية تأمين تموينه على خط المواصلات الطويل. إلا أنه جرت في هذا الوقت أحداث خطيرة في البلقان، اجبرت القيادة السياسية البريطانية على اقتطاع قوى من «ويفل» لمصلحة تلك الجبهة، في الوقت الذي قررت فيه القيادة السياسية للمحور تعزيز جبهة شمالي افريقيا. وأرسلت الجنرال «رومل» الذي نزل في طرابلس الغرب مع فرقة مدرعة وفرقة ميكانيكية، وبعض الفرق الايطالية، كما اعطيت لجبهة شمالي افريقيا افضلية عمل الاسطول الجوي الالماني الثاني المتمركز في صقلية وايطاليا الجنوبية. وكانت دبابات «ماتيلدا» و «كروسيدير» البريطانية أقل كفاءة من الدبابات «بسمارك» التي جاء بها رومل. وعندما هاجم رومل في ٢٤ آذار (مارس) دفع اربعة ألوية بريطانية الى الفرار، فأخليت «بنغازي» في ٤ نيسان (ابريل)، وحوصرت «طبرق» في ١٥ منه، بينما تقدمت الدبابات الالمانية تجس نبض موقع «السلوم». وبقيت هذه المنطقة مسرحاً لعمليات استمرت من ايار (مايو) حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤١ دون معركة حاسمة، فقد قاومت «طبرق» التي كانت تمون بطريق البحر مدة ثمانية اشهر وظلت تشكل خطراً دائماً على مجنبة رومل اليسرى، كما ان «السلوم» قاومت بضراوة وعناد اضطرتنا رومل بالاضافة الى ضرورات تموينية الى التوقف امامها.

د - هجوم اوكنلك (تشرين الثاني ١٩٤١)

في بداية تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١، كان الخصمان متجابهان، تفصل بينهما منطقة حرام واسعة.

ولقد حشد الحور سبع فرق مشاة وثلاث فرق مدرعة، مقابل خمس فرق مشاة وفرقتين مدرعتين بريطانيتين. وبدأ الهجوم البريطاني في ١٨ تشرين الثاني

(نوفمبر)، ففك الحصار عن «طبرق» في ٨ كانون الاول (ديسمبر) وخسر
الخور عشرة آلاف اسير الماني وست عشر الف اسير ايطالي، وخسر البريطانيون
ثمانية عشر ألفاً. ثم تتابع الضغط البريطاني دافعاً قوات الخور حتى اوصلها الى
«العجيلة» في أول العام ١٩٤٢، ودخل البريطانيون مرة ثانية الى «بنغازي» في
١٩٤٢/١٢/٢٥.

هـ - الهجوم الثاني لرومل (١٩٤٢) بتاريخ ٢١ كانون الثاني ١٩٤٢
(يناير) بدأ رومل عملياته الهجومية، على ثلاثة ارتال متتابعة. فاحتل بنغازي في
٢٨ منه، وتتابع تقدمه حتى اصطدم بالحلفاء في «الغزالة» و «بير حكيم». وفضل
الدفاع المستميت الذي فرضه الجنرال «اوكتل» على «رتشي» قائد
قواته، استطاع البريطانيون إيقاف تقدم رومل مدة اربعة اشهر. ثم انطلق الدفاع
الاماني الثاني، بتاريخ ٢٧ أيار (مايو) على موقع «بير حكيم»، حيث دارت
معارك هائلة أدت الى سقوطه في ١١ حزيران (يونيو). واندفع رومل الى طبرق
فسقطت بعد بضع ساعات. وكانت قد قاومت مدة ثمانية أشهر في العام
السابق، وسقط فيها ٢٥ ألف أسير.

بعد سقوط «طبرق» انكفأ البريطانيون الى العلمين على مسافة ٧٠
كيلومتراً من دلتا نهر النيل. وكانت خسارة هذا الموقع بالنسبة الى البريطانيين
تعني خسارة الاسكندرية والسويس. وأصبحت جبهة الدفاع على خط العلمين
قليلة الاتساع فهي محدودة شمالاً بالبحر الابيض المتوسط، وتستند في الجنوب،
على مسافة سبعين كيلومتراً على منخفض «القطارة»، حيث تشكل الرمال
الرخوة حاجزاً أشد صعوبة من البحر، وعلى ذلك فان الالتفاف وراء هذا
المنخفض من الجنوب، يقتضي اجتياز مئات الكيلومترات عبر الصحراء، ثم ان

خط مواصلات رومل اصبح طويلا وخطراً، فهو على مسافة ألف كيلومتر من بنغازي. أما البريطانيون فكانوا على ثمانين كيلومتراً من الاسكندرية.

في أول آب (اغسطس) ١٩٤٢ عين الجنرال «اوكنليك» قائداً أعلى في الهند، وتسلم الكسندر، قيادة مسرح العمليات في الشرق الاوسط، كما تسلم «مونتغمري» قيادة الجيش الثامن.

وبدأ رومل مهاجمة العلمين بين ٣٠ — ٣١ آب (اغسطس) بثلاث مجموعات: وصد البريطانيون مجموعة الشمال. واحتلت المجموعة الوسطى «تبة الرويسات»، لكنها ردت عند الفجر، بينما فتحت مجموعة الجنوب ثغرتين في حقل الالغام نفذت منها فرقة المشاة الميكانيكية التسعون، وتوصلت الى دير «المناصيب»، بينما توصلت الفرقتان المدرعتان الى «غابالا». وفي ٣ أيلول (سبتمبر) تعرضت قوات رومل الى هجوم معاكس كبير، استطاع دفعها عن العلمين، وانزل بها خسائر قدرت بمئة واربعين دبابة، كما حملت الجبهة كلها على الركود.

و - الهجوم البريطاني والمطاردة (تشرين الأول ١٩٤٢ — آذار ١٩٤٣).
لم يحاول البريطانيون استثمار النجاح لعدم القدرة عليه، بل فضلوا التوقف لتحضير عملياتهم التالية في الشهر القادم. ولقد استطاع «مونتغمري» اعتباراً من ٢٣ تشرين الاول (اكتوبر) استعادة المبادرة ومهاجمة رومل امام العلمين، ودحره ومطاردته مسافة ١٣٥٠ ميلا في مدة ٢٨ يوماً، حتى أوصله على خط «ماريت» في تونس، وقدرت خسائر المحور في العلمين وحدها بخمسين ألف رجل، و ٤٥٠ دبابة، و ٤٠ مدفع ميداني، و ٥٥٠ مدفعاً مضاداً للطائرات

وفي ليلة ٧ - ٨ تشرين الاول (اكتوبر) من العام نفسه، نزل الحلفاء في شمالي افريقيا. وكانت قواتهم البرية - البحرية - الجوية العاملة تحت قيادة الجنرال ايزنهاور تضم قوات بريطانية تعمل في الوسط بقيادة الجنرال «فريدندال» (٣٩ ألف رجل)، وقوات اميركية تعمل في الغرب بقيادة الجنرال «باتون» (٣٥ ألف رجل)، وقوات بريطانية واميركية تعمل في الشرق بقيادة الجنرال «رايدر» (٣٣ ألف رجل). واستطاعت قوات الحلفاء، بمساعدة القوات الفرنسية العاملة في شمالي افريقيا، النزول على الشاطئ الجزائري - المغربي، وتشكيل رؤوس جسور. وتألقت لجنة برئاسة «ديغول» و «جيرو» لتمارس السيادة الفرنسية على شمالي افريقيا حتى تسليم سلطاتها الى حكومة الجمهورية الفرنسية المستقبلية. وبتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) انضمت «داكار» الى الحلفاء، وكذلك فعل فيما بعد «الصومال الفرنسي» اما اسطول «طولون» فقد أغرق نفسه في البحر.

وتقدمت قوات الحلفاء نحو الشرق، واصبح على رومل ان يحارب على جبهتين: الجيوش البريطانية الزاحفة من طرابلس الغرب، والجيوش المهاجمة من الجزائر، فقام بهجومين متتاليين في جنوبي تونس، أخفق في كليهما. وفي ٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٣ اختزق الحلفاء خط «ماريت»، وتلاقت جيوشهم المهاجمة، فوقع في ايديهم ربع مليون جندي اسير، وكميات هائلة من الاعتدة الحربية، وغادر رومل الى المانيا. وهكذا أبيدت المقاومة الالمانية الايطالية، في افريقيا في منتصف أيار (مايو) ١٩٤٣، وانتهت العمليات في شمالي أفريقيا.

احتلال إيطاليا: شرع الحلفاء، منذ انتهاء حملة افريقيا، بمهاجمة القلعة الأوروبية وذلك بهدف: تحرير البحر الأبيض المتوسط، وحمل إيطاليا على

الاستسلام، وتثبيت قسم من القوات الألمانية للتخفيف عن الاتحاد السوفياتي، وانشاء مطارات تمكن الطيران الاستراتيجي من قصف المانيا الجنوبية الشرقية. ولقد اعتقد الحلفاء ان مجرد الاستيلاء على صقلية قد يكفي لسقوط ايطاليا، ولكن اذا كان القيام بعمليات اخرى ضرورياً لتحقيق هذه الغاية، فإن على ايزنهاور، القائد الاعلى لمسرح البحر الابيض المتوسط، اقتطاع وسائل تلك العمليات، من حساب الانزال الكبير الذي سيجري في فرنسا في العام المقبل. واطلق على عملية احتلال ايطاليا اسم «هايسكي». واشترك في تنفيذها «كاننغهام» كقائد للقوى البحرية، و «تيدر» كقائد للقوى الجوية، و «الكسندر» كقائد للقوى البرية، وكانوا جميعهم بقيادة الجنرال «ايزنهاور».

كان «الكسندر» قائداً لجموعة الجيوش الخامسة عشر التي ضمت الجيش الثامن البريطاني (مونتغمري) والجيش السابع الاميركي (باتون) أي ما مجموعه ١٣ فرقة. ووضعت بتصرفه لعملية الانزال ٣٢٢٦ باخرة، نقلت مئة وستين ألف جندي، والف وثمانئة مدفع، وستمئة دبابة.

وكانت ايطاليا قد خسرت ٣٥ فرقة في ميادين افريقيا، كما كانت ثلاثون فرقة من قواتها ما تزال مجمدة في البلقان، ولم يبق لديها سوى ما يقارب الثلاثين فرقة لحماية ارض الوطن، انبط بعشر منها، مع فرقتين المائيتين احدهما مدرعة، مهمة الدفاع عن جزيرة صقلية.

وفي ٩ تموز (يوليو) ١٩٤٣ انطلقت ٥٠٠ طائرة و ١٥٠ طائرة شراعية من «القيروان» فألقت حولتها على اللواء السابع العائد للفرقة الجوقلة البريطاني في منطقة «سيراكوز» و «فوجا» عائداً للفرقة الثانية والثمانين الجوقلة الاميركية

في منطقة «جيلا». وتم الاستيلاء على جسر «بونت كراندا» بحالة سليمة، وكان هدفاً رئيسياً للظليين، وجرت عملية انزال القوات البرية ليلاً بمفاجأة تامة.

استغرق الاستيلاء على الجزيرة الجبلية، والتي تعادل مساحتها مساحة بلجيكا، مدة ٣٨ يوماً، اذ انتهت بتاريخ ١٦ آب (اغسطس) بسقوط «مسينا». وبلغت خسائر الالمان والايطاليون ١٦٧٠٠ رجل، منهم ٣٧٠٠ الماني، بين قتيل واسير. بالاضافة الى مئة ألف جندي تركوا الجيش وفروا. اما خسائر الحلفاء فقد بلغت ٣١١٥٨ رجل، منهم خمسة آلاف قتيل. وأدى سقوط الجزيرة الى سقوط «موسوليني» (٢٥ تموز يوليو) واستلام المارشال «بادوليو» رئاسة الحكومة الايطالية وطلبه الهدنة، فأعلنت في ٨ ايلول (سبتمبر).

كان الرد الالمانى سريعاً في ايطاليا، فقد توجهت وحدات كبيرة بقيادة الجنرال «كيسلرنغ» الذي استولى على «روما» و «نابولي» وأضاع أمل الحلفاء في احتلال ايطاليا دون قتال. وأخلى الالمان سردينيا، أما كورسيكا، فقد حررت من قبل القوات الفرنسية، وفشل البريطانيون، لقلّة الوسائل باحتلال جزر «رودوس» و «كوس» و «ساموس»، اذ كان الالمان قد حلوا محل القوات الايطالية فيها.

كانت حملة ايطاليا ذات هدف محدود، اذ كان قد تقرر توجيه الضربة الحاسمة في الغرب، وعليه فان مبدأ الاقتصاد في القوى يحتم ادخار معظم القوى بالجهد الرئيسي هناك. لذلك لم تجر مهاجمة ايطاليا عند المضيق بانزال الجيوش في «جنوة» بل استهدف الهجوم جنوبي ايطاليا، مع انزال قوات في منطقة

«ساليرنو» بحيث يسمح الانتقاء الملائم على الصعيدين الاستراتيجي والتكتيكي بتحقيق الغايات التي سبق ان اشير اليها، وبصبح بمقدور القاذفات ب ١٧ و ب ٢٤ أن تغير من مطار «فوجيا» لضرب الاهداف التي كانت حتى ذلك الوقت، بمأمن من ضرب القاذفات المنطلقة من بريطانيا.

وشملت خطة غزو ايطاليا ما يلي:

- القيام بهجوم ثانوي من قبل الجيش الثامن (مونتغمري) بشكل عملية انزال عند رأس الجزمة الايطالية، يتقدم باتجاه الشمال بفرقتين، بينما تحتل فرقة ثالثة «تارانت».

- شن هجوم رئيسي يقوم به الجيش الخامس (مارك كلارك) مع فيلق اميركي وفيلق بريطاني للنزول على شواطئ «ساليرنو» حيث المدى الاقصى الذي تبلغه المطاردات المقلعة من «صقلية».

قدر للجهد الرئيسي في الحملة ان ينطلق بعد ستة أيام من انطلاق الجهد الثانوي، على أمل أن يجتذب الجهد الثانوي الفرق الالمانية نحو الجنوب.

وفور حصول الالتحام بين الجيشين الثامن والخامس يتقدم الكسندر بقواته نحو الشمال للاستيلاء على «نابولي» و «فوجيا». وكانت القوات الالمانية في ايطاليا بتاريخ ٣ أيلول (سبتمبر) عبارة عن فرقتين المانيتين ميكانيكيتين في منطقة «كاتانزارو»، واربع فرق منها فرقتان قرب «ساليرنو». كما كان هناك فرقتان شمالي روما، وثمان فرق في شمالي ايطاليا. وكان «كيسلرغ» متنبهاً لعملية انزال الحلفاء، فأبقى قواته وراء المرتفعات، بينما قام بتحضير مخطط ناري كامل

على كافة المخارج باتجاه السهل، وفي الوقت نفسه، زرع حقول الغام عديدة على الشاطئ. وكانت خطة القائد الألماني تقضي بأن يدع الحلفاء ينزلون جيوشهم لينقض عليها فجأة ويمزقها.

وفي ٣ ايلول (سبتمبر)، وتحت حماية نارية قوية صادرة عن ٦٥٠ مدفعاً متمركزاً في صقلية، استطاعت فرقتان من الفيلق الثالث عشر التابع للجيش الثامن العبور الى «كالابر». وفي غضون ستة أيام كان الفيلق قد اجتاز بقيادة الجنرال «دمبسي» حوالي مئة كيلومتر الى الشمال.

وفي ٩ ايلول (سبتمبر) شرع الجيش الخامس بالانزال في «ساليرنو» فاستولى بعد ثلاثة أيام على «ساليرنو» نفسها، ولما اصطدم بهجوم معاكس ألماني قوامه ثلاث فرق، اضطر الى التوقف والدفاع وكان من المحتمل تدمير القوات التي تم انزالها، لولا تدخل قطع بحرية مؤلفة من ست دارعات و ١٥ طراداً و ٦٠ سفينة حربية اخرى، وقيامها بدعم القوات، بالاضافة الى ثلاثة آلاف طلعة جوية نفذت جميعها لمساندة جبهة الانزال.

وبقي الجيش الثامن مواصلاً تقدمه، فاجتاز ٤٠٠ كيلومتر في اسبوعين. وتراجع «كيسلرغ» الى ١٥٠ كيلومتراً جنوبي روما، حيث أنشأ مركزاً عميقاً حده الامامي خط «غوستاف» الحصين، وحده الخلفي «خط هتلر»

في آخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ عين الجنرال «ايزنهاور» قائداً اعلى في الغرب، فخلفه الجنرال «ولسون» في قيادة مسرح البحر الابيض المتوسط والشرق الاوسط، وبقي الجنرال «الكسندر» قائداً لمجموعة الجيوش الخامسة عشر في إيطاليا، اما الجيش الثامن البريطاني فقد عين لقيادته الجنرال

«ليز» بدلا من «مونتغمري» الذي عين قائداً لجموعة الجيوش ٢١ في ايطاليا. ولقد حاول الحلفاء سحق المواقع الالمانية الجديدة، ولكنهم اصابوا بالفشل، خصوصاً عند مرتفعات «كسينو» المنيعه والمسيطره على سهل «ليري» وعلى الطريق الوطنية رقم «٦».

وهكذا فشلت في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ عمليات الجيشين الثامن والخامس الهجومية، ومحاولات التقدم التي تلتها في شهر آذار (مارس).

وفي ١٠ أيار (مايو) حقق المهاجمون بعض النجاح. وهكذا تحرك الهجوم العام في اليوم التالي، وعلى طول الجبهة الايطالية، فاكثفت مرتفعات «كاسينو» بحركة التفاف واسعة، ودخل «مارك كلارك» مدينة روما في ٤ حزيران (يونيو) ١٩٤٤.

وكان الالمان قد انقذوا موسوليني من سجنه، وألف حكومة سارت بركاب المانيا، إلا أن كتيبة من كتائب المقاومة الايطالية ألقت القبض عليه في ٢٨ نيسان (ابريل) ١٩٤٥، في بلدة قرب بحيرة «كومو»، فحاكمته واعدمته رمياً بالرصاص، وعُلقت جثته امام مقر الحزب الفاشستي.

الانزال في النورماندي: كانت المقاومة الشعبية الفرنسية قد ابتدأت تشتد في فرنسا منذ العام ١٩٤٣، وأصبحت تشكل فيما بعد مشكلة حقيقية بالنسبة الى الاحتلال الالمانى، مما سهل الوضع كثيراً فيما بعد، اثناء غزو الحلفاء لفرنسا. ولقد قرر الحلفاء التمهيد لعملية الانزال المعروفة بعملية «اوفرلورد»، فقاموا بغارات كاسحة على جميع ما في المانيا وفرنسا، من مصانع واهداف عسكرية

استراتيجية، وازدادت غاراتهم عنفاً وحجماً حتى أصبحت الغارة الواحدة تضم أكثر من ألف طائرة من القاذفات.

وفي العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٣ عين الجنرال «ايزنهاور» قائداً اعلى لقوات الحلفاء في اوروبا، وكلف الدخول الى القارة الاوروبية حتى قلب المانيا. ولقد تمثل ايزنهاور غزو القارة الاوروبية كما يلي:

- القيام بعملية انزال القوات على شاطئ النورماندي بين الهافر وشبه جزيرة «كوتانتان».

- انشاء رأس جسر.

- سحق المقاومة العدو.

- استثمار الفوز بين «السين» و «الوار»، وتحرير المنطقة بين هذين النهرين حتى يوم (ي + ٩٠).

- التقدم بعد اجتياز «السين» باتجاه المانيا، على جبهة واسعة باعتماد محوري جهد كبيرين الجهد الرئيسي على اليسار، باتجاه الشمال الشرقي. لتخليص المرافئ الفرنسية والبلجيكية خاصة «انفرس» والجهد الثانوي على اليمين بغية تهديد حوض «السا»، وتأمين التلاقي مع القوات التي ستنزل على شاطئ «الكوت دازور» الفرنسي.

وكلف (مونتغمري) بالقيادة التكتيكية لكافة القوى البرية في المراحل الاولى، وكانت عملية الانزال مقررة في الرابع من حزيران (يونيو)، الا ان سوء الاحوال الجوية حمل ايزنهاور على تأخيرها حتى السادس منه. ومنذ الساعة

السادسة والنصف صباحاً، بدأت الفرقتان المظليتان الاميركيتان ١٠١ و ٨٨ تهبطان فوق الشاطئ قرب «اوتا»، بينما كانت الفرقة المظلية البريطانية السادسة تهبط شرقي نهر «اورن» لتحتل الجسور على هذا النهر، وتؤمن حماية تقدم الجيوش فيما بعد. في نفس الوقت أبحرت خمس فرق من الشاطئ البريطاني نحو شاطئ «نورماندي» وابتدأت بالنزول على اليابسة اعتباراً من الساعة السادسة والنصف صباحاً تحت تغطية المظليين، فاحتلت مواقع لها على موازاة الشاطئ، ثم ركزت هجومها على مدينة «شربور» فاحتلتها، كما احتلت «كاين». وعن طريق هذين المرفأين تم إنزال الجيوش الحليفة على الاراضي الفرنسية وتتابع الانزال، وتآلفت القوى الزاحفة من مجموعتين:

- مجموعة الجيوش ١٢ بقيادة الجنرال الاميركي «برادلي»، وضمت الجيش الثالث (باتون)، والجيش الاول (هودج).

- مجموعة الجيوش ٢١ بقيادة الجنرال البريطاني «مونتغمري» وضمت الفيلق البريطاني الاول، والفيلق الكندي الثاني، والجيش البريطاني الثاني بقيادة «دمبسي».

وبعد وقفة إعادة التنظيم، أخذ الحلفاء يتقدمون فتسقط بأيديهم المقاومات النازية تباعاً حتى منتصف شهر آب (اغسطس) ١٩٤٤، عندما نفذ الحلفاء عملية «دراغون» وأنزلوا على الشواطئ الفرنسية الجنوبية الجيش الاميركي السابع بقيادة الجنرال «الكسندر باتش». وهكذا أخذ الحلفاء يتقدمون في الاراضي الفرنسية من الغرب، فحرروا فرنسا، ودخلت الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية مدينة باريس، بمناصرة المقاومة الفرنسية في ٢٥ آب (اغسطس).

واجتازت القوات البريطانية والكندية نهر «السوم» ودخلت بلجيكا محررة بروكسل، ثم انضم اليها الاميركيون وحرروا جنوبي هولندا.

الهجوم السوفييتي من ستالينغراد إلى برلين:

اثناء حصار القوات السوفيتية لستالينغراد، واصلت قوات اخرى الزحف جنوباً لقطع طريق الانسحاب على الجيوش الالمانية الموجودة في القوقاز، وتعرضت خطوط مواصلات هذه الجيوش في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٣ للخطر، خاصة وانها كانت تبعد عن مدينة «روستوف» نحو ٥٦٠ كم إلى الجنوب الشرقي، واستطاعت القوات الالمانية ابقاء هذه الخطوط مفتوحة إلى أن تم اخلاء القوقاز وحوض الدونيتز الصناعي.

وفي شباط (فبراير) ١٩٤٣ ازدادت سرعة الانسحاب الالمانى، بعد استسلام قوات «فون باولس» في «ستالينغراد»، واستعادت القوات السوفيتية «خاركوف».

واقتربت من نهر الدنيبر، إلا أن «فون مانشتاين» شن بقواته هجوماً مضاداً في نهاية شباط (فبراير) استرد به «خاركوف» و «بيلغورد»، فتوقف الزحف السوفييتي مؤقتاً نتيجة لهذا الهجوم ولطول خطوط مواصالاته، وفي الوقت نفسه لم يكن لدى «فون مانشتاين» قوات احتياطية تكفي لمتابعة الهجوم، فتجمد الموقف العسكري طوال الشهر من آذار (مارس) حتى ٥ تموز (يوليو) ١٩٤٣، حيث شن الألمان آخر هجوم استراتيجي كبير لهم على الجبهة السوفيتية، وهو الهجوم الذي استهدف تطويق وتدمير الجيوش السوفيتية الموجودة في «نتوء كورسك» الممتد بين «بيلغورد» و «اوريل».

ولكن الهجوم فشل نظراً لتوقع حدوثه من قبل القيادة السوفيتية واستعدادها لصدّه، ثم توجيه ضربة مضادة حاسمة، واستمرت المعركة مدة ٥٠ يوماً انتهت بتحرير «اوريل» و «بيليغورد» و «خاركوف» وتدمير عدة فرق المانية وكميات كبيرة من الدبابات.

وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٤٣ وصل الزحف السوفيتي إلى نهر الدنيبر في عدة نقاط بالقرب من «كييف»، كما عزلوا شبه جزيرة القرم عندما وصلوا إلى المجرى السفلي للدنيبر. وفي بداية تشرين الاول (اكتوبر) عبرت القوات السوفيتية الدنيبر إلى الشمال والجنوب من «كييف». وكان من نتيجة ذلك أن حُررت «كييف» وتعمقت قوات الجنرال «فاتوتين» مسافة ١٣٠ كم غرب الدنيبر، إلا أن الالمان استطاعوا أن يوقفوا الزحف السوفيتي مؤقتاً بعد أن قام «فون مانشتاين» بهجوم مضاد على مجبة «فاتوتين» بواسطة قوة مدرعة قادها بكفاءة الجنرال «مانتوفل». وفي ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ واصل «فاتوتين» تقدمه واجتاز الحدود البولونية في ١٤/١/١٩٤٤. ثم وصلت قواته إلى نهر «بوغ»، الذي بدأت حملة «بارباروسا» من عنده في ٢٢/٦/١٩٤١، وقام «فون مانشتاين» بهجوم مضاد جديد ولكن «فاتوتين» صدّه، ثم قام بالمقابل و بالتعاون مع «كونييف» الذي كان يهاجم على الجناح الآخر بالاطباق على القوات الالمانية في جيب «كورسون»، مما أدى إلى أسر ١٠ فرق المانية. وفي الوقت نفسه قامت القوات السوفيتية في اقصى شمال الجبهة بهجوم في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٤٤ لرفع الحصار عن «لينينغراد» تماماً

ثم واصلت التقدم غرباً حتى توقفت امام خط يبدأ من «نارفا» وينتهي بعد «بسكوف»، حيث كانت الدفاعات الالمانية مستندة إلى نقطتين رئيسيتين هما مدينتا «فيتبسك» و «اورشا»، ويحمي جناحها الجنوبي مستنقعات

«البرييت». وثبتت القوات الالمانية هناك حتى تموز (يوليو) ١٩٤٤، حين شن السوفييت هجومهم الكبير الذي عرف بعملية «باغراسيون» الذي حطم القوات الالمانية في الشمال، ووصلت أثره القوات السوفيتية إلى نهر الفيستولا في قلب الاراضي البولونية.

وفي ٤ آذار (مارس) ١٩٤٤ قامت قوات الماريشال «جوكوف» و «مالينوفسكي» بمناورة تطويق مشتركة لخط «البوغ» الدفاعي أدت بقوات «مالينوفسكي» إلى تحرير «نيقولاييف» وعبور «الدنيستر» في ١٩/٣/٤٤. ووصلت قوات «جوكوف» إلى مخارج جبال الكارابات قرب الحدود المجرية. ثم عبرت قوات «كونييف» نهر «بروت» ودخلت الاراضي الرومانية، وتمت في الوقت نفسه عملية تحرير ميناء «اوديسا» على البحر الاسود وشبه جزيرة القرم. وبذلك طردت القوات الالمانية من اوكرانيا وجنوب غربي الاراضي السوفيتية كلها تماماً، واصبحت آبار النفط الروماني مهددة بالخطر، ولذلك ركزت القيادة الالمانية قوتها الرئيسية هناك، الامر الذي ساعد على نجاح الهجوم السوفيتي بعد ذلك في الشمال (عملية باغراسيون)، الذي اعقبه في ١٤ تموز (يوليو) هجوم آخر جنوب مستنقعات «البرييت» أدى إلى وصول القوات السوفيتية خلال ١٠ أيام إلى مدينتي «لفوف» و «لوبلن» على بعد ١٦٠ كم تقريباً الى الجنوب الشرقي من «فارسوفيا»، عاصمة بولونيا، وسقطت «بريست ليتوفسك» و «بيالستون» في خلال الاسبوع نفسه.

وتجاوز التقدم السوفيتي على الجبهة الشمالية مدينة «دفينسك»، ثم اتجه نحو ساحل بحر البلطيق وراء مدينة «ريغا». وتوقف الهجوم السوفيتي في بولونيا بعض الوقت نظراً لامتداد خطوط المواصلات وضرورات إعادة تنظيم القوات

وتجهيزها بامدادات والتأهب لمرحلة جديدة من العمليات. وفي هذا الوقت كانت حركة المقاومة السرية البولونية الموالية لحكومة بولوتيا في المنفى والموجودة في «لندن» قد نظمت انتفاضة مسلحة في «وارسو» استمرت ٦٣ يوماً. ولكن توقف الزحف السوفييتي مكن القوات الالمانية من اخادها في اوائل آب (اغسطس) ١٩٤٤. وتابعت القوات السوفييتية هجومها في القطاع الجنوبي من الجبهة فاستطاعت أن تطرد القوات الالمانية من رومانيا وتستولي على آبار النفط ومعامل تكريره في «بلوغستي» في ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٤٤، كما حررت «بوخارست» في اليوم التالي، وهكذا قطعت جيوش الدبابات السوفييتية نحو ٤٠٠ كم في ١٢ يوماً فقط، ثم اتجهت بسرعة نحو الشمال والغرب واجتازت حدود المجر ويوغسلافيا لتحول دون انسحاب القوات الالمانية الموجودة في اليونان، كما تقدمت جنوباً وسيطرت على بلغاريا. أما في بولونيا فقد بقيت الجبهة ثابتة طوال الشهور المتبقية من عام ١٩٤٤، ثم تحركت الجيوش السوفييتية هناك في منتصف كانون الثاني (يناير) ١٩٤٥ في هجوم واسع النطاق (تم قبل مواعده المحدد بنحو اسبوعين لتخفيف الضغط الألماني على الجبهة الغربية حيث كان هجوم الآردن على أشده). بدأت قوات «كونيف» من رأس جسر نهر الفيستولا قرب «سان دومير»، وفي ٢٣/١/٤٥ وصلت الى نهر الاودر في جنوب المانيا الشرقية بمقاطعة سيليزيا وتمكنت القوات الالمانية أن توقف توسيع رأس الجسر السوفييتي هناك وفي الوقت نفسه كانت قوات «جوكوف» تطور هجومها هي الاخرى في وسط بولونيا وتحرر «وارسو»، ثم تتقدم نحو المانيا وتجتاز حدودها في ٢٩/١/٤٥، وتنشئ لها رأس جسر على نهر الاودر على مبعدة ٨٠ كم شرقي «برلين». كما قامت قوات «روكوسوفسكي» بتطوير الهجوم في الشمال ابتداء من نهر «ناريف» شمال

شرقي فارسوفيا، واختزقت بروسيا الشرقية في طرفها الغربي، ثم وصلت إلى البلطيق غربي ميناء «دانتريغ» الشهير في ٢٦/١/٤٥، عازلة بذلك القوات الالمانية التي كانت لا تزال موجودة في بروسيا الشرقية.

وفي ١٦ نيسان (ابريل) بدأت قوات «جوكوف» هجومها على «برلين»، واستولت عليها في ٢ أيار (مايو) ١٩٤٥. ودخلت القوات الحليفة في الغرب ارض المانيا، في الثامن من شهر شباط (فبراير) ١٩٤٥، مستولية على مدينة «كولونيا» على الشاطئ لنهر «الرين» وسقطت منطقة «الساار» بأيدي الفرنسيين والاميركيين بينما تقدمت قوات مونتغمري في الشمال حتى وصلت الى قطاع «الرور» منهية مقاومة المدافعين عنه.

في ٧ أيار (مايو) وقع الجنرال «جودل» رئيس هيئة اركان الحرب الالمانية وثيقة استسلام المانيا دون قيد أو شرط، في مقر الجنرال «ايزنهاور» في مدينة «ريمس» الفرنسية. وانتهت الحرب في أوروبا. أما في الشرق الاقصى فقد ركز الحلفاء جهودهم على مقاتلة اليابان، بعد أن فرغوا من محور روما - برلين فتم تحرير جزر الفيليبين، في ٥ حزيران (يونيو) بقيادة الجنرال ماك آرثر.

وبدأ الاقتراب نحو اليابان، فاسترد الاميركيون جزر «غينيا الجديدة» و «بريطانيا الجديدة» و «بورنيو». وفي ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٤٥ وجهت اميركا وبريطانيا والصين انذاراً الى اليابان بالاستسلام فتجاهتله، وفي ٦ آب (اغسطس) ألقت طائرة اميركية قنبلة ذرية على «هيروشيما» ثم بعد ثلاثة أيام، ألقيت قنبلة ثانية على «ناغازاكي». وأحدثت القنبلتان خراباً رهيباً ودماراً شاملاً، وكانت هذه هي المرة الاولى التي تستعمل فيها القنابل الذرية.

وفي الثامن من شهر آب (اغسطس) اعلنت روسيا الحرب على اليابان، وهاجمت «منشوريا» التي اخذها اليابانيون من الصين، عندها ادرك اليابانيون عقم تصلبهم، خاصة وأن القصف الذري، أصابهم بالذهول، فاعلنوا قبولهم بالاستسلام وفق شروط «بوتسدام»، ووقعت الهدنة على ظهر الطراد الأميركي «ميسوري» الذي كان يربط في خليج «طوكيو». وتسليم اليابان انتهت الحرب العالمية الثانية.

كلفة الحرب العالمية الثانية :

تقسم كلفة الحرب الى نوعين: كلفة مباشرة، وكلفة غير مباشرة. وتتضمن الكلفة المباشرة كل النفقات التي انفقها الدول الخاربة على الاعمال ذات الطابع العدائي. أما الكلفة غير المباشرة فتتضمن الخسائر الاقتصادية الناتجة عن الخسائر البشرية خلال الحرب، وقيمة الممتلكات ووسائل الانتاج المتضررة او المدمرة، وتخفيض الانتاج الناتج عن نقل القوى العاملة في الاعمال المدنية الى المجال العسكري، ونفقات الإعانة والمساعدات للاطراف المتضررة من الحرب، بالإضافة لكلفة الحرب للامم المحايدة.

أ - الخسائر الاقتصادية: قد قدرت كلفة الحرب العالمية الثانية في تقرير لجيمس برادي والجامعة الاميركية نشر في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٥ بـ (١١٥٤٠٠٠) مليون دولار، كما بلغت اضرار الممتلكات ووسائل الانتاج (٢٣٠٩٠٠) مليون دولار، دون خسائر الصين. وقد انفقت الولايات المتحدة (٣١٧٦٠٠) مليون دولار على المعدات واللوازم الحربية، بينما انفق الاتحاد السوفيتي (١٩٢٠٠٠) مليون، وبريطانيا (١٢٠٠٠٠) مليون، والمانيا (٢٧٢٩٠٠) مليون، وايطاليا (٩٤٠٠٠) مليون، واليابان (٥٦٠٠٠) مليون.

ب - التعبئة: بلغت قمة التعبئة في الولايات المتحدة ١٤ مليون مواطن. بينما عبأت الامبراطورية البريطانية ١٢ مليوناً، والصين ستة ملايين. وتقدر التعبئة في الاتحاد السوفييتي بـ ٢٢ مليون مواطن من ضمنهم العمال المسلحون. وبلغت التعبئة في صفوف الحلفاء اكثر من ٦٢ مليون شخص. أما قوى المحور، فقد عبأت اكثر من ٣٠ مليوناً.

ج - الخسائر البحرية: كانت الخسائر البحرية الاميركية خلال الحرب العالمية الثانية: بارجتين، ٥ حاملات طائرات، ٦ حاملات حراسة، ٧ طرادات ثقيلة، ٣ طرادات خفيفة، ٧١ مدمرة، ١١ مدمرة حراسة، ٥٢ غواصة، ٣ زارعات الغام، ٢٤ كاسحة الغام، ١٨ مطاردة غواصات، ١٢ زورقاً مسلحاً، ١٥ سفينة حراسة سواحل، ٣ سفن اصلاح طائرات مائية، ٦٩ زورق طوربيد، ٤٠ سفينة انزال دبابات، ٩ سفن انزال متوسطة، ٦٧ مركب انزال دبابات، ٢٢ مركب انزال مشاة، ٦٠ مركب انزال امدادات، ١٠ قاطرات، ٦ ناقلات نفط، ٢١ ناقلة جنود، ٣٦ مركب انزال اقليمي، ١٥٢ مركباً اقليمياً من مختلف الانواع، ٤ سفن شحن بضائع، و ٢٢ سفينة مساعدة من مختلف الانواع.

واما الخسائر البحرية البريطانية فكانت:

٥ سفن رئيسية (بوارج وطرادات ثقيلة)، ٨ حاملات طائرات، ٢٦ طراداً، ١٢٨ مدمرة، ٧٧ غواصة، ١٦ سفينة تجارية مسلحة، ٤١ سفينة حراسة كبيرة، ٥١ كاسحة الغام، ٢٤٠ قارب صيد، ٤٨ صندلا، ٦ زارعات الغام، ١٠ يخوت، ٧٠ قارباً مسلحاً، ٣ مركب صغيرة، سفينة حربية مدرعة واحدة، ٦٣ قارباً صغيراً مساعداً.

كما خسرت دول الكومنولث ٣ طرادات، و ١٠ مدمرات، و ١٤ سفينة حربية كبيرة، و ١٠ كاسحات الغام، وقاربى صيد، بالاضافة الى ٧مراكب صغيرة من مختلف الانواع.

اما اليابان، فبالاضافة لخسارة ٦١٣٠٠٠٠ طن من السفن التجارية، فقد خسر اسطولها الحربي:

١١ بارجة، و ١٥ حاملة طائرات، و ٥ حاملات طائرات حراسة، ١٦ طراداً ثقيلًا، و ٢٠ طراداً خفيفاً، وطرادي تدريب، و ١٣٥ مدمرة.

وبلغت الخسائر البحرية للدول الحايذة ١٤٢٠٠٠٠ طن، أصيب ٩٣٠٠٠٠ طن منها بالغواصات، و ٢٧٠٠٠٠ طن بالالغام.

د- الخسائر البشرية: بلغت الخسائر البشرية خلال الحرب العالمية الثانية حجماً فاق الخسائر البشرية في كل الحروب التي سبقتها او لحقتها في تاريخ البشرية. وتقدر الاحصاءات عدد القتلى فقط إبان هذه الحرب كما هو مبين في الجدول التالي:

البلد	عدد القتلى
الاتحاد السوفياتي	٢٠,٠٠٠,٠٠٠
بولونيا	٥,٤٦٦,٠٠٠
المانيا	٥,٠٠٠,٠٠٠
الصين (١٩٣٧ - ١٩٤١)	١,٧٥٠,٠٠٠
يوغسلافيا	١,٧٠٠,٠٠٠

١,٦٠٠,٠٠٠	اليابان
٧٧٠,٠٠٠	رومانيا
٦٦٥,٠٠٠	بريطانيا
٦٢٠,٠٠٠	فرنسا
٥٧٠,٠٠٠	ايطاليا
٥٥٠,٠٠٠	اليونان
٨٥٠,٠٠٠	تشيكوسلوفاكيا
٣٤٧,٠٠٠	النمسا
٣٩٠,٠٠٠	هنغاريا
٣٦٧,٠٠٠	الولايات المتحدة
٢٥٥,٠٠٠	هولندا
١٦٠,٠٠٠	بلجيكا
٩٧,٠٠٠	فلندا
٣٢,٠٠٠	بلغاريا
٩,٠٠٠	النرويج
٣,٠٠٠	الدانمارك
٤١,٣٠١,٠٠	المجموع

نتائج الحرب العالمية الثانية :

كان للحرب العالمية الثانية نتائج هامة في مختلف أنحاء العالم يمكن ايجازها بالنقاط التالية:

١ - تقسيم المانيا الى دولتين: المانيا الشرقية الديمقراطية الخاضعة للنفوذ الشيوعي، و المانيا الغربية الاتحادية الخاضعة للنفوذ الاميركي الفرنسي الانكليزي.

٢ - توسع الاتحاد السوفياتي نحو الغرب في اوروبا وظهور المعسكر الشيوعي المؤلف من: الاتحاد السوفياتي، وبولونيا، و المانيا الشرقية، و المجر وتشيكوسلوفاكيا، ورومانيا، وبلغاريا، ويوغوسلافيا، و البانيا (انسحبت يوغوسلافيا بعد ذلك سنة ١٩٤٩).

٣ - تحول النمسا الى دولة محايدة.

٤ - ضعف فرنسا و انكلترا بسبب ويلات الحرب، وبدء خسارتهما لمستعمراتهما في العالم.

٥ - خروج الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية مسيطرين على مقدرات العالم.

٦ - تصفية الاستعمار القديم وأساليبه، وحلول الاستعمار الجديد محله، وبدء ظهور العالم الثالث.

٧ - قيام هيئة الامم المتحدة ومؤسساتها المختلفة.

المؤتمرات :

عقد الحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية عدة مؤتمرات لتنظيم متطلبات الحرب وفقاً لتطور ظروفها، وأهم هذه المؤتمرات :

١ - مؤتمر الدار البيضاء (Casablanca) : في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٣ بين الرئيس الأميركي روزفلت، ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، ودعي الى المؤتمر ستالين ولكنه اعتذر بسبب الحرب في الاتحاد السوفياتي، وقرر المؤتمر أن غاية الحلفاء هي في استسلام المانيا وايطاليا واليابان بدون قيد او شرط.

٢ - مؤتمر طهران: عقد هذا المؤتمر في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٣ وحضره الزعماء الثلاثة: روزفلت، تشرشل، ستالين، واتفقوا على تدمير المصانع الحربية الالمانية بعد الحرب، وحل الحزب النازي، ومحكمة زعمائه، والقضاء على النزعة العسكرية الالمانية، وانشاء مناطق مراقبة في المانيا، وفرض تعويضات حرب ضخمة على الالمان.

٣ - مؤتمر يالطا: عقد هذا المؤتمر في يالطا في شبه جزيرة القرم، بناء على طلب ستالين في شباط (فبراير) سنة ١٩٤٥، وقرر تقسيم المانيا بعد احتلالها الى اربع مناطق: تعطى منطقة واحدة الى كل من الدول الحليفة الاربع: روسيا، واميركا، وانكلترا، وفرنسا، وانشاء لجنة عليا حليفة لادارة المناطق الالمانية يكون مقرها برلين، وتحديد بولونيا، ودخول الاتحاد السوفياتي الى هيئة الامم.

الغزوة الإنكليزية الديغولية وسيرها وأثرها :

بعد الحديث عن الحرب العالمية عموماً نعود لأحداث المنطقة العربية ولسوريا بالذات لنقول بأن الجو السياسي ما لبث أن تلبد منذ عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا حيث أخذت الدعايات الإنكليزية تنبث في سوريا ولبنان منذرة باحتلال الانكليز، واخذت هذه الدعاية تبدو خاصة في صفوف الافرنسيين

وبنوع خاص ضباطهم عن طريق الدعوة الديغولية، واخذ الناس يلمسون في صفوف الافرنسيين اختلافات ومنازعات متنوعة الصور والاساليب لانقسامهم إلى فيشين "نسبة إلى فيشي وديغولين. هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت الاصوات الانتقادية ترتفع من الاوساط الانكليزية عازية للسلطات الافرنسية الفيشية في سوريا ولبنان تسهيلات لقوى الحور وطياراته، ومبدية مخاوفها من استيلاء الحور على البلدين، ومطالبة بالوقوف موقف الجدد، ومعددة ما يكون من استيلائه من اخطار واضرار. ومنذئذ والناس يتلقون هذه الدعايات والاذاعات كمقدمات لاحتلال انكليزي في اول فرصة ممكنة حتى لقد كانت الشوائع تشيع عن موعد معين؛ وكانت الطيارات الانكليزية تحلق من حين لآخر في سماء سوريا ولبنان، واخذ بعض الضباط الافرنسيين يتسللون إلى شرق الاردن وفلسطين للانضمام إلى القوى الانكليزية والديغولية. وقد جاء الجنرال كاترو وكان من رجال المندوبية الافرنسية ورئيس ضباط الاستخبارات في سورية ولبنان الذين كان لهم افطع الادوار في حركة الفساد والدس والكيد كنائب للجنرال ديغول إلى القدس واتخذها مركزاً لبث الدعاية وتهيئة الخطوة العملية في الفرصة المناسبة، فقويت بمجيئه الدعاية واخذ التسلل يزداد من سوريا ولبنان حتى صار شبه علني، وحتى صار يفر بعض الضباط مع فصائل كاملة من الجيش الافرنسي او المتطوعين كما فعل الكولونيل كوله مع فصيل من متطوعي الشركس، وحتى اضطرت السلطات الافرنسية إلى حركة تطهير ومطاردة فر بمناسبتها عدد غير قليل من الضباط، وفر في عداد من فر الكولونيل مدور قائد الدرك اللبناني حيث كان يبذل جهوده الكبيرة في تسهيل حركات الفرار. وقد اشتركت شرق الاردن في هذه الحركة، واخذت تجري الاتصالات بين اولي الشأن فيها وبعض رجالات وصحافيين في دمشق املاً بأن يكون من ورائها

وحدة سوريا وتوسد عبد الله بن الحسين عرشها؛ وظهرت آثار ذلك في بعض الصحف السورية التي كانت تنقل الاخبار وتنشر الارهاصات عن الحركات والخطوات المتوقعة باساليب مختلفة.

فلما نشبت الحرب العراقية الانكليزية في مايس عام ١٩٤١ اشتدت الاصوات القائلة بأن المحور يتخذ سوريا قاعدة لمساعدة حركة العراق و أن في سوريا ولبنان آلافاً من الالمان، وقصفت طائرات الانكليز مطارات سوريا الشمالية فاعتقدنا أن القفزة الانكليزية قد قربت وانها منوطة بمصير الحركة العراقية، و أن كل ما يجري انما هو بسبيل الدعاية والتهويل والتبرير، ولاسيما أن دعوى وجود آلاف الالمان ومئات الضباط والطيارات الالمانية غير صحيحة، وكل ما كان من امر وجود بعض مندوبين طليان والمان باسم لجنة الهدنة ومراقبتها؛ وكانت مداخلتهم مع الجنرال دانز بتحفظ كبير كما كان هو نفسه يتحاشى هذا التدخل لئلا يكون حجة عليه بيد الانكليز، وكان يحتج على ما يصدر من هؤلاء من دعاوى ودعايات وتهم بصدد ذلك وينفه المرة بعد المرة.

ولم يمض على انتهاء حركة العراق إلا اسبوع واحد حتى زحفت القوى الانكليزية والديغولية مع بعض طلائع او مفارز اردنية من الجنوب بتاريخ ٨ حزيران ١٩٤١، ثم انشطرت شطران اتجه احدهما نحو دمشق وثانيهما نحو جبل عامل والساحل، واخذت تقع الاشتباكات بينها وبين القوى الافرنسية الفيشية والفصائل السورية واللبنانية التي كانت تحت القيادة الافرنسية وهي المسماة بالجيش المحلية.

ولقد لقيت بعض المقاومة في الجبهتين ولم يتسن لها السير بسرعة كما كان

مقدراً. وكان الجنرال مشتتاً في هذه المقاومة كما كان مندوبو المحور لا يفتأون يشدون همته ويثيرون حماسه فيها؛ غير أن الدعايات اخذت تبث في القوى المدافعة فتؤتي اكلها في التثييط والتحول من جبهة الى جبهة. فقد كانت تقف في الواقع في وجه قوى افرنسية يقودها ضباط افرنسيون وقوى الانكليزية حليفة وصديقة؛ ولم يكن من شأن فوز هذه القوى بما تريد أن يجعل القوى المدافعة تخسر شيئاً مادياً او معنوياً. وهكذا اخذت القوى الغازية تتقدم وتستولي على البلاد تدريجياً ثم جاءت قوى ميكانيكية جديدة من جهات الصحراء واخذت تتوغل في الانحاء الشمالية فتم نطاق التطويق. وقد دامت الحرب نحو ستة اسابيع اضطر الفيشيون بعدها إلى طلب الهدنة فاجبوا إلى ذلك عل اساس التخلي عن سوريا ولبنان للحملة الجديدة، واستتب الامر كذلك في الاسبوع الرابع من تموز عام ١٩٤١ بشروط فيها كثير من التساهل. وقد احتوت فيما احتوته حرية الافرنسيين في مغادرة البلاد مع ما لهم من متاع وبايديهم من سلاح، وبقاء من يود البقاء منهم عسكريين كانوا او مدنيين على مراتبهم ومراتبهم مما استجاب له فريق كبير من النوعين منهم. وقد ابي الفيشيون أن يعترفوا بالديغوليين كطرف ثان اثناء المفاوضات فاجبوا إلى طلبهم، وجرت المفاوضة والتوقيع بينهم وبين القائد الانكليزي. على انه كان بادياً أن الامر سيكون في يد الديغوليين و أن الانكليز انما هم مساعدون؛ بناء على الاصل المعترف به من أن سوريا ولبنان ضمن الانتداب والنفوذ الافرنسي، ومن أن الديغوليين انما يمثلون فرنسا ومركزها في نظر الانكليز ومصلحتهم الحرية. وقد غادر دانز وغيره من رجال فرنسا العسكريين والمدنيين الذين لم يطلب لهم البقاء ميممين شطر فرنسا، واراد دانز أن يسجل اسمه في تاريخ نهب سوريا ولبنان في من نهبهما من بني قومه فحمل معه ذهب البنك السوري اللبناني الذي كان بعض

الغطاء للنقد الورقي والذي كان يقدر بمئات ألوف الجنيهات.

ومن نقائص الافرنسيين التي كانت منهم اثناء هذه الحركة أن الفيشيين حاولوا الانتفاع من فلول المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا في سوريا أو اتوا من العراق بعد الحركة الحربية العراقية في العمل على الحدود الفلسطينية لازعاج الانكليز، فلم يرى هؤلاء في العرض ضماناً فيهم الطمأنينة والأمل فأبدوا استعدادهم للانضمام إلى حملة فوزي القاوقجي التي خرجت من بغداد إلى الرطبة ثم اتجت إلى سوريا حينما انتهت الحركة العراقية ونشبت الحركة السورية، حيث كان الافرنسيون قد اظهروا استعدادهم ملدها وتقويتها للانتفاع منها في حركة المقاومة فرفضوا كما انهم لم يسيروا سيراً جاداً في الوفاء بوعدهم بمد حملة القاوقجي متحسين عواقب ذلك مع انهم ليسوا في وضع يبرر لهم هذا التحسب لانهم امام عدو جديد مشترك ليس من السهل تغلبهم عليه ولم يكن اشتداد قوة الحملة ليضيرهم شيئاً. وكان الذين يودون ذلك من رجال العرب الوطنيين يأملون أن تكون من الحملة اذا مدت وقويت قوة عربية مستقلة قد يكون فيها بعض الاثر في الكفاح القومي العربي، ولاسيما أن احتمال عدم امتداد الحرب طويلاً وانتهائها باندحار بريطانيا من الشرق العربي كان اذ ذاك قوياً وسائداً. ولكن الذي يتبادر أن سوء النية والروح الاستعمارية المتأصلة في الافرنسيين منعتهم من هضم قيام قوة عربية واحتمال انتفاع الحركة العربية بها مهما كان امرهم ومصيرهم...

ومما يسجل في صدد هذه الحركة أن الفصائل السورية واللبنانية اضطرت إلى الحرب إلى جانب القوى الفيشية وكانت توضع في الصفوف الامامية لما كان يتحسب من فرار افراد هذه القوى ومخامرتهم، وقد قتل وجرح

من تلك الفصائل عدد كبير، ومع ذلك لم ير الفيشيون أن يذكروا ذلك بكلمة
ما جحوداً ولؤماً، وظلوا يشيدون طيلة اسابيع الحركة بدماء فرنسا وضحاياها
في سبيل الدفاع عن سوريا ولبنان ضد الغزاة!!

تجدد الحيوية الافرنسية :

ولقد عكر نجاح الحملة الجديدة صفو سوريا وخيب أملها في خفة
الكابوس الذي كان يحتم على صدور أهلها بانهيار فرنسا وغدوها تحت سنابك
الامان واضطرارها إلى المسيرة؛ فقد خشوا أن تكون الحملة دماً جديداً فتعود
التصرفات الكريهة التي قاسوا منها ما قاسوا اثناء الحرب. ولم يكن يخطر لبال
أحد أن فرنسا الديغولية غير فرنسا التي سيموا من خسفها أشد ما يمكن أن
تسام به امة ضعيفة من امة قوية سوء إدارة وسوء نية وسوء إستغلال ؛ ولا
سيما إنه لم يتغير إلا الاسم، وإن كثيراً من قواد الحملة وضباطها ممن كانوا في
سوريا كما أن جل الموظفين والضباط الذين قاست منهم سوريا ما قاست
وعملوا في سبيل مناوأة الحركة العربية والروح الاستقلالية وتوطيد الاستعمار
الافرنسي والسيطرة الافرنسية ما عملوا ظلوا حيث هم، وكان كاترو رئيس
ضباط الاستخبارات والذي كان يدير بواسطة ضباطه حركات الفتن والفساد
والدس والنهب هو المندوب السامي الافرنسي في العهد الجديد

ولقد سارع تشرشل فألقى خطاباً عقب الهدنة أعلن فيه أن إنكلترا ستظل
تعترف بمصالح فرنسا وحقوقها في لبنان وسوريا وأن كان أشار إلى نية منحهما
استقلالهما وحققهما فيه كما أن الجنرال ديغول سارع إلى زيارة سوريا ولبنان وصرح
فيما صرح به أن فرنسا باقية في الشرق لمتابعة عملها العظيم في مساعدته وإرشاد

اهله، و أن تبدل الأشخاص والأسماء لا يعني تبدل فرنسا وإن كان اشار كذلك إلى ما اشار إليه شرشل، فجاء كل هذا مصداقاً في نفوس السوريين من همّ وقلق... ومن المضحكات المبكيات أن بيان رئيس الحكومة الفيشية التي كان رجالها يمرغون وجوههم على تراب أقدام الألمان لم يخل هو الآخر بأن يؤكد تعلق فرنسا ببلاد الشام حيث أذاع يعتذر به عن اضطرار قواته للهدنة لعدم التكافؤ بين القوى، ويوجه شكره لأهلها على تعلقهم بفرنسا، ويطمنهم بأن هذه النتيجة ليست إلا حالة عارضة، وان فرنسا التي أحبوها لن تتركهم وستظل تقوم بواجبها من الإرشاد والحماية نحوهم؛ ثم أمر دانز باحتفاظه بلقبه كمندوب سام وقائد عام برهاناً على اهتمامه لهذا الواجب العظيم!!.

ولقد كان فيما كان أن الجنرال كاترو أذاع بالراديو نداء ألقى بالطيارات كمنشور على سوريا ولبنان بين يدي زحف الحملة ذكر فيه أن الحملة إنما تستهدف تحرير الشام وحفظها من خطر الألمان ومنحها استقلالها على أساس التعاون النزيه ودعاهما إلى التعاون معها واستقبال العهد الجديد والفرصة الذهبية السانحة، وانه حينما قدم إلى سوريا عقب الهدنة أرسل إلى خالد العظم رئيس الحكومة كتاباً أكد له فيه هذا الوعد وطمأنه بتحقيقه في وقت قريب؛ وأن الوزير الإنكليزي ليتلتون وهو المفوض إليه أمر المسائل المدنية والسياسية في جبهة الشرق العربي جاء إلى بيروت أثناء وجود ديغول واجتمع به ثم نشر كتابان في آن واحد يثبت فيهما ما تم الاتفاق عليه في الحادثات الشفوية من أن إنكلترا لا تتعقب أي مطمع أو سياسة خاصة في سوريا ولبنان وان إنكلترا وفرنسا متفقتان على منح هذه البلاد استقلالها وحكمها الوطني على أن يكون لفرنسا حق الرجحان فيهما، والثاني من ديغول إلى ليتلتون يسجل فيه اعتراف

إنكلترا بان لا مطمع ولا سياسة خاصة لها في سوريا ولبنان واعترافها كذلك بمركز فرنسا وحق رجحانها فيهما، ويؤكد أن فرنسا متفقة معها على منح هذه البلاد استقلالها وحكمها الوطني على أساس التعاهد الذي يضمن لفرنسا ذلك المركز والحق.

المفاوضات في سبيل إقامة عهد جديد وروح فرنسا الاستعمارية فيها :

وقد جرت بناء على ذلك وعقب الهدنة بمدة غير طويلة سلسلة من الاتصالات والمشاورات بين ديغول وكاترو من جهة ورجال سوريا من جهة أخرى تحتوي في مطاويها توخي الافرنسيين تثبيت مركزهم واعتبارهم أصحاب الشأن ومصدر السلطات في سوريا وتهالكهم على الوصول إلى وضع مستقر على أيديهم على أساس معاهدة تجعل لمركزهم ورجحانهم وما ينطوي فيهما من مطامع استعمارية صبغة دولية، كأنما كانوا يخشون أن تضيق الفرصة أو كأنهم كانوا يريدون أن يستغلوا فرصة اعتراف الإنكليز بمركزهم قبل مرور الزمن عليه، مما يدل على انهم لم يكونوا في قرارة أنفسهم مطمئنين إلى الموقف بصورة عامة وإلى الإنكليز بصورة خاصة.

الإنكليز في هذا العهد :

ولقد كان وجود جماعة فرنسا الحرة وحياتها وقوادها وقواتها وحركتها قائمة بمال الإنكليز ووسائلهم، وكانت القوى الإنكليزية في سوريا تفوق قواها كثيراً، وكان وجود الإنكليز هو المحسوس والأقوى، حتى لقد ألغى محافظ الجزيرة وظيفة المندوب الافرنسي في محافظته فلم ير هذا بدأ من الرحيل، وأمر موظفي الجمر ك على الحدود بتوريد جبايتهم إلى صندوق المحافظة فأبوا فلم يلبث

أن ذهب ضابط إنكليزي على الحدود واركب الموظفين الافرنسيين سيارة وأجلاهم إلى بيروت كما كانت أبواق الدعاية الإنكليزية تهتف بالسوريين انهم أحرار في التعاقد مع الافرنسيين وعدمه، وان لهم الحق في إبداء رغباتهم بمضابط يقدمونها للسلطات الإنكليزية، وكانت دعاية ومساعي عبد الله بن الحسين في صدد اغتنام الفرصة وتوحيد بلاد الشام تنشط نشاطاً غير يسير مما يمكن أن يوهم انه من تشجيع الإنكليز، وكان فريق من رجال سوريا الوطنيين يوثق صلاته بالإنكليز الخ؛ فكل هذا أثار على ما يبدو قلق الجنرالين الافرنسيين وريبتهما وجعلهما يهتمان ذلك الاهتمام الذي أشرنا إليه.

نشاط عاهل الأردن :

ونتساءل في هذه المناسبة عما إذا كان رجال سوريا غفلوا أو تعمدوا إغفال مدى نشاط ومساعي عاهل الأردن في سبيل توحيد سوريا، وعما إذا كانت هناك فرصة أضيعت بعدم تجاوبهم بقوة مع هذه المساعي وذلك النشاط، وعدم اغتنامهما لتحقيق أمل تنشده الشام كما ينشده عبد الله بن الحسين، وعما إذا كانت السياسة الإنكليزية الرسمية مستعدة لتعزيد هذه التجاوب والاستفادة من هذه الفرصة.

والحق أن صاحب عمان نشط نشاطاً عجيباً في تلك الظروف أي في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ فضلاً عن استمراره في النشاط بعدهما في سبيل هذا الأمر؛ حيث اخذ يكتب للحكومة الإنكليزية ويتصل بممثليها في عمان والشرق العربي ويعقد معهم الاجتماعات ويقدم المذكرات والحلول ويعاود الكتابة بسبيل الرد على ما يتلقاه من أجوبة، ويحمل حكومته اتخاذ القرارات

والاتصال من ناحيتها وبصفتها الرسمية بالحكومة الإنكليزية وبذل الجهود المختلفة؛ وبادئ رجال الشام بالمراسلة عن طريق فارس الخوري، وأذاع بياناً على أهل البلاد الشامية دعا فيه إلى مؤتمر عربي لتقرير الخطط والخطوات في سبيل الوحدة السورية التي هي مطلب الجميع على ما يستفاد من الوثائق المنشورة في الكتاب الأبيض الأردني في عام ١٩٤٧؛ مما يدل على أنه كان معتقداً اعتقاداً بأن الفرصة سانحة والظرف موات.

و لقد احتوت رسالة فارس الخوري معنى من معاني التجاوب و فيها ما يمكن أن يدل على أن إخوانه أو بعضهم كانوا مطلعين و موافقين عليها ؛ و لا يبعد أن يكونوا جادين في ذلك لأنهم لا بد من أنهم قد هلعوا كما قلنا من احتمال تجدد حيوية فرنسا عن طريق الحركة الديغولية بعد ما كان من اغتباطهم بانهيائها و تعليقهم الآمال الكبيرة على الخلاص نهائياً من مخالبتها لأنهم لا بد من أنهم كانوا مدركين أن هذا الخلاص لا يتم إلا بتعضيد الإنكليز ، كما انه كان في سوريا اتجاه قوي نحو هؤلاء بسبيل الخلاص المنشود .

و مع أن أجوبة الانكليز كانت كعادتهم تحتوي شيئاً غير يسير من التنظيم و التأميل و الكلام المعسول عما تكنه بريطانيا للعرب من مودة مع العطف الشديد من آمالهم في الوحدة و مطابقتها معهم فيها فقد كانت تحتوي استمهالا و تشير إلى أن الأمور غير مجلية ، و بتعبير اصح كانت أجوبتهم مطاطة و مموهة؛ هذا إلى ما كان من تصريحات تشرشل وكتاب ليتلتون إلى ديغول المسبوق باتفاق شفوي بشأن مركز فرنسا و حق رجحانها في سوريا و لبنان . فكل هذا يمكن ان يدل على ان مساعي صاحب الاردن و نشاطه انما كان صادراً عن مطامحه و آماله القومية و الشخصية فحسب ، وأن السياسة الانكليزية

الرسمية لم تكن جادة في تشجيع ذلك النشاط و المساعي و وصولها الى نتيجة ايجابية ،وان ما كان يبدو من نشاط عمال الانكليز و همساتهم قد كان لمآرب اخرى . و لا سيما ان الظروف كانت مواتية بما كان لهم من حول و طول وبما في سوريا من اتجاه نحوهم و كره مريز نحو الافرنسيين ،فضلاً عن انه لم يكن لديقول الذي كانت حركته ضعيفة و قائمة على الانكليز في كل شيء ان يفعل شيئاً، و هو مضطر على كل حال الى السير في ركبهم بسبيل ما هو اعظم خطراً و هو تحرير فرنسا نفسها التي كانت منهارة و تحت رحمة الاقدار المجهولة. و لقد كان في ما اقدم عليه الافرنسيون في سياق قيام العهد الجديد في سوريا و تقريرهم في النهاية الوقوف موقف العداء من الكتلة الوطنية ، و تعيينهم عدوها الشيخ تاج رئيساً للجمهورية وقيام حكومة متسقة قليلا او كثيرا معهم في ذلك الموقف يعد حافز لرجال الكتلة الى التجاوب لو شجعوا عليه من قبل الانكليز بشكل من الاشكال او لو لحظوا انه مؤد الى نتيجة ايجابية. و لقد حاول بعضهم ان يوثق صلاته برجالات الانكليز ويستعديهم على تصرف الافرنسيون والسلطات الحكومية التي اقاموها، وان ينشط في سبيل تحريك الدفة نحوهم؛ فسارع الافرنسيون الى نشر بيان إنذاري لهؤلاء وامروا بعضهم بالاقامة الاجبارية في امكنة عينوها لهم، وبدأوا بحركة مطاردة واعتقال ضد من اشتبهوا في ممالأته و ضلعه في ذلك النشاط، مما اضطر من استطاع من رجال الكتلة وغيرهم من الوطنيين الى مغادرة البلاد او الاختفاء و الانزواء فلم يتحرك الانكليز ورجاهم لنصرتهم و حمايتهم فضلا عن تشجيعهم في السير في سبيل الاهداف التي كان ينشط لها صاحب الاردن. وعلى هذا فلسنا نرى محلاً للقول انه لو تضامن رجال الشام في هذه الآونة مع صاحب الاردن لكان في الامكان تحقيق هدف قومي عظيم ينشده رجال الحركة العربية، وهو تحرير سوريا ولبنان

من فرنسا وتوحيدها مع الجزئين الجنوبيين الاردن وفلسطين؛ لان هذا ما كان ليتم في حال بدون رضاء الانكليز وتشجيعهم. ونعتقد ان رجال الشام لم يكونوا في موقف يجعلهم بهذا التشجيع ولا يسرون في نطاقه ولم يخرج الانكليز ازاء حركة الوحدة والمشاورات بسبيلها عام ١٩٤٣ - ١٩٤٤ عن ذلك النطاق بالرغم عن تظاهرههم بالعطف والتشجيع مما يدل على انهم يسرون وراء سياسة مرسومة مركزة وهي عدم تشجيع العرب على قيام كيان قوي متحد لهم وتفضيل بقائهم منفردين مع دخولهم في دائرتهم ...

الجمهورية الثانية برئاسة الشيخ تاج واحداثها :

ولقد كان خلاف على كيفية بدء الخطوة الى وضع جديد في سوريا؛ فالوطنيون او بتعبير اصح رجال الكتلة الوطنية التي ظلت تمثل الحركة الوطنية كانوا يرون ان الوضع الدستوري الاول هو الذي يجب ان يعتبر قائماً فيجتمع المجلس النيابي ويقر أو يرفض استقالة هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية، فاذا رفضها عاد هذا الى مركزه والف وزارة وجرت الامور في المجرى الدستوري، واذا قبلها انتخب خلفاً له وجرت الامور كذلك على هذا النمط، وان امر التعاهد يجب ان يترث فيه؛ في حين ان الافرنسيين كانوا يرون ان يقدم العهد الجديد بأمر او خطوة تصدر عنهم، وان تتجد المعاهدة، وان تكون لهم التوجيهات الضرورية وخاصة في ظروف الحرب. وبعد اخذ ورد وتقارب وتبعد انقطع الاتصال بينهم وبين اولئك؛ فالافرنسيون اصرروا على وجهة نظرهم دون ان يعابوا بتناقضها مع اعلانهم ودعايتهم؛ والانكليز رأوا على ما بدا ان لا يتدخلوا في الامر لئلا ينقضوا عهدهم مع الافرنسيون وتفتر حماستهم في تغذية المقاومة السرية مما كان يشغل بال الانكليز في الدرجة الاولى؛ فاتصل

الافرنسيون حينئذ بالشيخ تاج الدين الحسيني الذي كان ذهب الى فرنسا عقب اقالة حكومته عام ١٩٣٥ ولم يعد الا قبل الحركة الجديدة ببضعة اشهر واتفقوا معه على وجهة نظرهم بعد ان قام كاترو بحركة استفتاء بهلوانية، وادعى ان الناس اجمعوا على ان الشيخ خير من يقوم بالمهمة! وارسل بصفته مندوباً سامياً لفرنسا الحرة اليه كتاباً يكلفه فيه بالقيام بمهمة رئيس الجمهورية وصلاحياته، ويقول فيما يقول ان اتصالاته بالناس واستشكافه الرأي العام السوري جعلاه يرى انه هو الشخصية التي تستطيع الاضطلاع بأعباء تنظيم هذا الدور الجديد على اساس معاهدة تعقد بين فرنسا وسوريا! هذا في حين انه يعرف ان الشيخ كان مغضوباً وان شعار اضراب عام ١٩٣٥ وثورته كان الهتاف ضد عهده، وانه اخفق في محاولاته في حمل الناس على التعاون معه والتعاهد مع فرنسا في ذلك العهد، وانه لم يستطيع البقاء على اثر إقالته .. وهكذا ظهر ان الافرنسيين ظلوا على تجاهلهم بما تعنيه سوريا من حركتها الوطنية ومطالبها الاستقلالية، ورجعوا الى تمويهاتهم وحلوتهم الزائفة الخائبة ومناوأتهم للحركة العربية ولم يتورعوا بسبيل ذلك عن الكذب العلني على البلاد وعن مناقضتهم لصفاتهم وعدم اعتبارهم بما حلّ فيهم، كما ظهر انهم قد قرروا الوقوف من الكتلة الوطنية موقف العداء الذي ظلت تقفه فرنسا منها على اعتبار انها رمز للحركة العربية والروح الوطنية والنضالية.

وقد الف الشيخ وزرائه الاولى برئاسة حسن الحكيم ومن اناس عرف بعضهم بعدائه للكتلة وبعضهم بولائه الوثيق لفرنسا ومشروعاتها، وبعضهم بذبذبته او طمعه في المنصب على أي حال. فكان في هذه التشكيلة ما فيه الدليل الكافي على موقفهم ومقصدهم.

وبعد قليل اقيمت حفلة كبرى باسم الاستقلال خطب فيها كاترو والشيخ، فقال الأول ان فرنسا الحرة قد حققت ما وعدت به من منح سوريا استقلالها وانه سيباشر قريباً امر عقد المعاهدة التي تنظم الصلات بينهما، وان هذا الاستقلال مقيد بما للحرب من ضرورات مبرمة وان سوريا مدعوة لتهيئة قوى وطنية توضع تحت قيادة الحلفاء للدفاع عن القضية المشتركة، وانه مع الاعتراف بوحدة سوريا السياسية والجغرافية يجب ان تراعي رغبات بعض المناطق في تمتعها باستقلالها المحلي والاداري (يعني جبل الدروز ومنطقة اللاذقية)، وشكر الشيخ في خطابه ما كان من عطف فرنسا الحرة ووفائها ومساعدتها على اقامة كيان سوريا المستقلة وقال ان سوريا لن تنسى هذا الجميل، وانها مستعدة للتعاون مع الحلفاء في كل شيء مساهمة في تأمين النصر لهم، فوطدت هذه الحفلة والخطابان اللذان القيا فيها الصفة التي ارادها الافرنسيون للعهد الجديد، وكشفت في الوقت نفسه عن تمسك هؤلاء بالسياسة التي انتهجوها قبل الحرب بدون تبديل وتغيير.

ومما جرى ان كاترو اصدر بعد قليل قراراً بارتباط جبل الدروز ومنطقة اللاذقية بسورية كدولة على ان يحتفظا باستقلالهما الاداري ومجلسيهما التمثيليين وميزانيتهما الخاصة لما جاء في خطابه. وأقام الشيخ تاج حفلة مناسبة هذا القرار اشاد فيها بنعمة فرنسا وتحقيقها مطلب الشعب بالوحدة بعد الاستقلال ...

عودة اجواء الحرب :

ولم يلبث جو الحرب ان عاد ثانية، وان اصبحت سوريا قاعدة من قواعد

الحرب وطريقاً من طرق مواصلاتها ومركزاً من مراكز تموينها في الشرق العربي. وقد سير في الاستنفاع بكل ذلك اشواطاً كبيرة، فقامت حركة تجنيد وتطويع كان منها فصائل عديدة منها ما رابط في سوريا لاعمال الأمن والحراسة والمواصلات ومنها ما ارسل الى بعض جبهات الحرب، ووضعت السلطات يدها على مختلف مرافق البلاد وغلاتها، وتولت امر تنظيم الاعاشة المدنية بالاضافة الى العسكرية، وعبدت كثيراً من الطرق، وأنشأت كثيراً من الثكنات والمعسكرات والمطارات والمؤسسات العسكرية المختلفة، وصارت سوريا بالجملة تعج بالحركة الحربية، وساعد على هذا هجوم الالمان على الروس وانتعاش امل الحلفاء في كسب الحرب ودحر الالمان من حدود مصر من جهة وضرورة الاستعداد للدفاع عن الشرق العربي تجاه احتمال تطويق الماني عن طريق القفقاس من جهة اخرى.

وقد اهتم الانكليز لتثقية سوريا من ما يسمى اعداء او غير موالين، ولاسيما ان حركة العراق كشفت لهم عن عواطف كامنة ضدهم في بلاد العرب ناتجة عما كان منهم نحوهم من الأعيب وأساليب وكوارث وغدر، وتضامن الافرنسيون معهم في هذا الاهتمام لتثقية البلاد من اعدائهم الذين اعتادوا ازعاجهم في تاريخ النضال السوري، وكانت ضرورات الحرب وظروفها مبررات قوية. فابتليت سوريا من جراء ذلك بمحنة شديدة ولعبت الجاسوسية التي كانت مصبوغة على الاغلب بالصبغة الافرنسية او الزيبية الافرنسية دوراً غير يسير في هذا الميدان، فأخذت مراكز الاعتقال تمتلئ برجال الوطن وشبابه، واضطر كثير منهم للتواري او التشرذ، وقد تناولت المحنة كثيراً من زعماء الكتلة وشبابها وانصارها مما يبرر القول ان عداء رجال العهد الجديد للكتلة قد

لعب دوره في هذا الميدان، ولا سيما ان عهد الشيخ تاج قبول مقابلة عدائية من الشعب ودوائر الكتلة الوطنية ونشرت مناشير شديدة في انتقاد هذا العهد وتجرحه، واستغل الافرنسيون ظروف الحرب التي جعلت الانكليز يسايرونهم فعادوا الى عسفهم وارهاقهم بسبيل الاثراء ومثلوا الدور البشع الذي مثلوه في فترة الحرب الاولى.

ولقد استمر هذا العهد سنة ونيفاً، ومما جرى ان الشيخ تاج الذي كان يعرف ان منصبه غير شرعي ومحل للتجريح لانه مستمد من السلطة الافرنسية حاول ان يصبغ عليه صفة شرعية بشكل ما، فبذل مع اعضاء المجلس النيابي المعطل وساعده في جهوده الافرنسيون الذين لم ينجحوا الى اجراء انتخابات ولم يسمحوا باستئناف المجلس المعطل لحياته انسياقاً بذهنيته المعتادة، ولا سيما انهم يعرفون كما يعرف الشيخ انه لا يمكن ان ينال الثقة من طريقها العادي، فحصل على مضبطة موقعة من نحو خمسين نائباً قرروا فيها ثقتهم به واعتباره رئيساً شرعياً

ولقد تغيرت في هذا العهد ثلاث وزارات بسبب ما كان من تصرفات ومداخلات افرنسية معتادة وخاصة بسبب ادارة الاعاشة ومصاعبها. وكانت الوزارتان التاليتان للاولى في نفس الصفة التي وصفناها قبل.

موت الشيخ تاج والحياة النيابية ثانية :

وقد خلف حسني البرازي حسن الحكيم وخلف جميل الألشي حسني البرازي.

وفي عهد وزارة الألشي مات الشيخ وظلت الدولة مدة ما بدون رأس.

وقد كانت تجري خلال مدة العهد المساعي والاتصالات بالانكليز في سبيل تعديل الحال واسترضاء نفسية الشعب والتفيس عنه عن طريق إقامة وضع شرعي صحيح ليتطابق الحال على ما يعلنونه من اهدافهم الديمقراطية وخطتهم من تمتع سوريا بالاستقلال والحكم والوطني حتى استجابوا اخيراً الى هذه المساعي، واضطر الافرنسيون الذين كان وضعهم مع الانكليز وضع التابع المحتاج، فأمر يغول مندوبه كاترو بتهيئة المجال لاعادة الحياة النيابية، فنحيت الحكومة الايلشية وقام مقامها حكومة انتقال حيادية برآسة عطا الايوبي.

زعامة شكري القوتلي :

وكان جو الضغط والارهاق قد خف فاستعاد زعماء الكتلة حريتهم، وجرت الانتخابات في شهر تموز عام ١٩٤٣ بحرية تامة وانتصرت الوطنية انتصاراً باهراً بزعامة شكري القوتلي الذي انعقدت له هذه الزعامة واتجه اليه الرأي العام اتجهاً شديداً كان به رجل الساعة وصاحب الكلمة الحاسمة، وانتخب في ١٧ آب عام ١٩٤٣ بالاجماع من قبل المجلس النيابي الجديد رئيساً للجمهورية، وتألقت الوزارة برآسة زميله سعد الله الجابري وعضوية اعضاء من رجال الكتلة وغيرها وان كان الاعضاء الكتليون هم الكثرة فيها، حيث اراد شكري القوتلي ان يدشن العهد الجديد بوزارة تمثل الكتلة وغيرها، وكان يشر في الاجتماعات العامة التي كان يحضرها والرحلات التي كان يقوم بها اثناء الانتخابات باللاحيزية وبالائحاد الوطني الذي يجب ان تواجه سوريا به ما يكتنفها وما يستقبلها من ظروف، ويقطع العهد على نفسه بالتزام ذلك، وعلى هذا الاساس ترشح ونجح عدد غير قليل من غير المنتسبين الى الكتلة في دمشق وغير دمشق بتوجيه شكري وايعازه.

ولعل ما كان من امر العهد الوطني في سني ٩٣٦ - ٩٣٩ ورجاله هم رجال الكتلة وقد منوا فيه بهزة عنيفة اثرت في بنيان كتلتهم ووجدت التخاذل والشقاق بينهم مما ظل أثره مستمراً كان عاملاً في هذه الخطوة، هذا مع التنبيه على ان الكتلة كهيئة رسمية لم تكن قائمة في ظروف الانتخابات بل يصح ان يقال إنها كانت منحلة بدون قرار وإعلان منذ مدة طويلة قبلها.

العهد الوطني الثاني

١٩٤٣ - ١٩٤٦^(١)

نشاط العهد الوطني الثاني :

ولقد نشط العهد الوطني الثاني منذ قيامه الى بث الطمأنينة في النفوس بالرغم من اشتداد الحرب واستمرار ضرورتها، فأمكن اقناع السلطات

(١) إن اول تصريح الكليزي علني في هذا الباب في ٢٩ مايس ١٩٤٢ صدر عن ايدن وزير الخارجية في اجتماع عام في لندن. وقد جاء فيه: "ان العالم العربي قد خطا خطوات واسعة منذ التسوية التي تمت في نهاية العام الماضي، - بقصد قيام جمهوريتي سوريا ولبنان وتبادل العهد بين فرنسا الديغولية وبريطانيا على استقلالهما - فرغب كثيرون من مفكري العرب في ان يكون للشعوب العربية نصيب من الوحدة أعظم مما تتمتع به الآن. وهم في سعيهم لبلوغ هذه الوحدة يرجون عون بريطانيا وتأييدها. فمثل هذا النداء من اصدقاء لا يمكن الا ان يلبى. وانه ليلوح ان من الطبيعي ومن الحق ان تتعزز الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية بل والروابط ايضاً. فحكومة صاحب الجلالة من جانبها ستؤيد كل التأيد مشروع تتم الموافقة الاجماعية عليه". ثم ادلى ايدن نفسه بتصريح ثان في ٢٤ شباط ١٩٤٣ امام مجلس النواب جاء فيه: ان الحكومة البريطانية كما اوضحت قبل تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية بينهم. وان من الجلى ان الخطوة الاولى لتحقيق أي مشروع يجب ان تأتي من العرب انفسهم.

العسكرية بتخفيف وطأة هذه الضرورات، وإطلاق سراح المعتقلين ولو تدريجياً والكف عن مطاردة المتوارين والمشردين. فآخذ جو سوريا يتبدل والطمأنينة تنبث والحيوية تعود والنشاط يزداد حتى كادت الشام تعود الى سيرتها الاولى بالرغم من كابوس الحرب وسلطاته وضروراته البارزة الاثر فيها.

ولقد اخذت الدول تسارع الى الاعتراف بسوريا المستقلة فكان هذا مما ساعد على تقوية العهد وتوطيده.

وقد ساعد على تقوية العهد وتوطيده كذلك احداث هامة جرت برغم فرنسا.

مشاورات الوحدة العربية واثرها في التوطيد للعهد :

منها مشاورات الوحدة العربية التي بدأت في مصر اواخر صيف عام ١٩٤٣ أي في ظروف قيام هذا العهد والتي انتهت بنشوء الجامعة العربية؛ حيث لم تلبث حكومة هذا العهد ان اندمجت فيها.

وقد كانت هذه المشاورات نتيجة لمقدمة بدأت من سنة ١٩٤٠ بما كان من شعور الاوساط العربية القومية بضرورة الاستفادة من ظروف الحرب وتحقيق الهدف الذي استهدفته الحركة العربية وقامت الثورة الهاشمية على اساسه وهو ايجاد كيان عربي سياسي موحد، وبما كان من نشاط صاحب الاردن في صدد هذا وخاصة في صدد توحيد سوريا بعد انهيار فرنسا واستمراره في الاتصالات ورفع المذكرات والخلول؛ وبما كان كذلك من نشاط نوري السعيد في صدد اتحاد عربي يضم بلاد الشام الموحدة والعراق في الخطوة الاولى، وبما كان من

تصريحات الانكليزية رسمية بتشجيع حركة وحدة ثقافية واقتصادية وسياسية بين العرب مما كان من بواعثه ذلك الشعور والعطف من جهة وامل الانكليز في قيام كيان عربي متحالف معهم تتم به خطة المعاهدات الخليفة القائمة بين مصر والعراق والاردن والمملكة العربية السعودية ويضم في نطاقه بلباقه سوريا ولبنان اللذين كانا خارجين عن دائرة هذه الخطة دون ان يثيروا حنق حلفائهم الافرنسيين.

ولقد كان لهذا الاندماج فائدة عاجلة لسوريا لان بغى فرنسا في مايس عام ١٩٤٥ على ما سوف نذكره بعدما قد وقع بعده تضامنت دول الجامعة مع سوريا تضامناً رائعاً كان له اثر عظيم في الاوساط السياسية العالمية كان من نتائجه جلاء فرنسا عن سوريا بعد قليل.

ومما لا ريب فيه ان الافرنسيين قد حنقوا اشد الحنق من هذا الاندماج وتمنوا لو استطاعوا ان يحولوا دونه كما فعلوا في ظروف مؤتمرات لندن العربية الرسمية والبرلمانية بسبيل قضية فلسطين عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ حيث كانوا يحرصون على ابقاء سوريا منعزلة عن الحركة العربية العامة، فضلا عما ما كان من ضلع بريطانيا في هذه الحركة مما كان يزيد في حنقهم لما كانوا يتوجسونه من مقالب الانكليز لهم في هذه البلاد. ولكنهم كانوا عاجزين عن ذلك لان حركة ديفول كانت ما تزال ضعيفة وعالة في كل شيء على بريطانيا، ولم تكن لتمثل حتى حكومة في المنفى كما كان شأن حكومات بلجيكا وهولانده ويوغسلافيا واليونان التي اكتسح الالمان بلادها، وكل شأنها انها كانت لجنة باسم لجنة التحرير.

تعليقات على نتائج مشاورات الوحدة وموقف سوريا :

ونقول استطراداً ان صاحب الاردن قد حرص في ما استمر فيه من نشاط على التنبيه على ضرورة وحدة سوريا الطبيعية قبل كل شيء، وعلى بيان الاعتبارات السياسية والاقتصادية والجغرافية الوجهة التي تحتم هذه الضرورة والتذكير بها في ما كان يصدر منه من رسائل ومذكرات ويقوم به من اتصالات ويتقدم به من حلول على ان يكون هو لملك سوريا الكبرى اذا كانت وحدة ورئيسها اذا كانت متحدة^(١) وان ممثليه في مشاورات الوحدة العربية المذكورة آنفاً قد حرصوا على التنبيه كذلك على هذه الضرورة، وان نوري السعيد ممثل العراق اراد ان تكون نتيجة هذه المشاورات اتحاداً فدرالياً بين الدول العربية وقدم بعض المشاريع التفصيلية في هذا الباب، وان ممثلي سوريا اظهروا استعدادهم للموافقة على أي مشروع فيه وحدة واتحاد عربي. منوهين ان ذلك من اهداف الفكرة والحركة العربية التي نشأت وترعرعت في بلادهم ومعلنين استعدادهم للتضحية بكل اعتبار في سبيل ذلك. على ان مصر ولبنان وابن سعود فضلوا ان تقوم الرابطة على اساس احتفاظ كل دولة بكيانها واستقلالها وسيادتها ونظامها، فتغلب هذا الرأي في النهاية وقامت الجامعة العربية على ميثاقها الراهن.

وقد يخطر بالبال ان رجال سوريا المسؤولين وخاصة رئيس جمهوريتها شكري القوتلي لو تجابوا مع عاهل الاردن ومع العراق بعد ان خلصت سوريا

(١) كانت النقطة الشخصية نقطة الضعف في نشاط عاهل عمان. وقد فطن لها فيما بعد فاخذ يقول ان نظام الحكم يترك لاستفتاء البلاد وان رئاسة الاتحاد تكون بالمنابذة.

من كابوس فرنسا واصبحت تتمتع بحريتها التامة لكان من المحتمل ان يقوم نظام اتحادي بين دول الهلال الخصيب، او بين الدول السورية. وقد يكون هذا صحيحاً، ولكن الخوف من دخول سوريا في نطاق الالتزامات السياسية والعسكرية التي تقيد العراق والاردن مع بريطانيا بعد ان اصبحت حرة من كل قيد وعهد والتزام اولاً، ومن زوال النظام الجمهوري، ثانياً صار عاملاً في عدم التجاوب.

ولقد كان يبدو من خلال نشاط عاهل الاردن خاصة تصريحات وحركات كانت تصل احياناً الى اثاره البلبلة والفتنة والهياج، فكانت تحدث رد فعل نفسي شديد في رجال سوريا وصارت عاملاً مهماً آخر في عدم التجاوب ايضاً، بل ودفعت هؤلاء الى المقابلة بالمثل، فكانت مشادات ومهاترات انتقلت الى المجالس الرسمية، واشتد اندماج سوريا بما سمي بالخور المصري السعودي ازاء ما سمي بالخور الهاشمي مما فيه مظهر من مظاهر اختلاف العرب في الاتجاهات والاعتبارات الشخصية، وخيم التوتر والجفاء في سني ١٩٤٦ - ١٩٤٨ على ساحة الجامعة العربية وبين رؤساء ورجالات سوريا والاردن والعراق بنوع خاص:

على اننا نشك على كل حال في ان يكون الانكليز قد غيروا خطتهم التي ذكرناها قبل وهي تفضيل بقاء العرب منفردين وعدم قيام كيان اتحادي قوي بينهم، وانهم قد غدوا حريصين على تحقيق المشاريع الاتحادية في اقطار الشام والعراق التي يدعوا اليها ويسعى في سبيلها. واذا كنا نلمح احياناً اصابع انكليزية في ما كان من مساع ودعوة فانها لا تحمل طابع جد يدل على تغيير الخطة المذكورة ولعلها من قبيل حرب الاعصاب لتضطر سوريا ولبنان الى عقد

معاهدات مع الانكليز يدخلان بها في نطاقهم الذي تدور فيه الآن العراق ومصر وعلى النحو الذي يريدونه فتكمل بذلك حلقات السلسلة الانكليزية التي تطوي المشرق العربي والتي اخذت تمتد الى بعض انحاء المغرب العربي ايضاً مع بقاء الدول المرتبطة بها منفردة. ولعل من الدلائل على هذا ما يدار من الكلام على العزلة والانفراد وما في ذلك من خطر وضرر على سوريا ولبنان، بل وعلى فائدة وضرورة التعاقد الاقتصادي والسياسي مع بريطانيا صراحة اثناء دوران الكلام حول تلك المشاريع. ولعل من مقاصد حرب الاعصاب في ما كان يلمح من اصابع الانكليز التشويش والبلبل بين العرب وفت الاعضاء فيهم، ولا سيما ان الكلام حول سوريا الكبرى خاصة قد اشتد في وقت اشتدت فيه خطورة قضية فلسطين واشتدت فيه النقمة على بريطانيا لموقفها الغادر المتصل بسياستها اليهودية المركزية منذ البدء وفتحها باب الهجرة اليهودية والقضية اليهودية من جديد بعد ما اوصدته بيدها بالكتاب الابيض الذي قطعت على نفسها فيه العهد بالوقوف من تلك الهجرة والقضية في الحد الذي وصلت اليه وبانتهاء الانتداب على فلسكين واعلان استقلالها على اساس النسبة الراهنة من سكان. وقد المع الى هذا كثير من رجالات العرب الرسميين وغير الرسميين في مختلف المواقف خلال سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ولعل من الدلائل على عدم تغيير الانكليز خططهم التي اشرنا اليها عدم قيام اتحاد بين العراق والاردن مع انه جرى حوله كثير من الكلام وجاء وقت قيل فيه انه تم او كاد، وليس امامه أي مانع او اعتبار من تلك الموانع والاعتبارات.

ومن الاحداث المهمة التي ساعدت على تقوية العهد الوطني اندماج سوريا في ميثاق الاطلانطي واعلانها الحرب على دول المحور حيث ادى هذا

الى اشتراكها في تأسيس هيئة الامم وميثاقها في مؤتمر سان فرانسيسكو ثم اعتبارها عضواً مؤسساً في هيئة الامم المتحدة نتيجة لذلك.

وقد تم هذا الحادث نتيجة لرحلة قام بها رئيس الجمهورية في اوائل عام ١٩٤٥ الى المملكة العربية السعودية ومصر. في ظروف مؤتمر الاقطاب الأربعة حيث اجتمع رئيس الجمهورية بشرشل وابدى رغبته في انضمام سوريا للحلفاء في ميثاق الاطلانطي وعلان حالة الحرب مع المحور على اعتبار ان سوريا مشتركة في الحرب بكونها مركزاً من مراكز الحركات الحربية ومواصلاتها وتموينها وبكون فصائلها مشتركة فعلاً في الجهود الحربية في سوريا وفي بعض الجبهات الحربية ولو كان بطريق التطوع. ومع ان شرشل ابدى شكه في دعوة سوريا الى مؤتمر سان فرانسيسكو فان رئيس الجمهورية حينما عاد القى خطاباً في المجلس النيابي عن رحلته وما جرى فيها وطلب اقرار اعلان الحرب والموافقة على اشتراك سوريا في ميثاق الاطلانطي فقرر المجلس ذلك واعلن الامر للحلفاء ثم بذلت المساعي في سبيل الاشتراك في المؤتمر وعصبتها انكلترة فنجحت اخيراً وارسلت اليها الدعوة، ولم يسع فرنسا الا بالموافقة على مضمض. وارسلت سوريا مندوبيها الى سان فرانسيسكو.

ولقد كان لهذا الاشتراك نتيجة عاجلة غير اعتبارها عضواً ذا سيادة وسقوط الانتداب عنها؛ وهي استغلال هذا المؤتمر العالمي العظيم ضد فرنسا التي اقدمت في ظروف انعقاده على بغيتها اللئيم في مايس ١٩٤٥ فاثيرت ضجة كبيرة فيه اندمغت بها فرنسا وخزيت وكان لها تأثير كبير في ما تم من جلالتها نهائياً، لان المؤتمر كان بسبيل وضع ميثاق السلم ومنع البغي والعدوان وحق الشعوب في السلامة والحرية وتقرير المصير تحقيقاً للاهداف التي اعلنها الحلفاء وسجلها ميثاق الاطلانطي ..

ومما جرى بعد بضعة اشهر من قيام هذا العهد ان اجتمع المجلس النيابي وقرر عدم شرعية وبطلان المادة (١١٦) في الدستور، وهي التي وضعها بونسو عام ١٩٣٠ وقيد بها ممارسة سوريا لسيادتها وحقوق رئيس جمهوريتها وحكومتها ولم يكن رئيس الجمهورية والنواب اقساموا بالخلاص للدستور بسبب وجودها، وعقد المجلس جلسة خاصة في ٣٠ كانون الثاني من سنة ١٩٤٤ اقسام فيها الرئيس والنواب للدستور بعد اعلان بطلان هذه المادة الانتدابية الخبيثة، وبلغ ممثلو فرنسا هذه الصفة الشديدة التي ردت سوريا بها اعتبارها وكرامتها.

ولقد اهتم رجال العهد منذ بدئه لاصلاح شؤون الدولة وتوسيع نطاق التعليم والمنشآت العلمية والصحية والاقتصادية والزراعية والفنية، فاستطاعوا بفضل الجود الجديد السائد ان يخطوا في هذا المضمار خلال السنوات الثلاث الاولى خطوات واسعة تمثلت في ما كان من مقررات موازنة المعارف وعدد طلابها ومدارسها وعدد المصحات والمستشفيات وموازنة الاشغال العامة^(١)، وفي

(١) كان المجموع الكلي للطلاب في اول سنة ١٩٤٣ (١٢٠) ألفاً فاصبح في سنة ١٩٤٦ (١٩٠) ألفاً وكان عدد المدارس (٦١٨) فاصبح (٨٥٧) وكان عدد طلاب الجامعة (٦٨٠) فاصبح (١٨٠٠) وكانت موازنة المعارف ستة ملايين ليرة سورية فاصبحت اربعة عشر مليوناً.

واصبح في كل مركز قضاء مصح وفي كل مركز محافظة مستشفى بحيث تضاعف العدد عما كان سابقاً. وكانت موازنة وزارة الاشغال العامة في اول سنة ١٩٤٣ نحو ثلاثة ملايين ونصف ليرة سورية فاصبحت في سنة ١٩٤٦ عشرين مليوناً عدا ما خصص لمشروع الهاتف الالي العظيم من موازنة خاصة بلغت نحو ستة وعشرين مليوناً. ولقد خصص وانفق لشؤون الاعمار والاشغال العامة في اثنين وعشرين سنة

العديد من الانظمة واللوائح والقوانين، فضلاً عن ما هبأه جو العهد من طمأنينة حملت رجال المال على تأسيس الشركات الصناعية الكبيرة التي انشأت منشآت ومصانع تضاهي أحدث وأكبر المنشآت الحديثة.

وكان من اهم ما اهتموا له تخليص كتائب الجيش الاهلي وقوى الشرطة والدرك من السيطرة والقيادة الافرنية، واستلام الدوائر والمصالح المعروفة بالمصالح المشتركة التي كانت تدار من قبل السلطات الانتدابية مما كان من المظاهر الصارخة للتحكم والاستعمار وانتقاص استقلال البلد وكرامته وسيادته.

ولقد حاول الافرنسيون ان يجعلوا من هذه المسألة وسيلة لتوطيد مركز ممتاز لهم في سوريا وأخذوا يجاذبون رجال العهد الوطني الجديد ويشادونهم حولها، ويطالبون بعقد معاهدة توطد العلائق بينهم وبين سوريا يضمن لهم مركزهم الثقافي والاقتصادي والعسكري قبل النزول لهم عن هذه المصالح. ووقف رجال العهد إزاء ذلك موقفاً قوياً أساسه تفادي الارتباط بأي عهد يجعل لأي دولة مركزاً ممتازاً في بلادهم مع الاستعداد لاقامة الصلات بين سوريا والدول الأجنبية بما فيها فرنسا على أساس المماثلة وتبادل المنافع والمودة دون فرق ولا تمييز، ووجوب تخلي فرنسا قبل كل شيء عن ما في يدها من المصالح لما في بقائها من المساس بالسيادة وتعطيل الأمور.

ولقد كان هذا الموقف مضافاً الى المواقف السابقة يشير ديغول وجماعته ويحملهم على ارسال التصريحات التي تعبر عن امتعاضهم من رجال العهد

من عهد الانتداب واحد وثلاثون مليون ليرة فأربى ما خصص في السنوات الثلاث لهذه الشؤون على سبعة واربعين مليون عدا مخصصات مشروع الهاتف!!

وتصلبهم وتعصبهم، وتحمل روح التهديد والنيات المريبة نحو العهد، واخذوا يتصلون بالحكومة البريطانية لتسوية الامور معها ذهاباً منهم الى ان هذه الحكومة هي التي تدعم رجال العهد في موقفهم؛ وعانت هذه الحكومة نتيجة لذلك فصرحت باعترافها بمصالح فرنسا في سوريا ولبنان واملها بقيام تفاهم حر بين الفريقين على هذه المصالح.

غير ان رجال العهد ظلوا مصممين على موقفهم بوجوب تسليم دوائر المصالح المشتركة قبل كل شيء ودون ما قيد وشرط، وتمكنوا بعد العناء والمشاقة والتضحيات المالية الجسيمة.

عقد اتفاق في تاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٤٣ بين ممثلي سوريا ولبنان من جهة والجنرال كاترو ممثل فرنسا من جهة على تسليم هذه المصالح تدريجياً وفي اوقات محددة خلال ستة اشهر، وتنفيذه باستثناء كتائب الجيوش المحلية. وقد أقيمت في سوريا ولبنان حفلات مشتركة لتوقيع اتفاقيات تسليم الصلاحيات فكان هذا اعلاناً بزلزلة اقدام فرنسا من البلدين.

التشاد على تسليم الجيش الوطني ومكر فرنسا :

اما الجيش فقد استبقاه الافرنسيون في ايديهم على ما بدا كرهينة على الحصول على المركز الثقافي والاقتصادي والاستراتيجي الممتاز الذي يطالبون بعقد المعاهدة المضامنه له؛ وكان سبباً من اسباب المشاقات المضنية ثم الكارثة الدموية الباغية التي اوقعها الافرنسيون في البلاد حينما رأوا ان سوريا قد تفلت من ايديهم وجن جنونهم. غير ان رجال العهد ظلوا ثابتين في تصميمهم على عدم الارتباط بأي معاهدة تمنح فرنسا او غيرها مركزاً ممتازاً ما، وفي المطالبة

بتسلم الجيش اسوة ببقية الدوائر والمصالح التي استلموها. وعادت الاتصالات بين فرنسا وبريطانيا وعادت التصريحات من جانب هذه بالاعتراف بمصالح تلك، وعادت تهديدات ديغول وتصريحاته تحمل النيات المريبة والمقاصد العدوانية مما كان يجعل الموقف متوتراً واجو متلبداً.

ومما كان وفيه الدلالة على نيات فرنسا المريبة انها ظلت تعتبر ممثلها مندوباً ولم تلقبه بلقب سفير او وزير مفوض، وظل هو يعتبر نفسه كذلك رغمًا عما كان يثيره هذا من المشادة والامتعاض والمواقف الحرجة. ولقد حاول ان يمارس سلطة المندوب السامي التشريعية في مناسبة ما فأصدر في حزيران عام ١٩٤٤ بعض القرارات؛ ومع انها كانت تافهة وغير متصلة بشؤون سوريا ولبنان اتصالاً جوهرياً فقد رأى رجال العهد في البلدين ان يقفوا امام ذلك مهما كلفهم الامر فأصدرت كلتا الحكومتين بياناً اشارت فيه الى هذه القرارات واعلنت انها لا تعترف لأحد بأي حق في اصدار قرارات تشريعية مهما كان موضوعها وانها تعتبر ما صدر من جانب المندوب الافرنسي باطلاً ولاغياً وتعلن ان سلطة التشريع منحصرة بالدولة ومنظماتها الدستورية. وقد كظمت فرنسا غيظها من هذه الصفة، لانها على ما بدا لم تكن في ظرف يمكنها من ان ترد عليها، فقابلتها بهدوء. وقد ظهر في ما بعد ان هدوءها هو هدوء ما قبل العاصفة وانها كانت تسر في نفسها البطشة الكبرى حال ما يتم استعدادها لها.

كارثة مايس ١٩٤٥ وبغي فرنسا :

وقد كانت هذه البطشة الكبرى في مايس سنة ١٩٤٥ فكانت على سوريا كارثة مفجعة كلفتها كثيراً من الضحايا والخسائر ولكنها كانت في ذات

الوقت انتفاضة المختصر قبل لفظ نفسه الاخير بالنسبة لفرنسا في سوريا وفي لبنان معاً.

ولقد بدت مقدماتها العملية في اوائل السنة المذكورة حيث اخذ الافرنسيون يقوون انفسهم حرياً في إرسال الامدادات المتوالية بينما ظلوا يماطلون في امر تسليم الجيش؛ مما جعل الحكومة السورية ترتاب وتطلب تفسيراً لهذا الامر بالتضامن مع الحكومة اللبنانية. وقد اعتذر الافرنسيون بانهم لا يقوون جيوشهم وانما يدلون بعض كتائبها؛ وكان عذراً زائفاً، ولاسيما انه كان من المفروض ان تجلو هذه الجيوش عن البلاد في اول فرصة سانحة لان الحرب قد انتهت او كادت.

على انهم لم يلبثوا ان كشفوا عن نياتهم بعد ان اطمأنوا الى قوتهم وامكانهم أن يملوا مطالبهم املاءً؛ حيث ارسل مندوبهم مذكرة للحكومتين السورية واللبنانية بتاريخ ١٨ مايس ١٩٤٥ دعا فيها الحكومتين الى المفاوضة في الاتفاقات التي تضمن لفرنسا مصالحها الجوهرية وعقدها حتى يتم لها ممارسة شؤونهما ممارسة استقلالية كاملة؛ منها اتفاق ثقافي و . اتفاق قنصلي وتجاري ومنها اتفاق استراتيجي بحجة ضمان طرق - مواصلات فرنسا وممتلكاتها في ما وراء البحار؛ وختم مذكرته بقوله: "انه عندما يتم التفاهم على هذه النقاط توافق الحكومة الفرنسية على نقل كتائب الجيوش الى الدولتين مع الاحتفاظ بابقائها تحت القيادة الافرنسية ما دامت الظروف لا تسمح بممارسة القيادة الوطنية ممارسة تامة.

وكان مفهوماً من المفاوضات والاحاديث انهم يريدون ان تكون اللغة الافرنسية والثقافة الافرنسية مركزاً متفوقاً في المجالس السورية وان يكون

لرعاياهم وتجارتهم واقتصادياتهم مثل هذا المركز، وان يكون لهم مطارات وقواعد استراتيجية ومن عجب قحتهم وروحهم الحمقاء انهم لم يكتفوا بهذا الثمن الفادح لتسليم مقاليد الجيش بل ارادوا ان تبقى قيادة هذا الجيش ايضاً في ايديهم!

وقد رأت الحكومتان السورية واللبنانية الشطط والنية السيئة المبيتة فاجتمع رئيسا الجمهوريتين واركان حكومتيهما وقرروا رفض المذكرة وقطع المفاوضات والقاء جميع التبعات التي يمكن ان تنجم عن هذا الموقف على عاتق الحكومة الفرنسية كما قرروا توحيد الجهود والمساعي للدفاع عن سيادة البلدين واستقلالهما، وارسلوا لمدوب فرنسا مذكرة جوابية ضمنوها ذلك وطالبوا بانسحاب جميع القوات الاجنبية بما في ذلك القوات الفرنسية وجلائها عن اراضيها وتسليمهما كتائب الجيش الوطنية في اقرب وقت وبدون قيد وشرط وقد ارسلوا مذكرة الى الدول الحليفة والصديقة سردوا فيها موقف فرنسا المتعنت للعدوان بما ترسله من امدادات عسكرية لا ضرورة لها ومطالبتهما بما يمس سيادتهما واستقلالهم اللذين اعترفت بهما، وطالبوا بتدخلها واستعمال نفوذها لحملها على سحب جيوشها مع سائر القوات الاجنبية من البلاد.

وكان الافرنسيون بدأوا منذ قدوم الامدادات بتصرفات استفزازية في مناطق ومناسبات عديدة من اطلاق النار واقامة التحصينات وازعاج الناس وسلبهم وتدمير فتن مسلحة يقوم بها انصارهم ومأجورهم، وكان كل ذلك يحدث رد فعل في الحكومة والشعب ويزيد من هياجهم، فقابل الافرنسيون هذا بتحديات جديدة في دمشق نفسها حتى انزلوا سرايا الجيش والفصائل

السنغالية الى الشوارع واخذوا يتحرشون بالناس، واخذت الحالة تزداد توتراً وحرَجاً؛ واخذ الناس يدعون للجهاد ومجلس النواب يدرس قانوناً للتجنيد لتكوين جيش وطني يعتمد عليه، حتى اذا قارب شهر مايس نهايته كان التوتر بلغ ذروته بين الطرفين، وانتقل البغي الفرنسي الى طور علني وجدي.

ولقد وقعت في يد الحكومة السورية وثيقة خطيرة تدل على ما كان الافرنسيون يضمرونه من غيظ من العهد الوطني ورجاله ويبيتونه له من نيات شريرة جنونية، حينما رأوا رجاله يقفون موقف الرفض البات من مطالبهم، والارض التي بذلوا الجهود الطويلة في سبيل توطيد اقدامهم الاستعمارية عليها تنسلخ من تحتهم. وقد لا يتجاوز صبرهم بضع ساعات، وعند ذلك تشرع في المجزرة الكبرى. وليكن كل واحد مستعداً. وسنصفى الحساب كله في ضربة واحدة! وهناك وثيقة اخرى وزعت قبل هذه بايام بصفة بيان سري من القيادة العامة في دمشق يعين فيها المواقع التي يجب ان ترابط بها القوات وتذكر أن واجب فرنسا وشرفها العسكري يقضي بابادة جميع العناصر التي تريد اخراج فرنسا من سوريا، وانه يجب احتلال جميع دوائر الحكومة السورية ومؤسساتها كما يجب منع سوريا من الاتصال بالدول العربية المجاورة؛ ويجب ادارة البلاد من قبل حاكم عسكري. وقد رسم البيان الخطة اللازمة لاحتلال دوائر الحكومة وقصر الرئاسة ودور الوزراء والبرلمان السوري ودوائر الشرطة والدرك والبلدية ثم احتلال المدينة احتلالاً تاماً والقبض على خصوم فرنسا، وذكر في هذا البيان الخطير الذي وزع في دمشق ان تعليمات خاصة ارسلت الى باقي الدول السورية ليكون العمل مشتركاً والضربة شاملة في آن واحد. وهذا البيان مؤرخ في ٢٢ مايس ١٩٤٥ اي قبل المجزرة باسبوع وبعد تقديم المطالب

الافرنسية ورفضها بخمسة ايام، وقد نقل في هذا الظرف نفسه نساء الفرنسيين واطفالهم إلى المطار، وكل هذا دليل ساطع على أنهم كانوا يسيرون في ما ينون عمله عن تدبير وبينة وتفاهم وان المجزرة قد رتبت ترتيباً ولم تكن مرتجلة.

وفي تاريخ ٢٩ مايس بوغت دمشق بقنابل المدفيعات تقصفها وتحاول دكها، وبوغت الناس بوابل من النار من اماكن متعددة ومستحكمة كانت في ايديهم، واختصوا بعنايتهم دار البرلمان حيث كان من المتوقع ان تنعقد جلسة يشهدها الوزراء فتعمدوا قذفها واخذها بنطاق النار، وقد ابيحت المدينة للفصائل الافرنسية والسنغالية فاعملت فيها يد النهب والسلب والتحريق والتدمير، واستمرت المجزرة نحو اربعين ساعة توقفت اثناءها قليلاً بطلب المثلين السياسين لنقل نساءهم واطفالهم ثم عادت الى شدتها كأن المعركة معركة حرية رسمية وقد وقع مثل هذا في المدن السورية الاخرى بحيث كانت سوريا خلال هذه الساعات تموج بالنار والدماء والاشلاء والتحريق والتدمير. وقد تجاوز العدد المطلوب من القتلى الستمائة ومن الجرحى الألفين، وقدرت الخسائر بعدة ملايين، وسجل المراقبون اعمال النهب الواسع، واكتشفت جثث كثيرة مثل فيها ابشع تمثيل.

وتكررت مأساة الأهمال والارتجال والبلبة وعدم الاستعداد التي كانت في العهد الوطني الاول وفي عهد فيصل قبله، فلم تكن الحكومة والشعب على استعداد للدفاع المجدي والوقوف في وجه العدوان في اكثر المواقع، ولم تفد الاحداث السابقة عبرة وعظة ما، على ان قوات الدرك والشرطة وكثيرا من الشباب في دمشق وحماه وحلب وغيرها قد سجلوا مواقف بطولة واستبسال في سبيل رد العدوان، وقد سلم متطوعة الدروز في الجيش سلاحهم وامكن اعتقال

الضباط والقوات الافرنسية الاخرى في الجبل كما امكن حصر واعتقال القوات الافرنسية في درعا وبعض الاماكن الاخرى.

التدخل الانكليزي :

ولقد كانت الحكومة السورية دائبة الاتصال بالدول الحليفة وخاصة ببريطانيا التي كانت ضمنت لسوريا تحقيق استقلالها وحكمها الوطني؛ ولقد نصحتها هذه بالتفاهم مع فرنسا كما نصحت فرنسا بعدم الغلو، غير ان الحالة ظلت تشتد توتراً، فلما بلغ الموقف ذروته واشتدت المجزرة ناشدت الحكومة السورية بريطانيا مساعدتها ووفاءها بوعدها، فسارعت هذه الى اصدار امرها الى قواتها بالتدخل واعادة النظام ورد الافرنسيين الى ثكناتهم كما ارسلت مذكرة الى ديغول تخبره باضطرابها الى ما قررته وتطلب منه اصدار الاوامر اللازمة تفادياً من الاصطدام بين القوى الانكليزية والقوى الافرنسية. وقد نفذت القيادة الانكليزية الامر بما تحت يدها من قوى في سوريا وبما جلبته من قوى مساعدة من فلسطين في ٣١ مايس وما تلاه من ايام حتى غدت القوى الافرنسية كالأسيرة في ثكناتها ووقفت المجزرة عند الحد الذي وصلت اليه.

اهتمام الانكليز والاميركان للحادث :

ولقد كان اهتمام الحكومة البريطانية بالغاً اثناء الأزمة واشتد الى درجة الخطورة في لحظاتها الاخيرة، حتى لقد عقدت الوزارة جلستها في الليل في مجلس النواب حيث كان منعقداً، وكان وزير الخارجية يتردد بين غرفة الوزارة وقاعة المجلس لينقل للاعضاء تطور الأزمة، وكان الاعضاء يقابلون خبر قصف

الافرنسيين دمشق بالاستنكار كما قابلوا خبر صدور الامر بالتدخل العسكري بالهتاف.

وكذلك كان اهتمام الحكومة الاميركية، حيث كانت المشاورات مستمرة بينها وبين الحكومة البريطانية خلال الازمة الى ان وصلت الى ذروته.

وقد صدرت عن وزارة الخارجية الاميركية تصريحات تنديدية بموقف فرنسا وما لاختلال الامن في الشرق الاوسط من تأثير في الجهود الحربية في الشرق الاقصى.

ولقد كان اهتمام الصحافة الانكليزية بالغاً منذ اخذت الامور تتأزم، وكانت توجه التنديدات القارصة الى فرنسا لتجاهلها ذهنية العالم الجديدة واصرارها على الاستمرار في ذهنيته العتيقة؛ كما كانت تطالب الحكومة بالوقوف موقف الحزم واشعار سوريا بصدق ضمان بريطانيا لاستقلالها ووفائها بوعداها.

كذلك اهتمت الحكومة السوفيتية اهتماماً كبيراً للموقف وارسلت الى الحكومات الاربع الكبرى انكلترا واميركا وفرنسا والصين مذكرات لفتت نظرها الى ما كان من عدوان القوى الافرنسية على المدن السورية وسكانها بالمدافع والطائرات والجنود واستنكرته اشد الاستنكار وطلبت العمل المشترك في ايقافه، وحملت محطات الاذاعة الروسية عليه حملات شديدة.

ولقد كانت وفود الامم تعقد اجتماعاتها في سان فرانسيسكو من اجل توطيد نظام هيئة الامم وميثاقها، فاستغل العرب الذين كانوا قد جمعوا شملهم في تشكيلة الجامعة العربية هذه الاجتماعات، واثاروا القضية واذاعوا اخبار

العدوان الباغي، فكان لذلك رد فعل استنكاري شديد في مختلف اوساط العالم السياسية والصحافية، ولاسيما ان سوريا كانت قد انضمت الى صفوف هذه الامم وكان مندوبيها في سان فرانسيسكو يشتركون مع مندوبي الدول الاخرى في وضع نظام العالم الجديد القائم على الحق والحرية، واصبحت بذلك معترفاً باستقلالها وسيادتها واقعياً وطبيعياً ومتخلصة من صفة الانتداب دولياً.

تحمّلات فرنسا وحنقها :

وطبيعي ان تدخل الانكليز على الوجه الذي تدخلوا به ووقوف اميركا الى جانبهم والضجة التي اثارتها صحافتهم قد احدثت استياءً شديداً في نفس ديغول والاطواط العسكرية والاستعمارية الفرنسية؛ واذ لم يكن في امكانهم ان يمنعوا التدخل الانكليزي بالقوة فقد رضخوا له؛ ولكنهم اخذوا يقابلون الهجوم بهجوم معاكس، فيعزّون صراحة حيناً وتلميحاً حيناً اخر ما كان من الانكليز الى ما يبيتونه من نية باخراج فرنسا من سوريا والحلول محلها بالرغم عن تضاهرهم، كما اخذوا يبدون دهشتهم من مناصرة الانكليز لموقف سوريا المتعنت وتاليهم عليهم العالم بينما لم تكن المطالب الفرنسية الا مثل ما يتمتعون به انفسهم في مصر والعراق والاردن. واخذوا في ذات الوقت يذيعون ان ما كان في سوريا انما هو من عناصر شغب لا تمثل الشعب وان ما يطلبونه لا يتعارض مع استقلال سوريا وسيادتها وانه نتيجة لما كانت تحمله من التزامات دولية لم تلقها عنها بعد الى آخر الاسطوانة السمجة التي اعتادوها دون مبالاة بما تنطوي عليه من حمق وقحة وتناقض.

تضامن البلاد العربية في الحادث :

ولقد كان للبغي الواقع فعل شديد في البلاد العربية فاضربت فلسطين والاردن والعراق تضامناً مع سوريا، وحملت صحافتها حملات شعواء على فرنسا وطالبت الحكومات العربية بقطع علاقاتها بها واعلان المقاطعة الاقتصادية عليها، وقدمت الحكومات احتجاجاتها الشديدة وقامت باتصالات سياسية متنوعة بسبيل ذلك، وتناولت البرلمانات العربية المسألة منددة محتجة؛ وانعقد بعد ايام قليلة مجلس الجامعة العربية فكان موضوع سوريا وكرائتها موضوعاً رئيسياً فيه وقد ارسل الملك فاروق رسالة قوية تليت في الاجتماع جاء فيها ما جاء : " لقد اصيبت مدن سوريا العزيزة في الحوادث الاخيرة اصابة مفجعة احزنني واحزنت شعبي، ويعزيني فيها اني اعلم ان النضال عن الحق شرف ولذة. فلنعمل لاستقلال سوريا ولبنان وسيادتهما الكاملتين ولنعمل لاستقرار الامن والسلام فيهما ، وليكن لجامعة الدول العربية الذي نوده لها و تريده الامة العربية كلها. فان في قوة الجامعة قوة لجميع اعضائها". وقد شرح سعد الله الجابري ادوار المواقف وتطوراتها ومطامع فرنسا وتمحلاتها ثم صفحات بغيتها اللئيم ووحشيتها فيه، ومن جملة ما ذكره ان ممثلي اميركا وانكلترا اندهشا مما قاله لهما من مطالب فرنسا الثقافية والاقتصادية والعسكرية ولم يصدقوا ذلك الا بعد ان قرأ المذكرة الافرنسية، وان ممثل اميركا قال له ان الاذاعة الافرنسية كانت تذيع والعدوان في شدته ان القوى الافرنسية لن تكف حتى ترضخ الحكومة السورية للمطالب وتوقع على الاتفاقيات المعروضة. وقد خطب رؤساء الوفود خطباً قوية واستنكروا فيها عدوان فرنسا واعلنوا تضامنهم مع سوريا الى النهاية، ثم قرر المجلس تأييد سوريا ولبنان في طلب الجلاء العاجل لجميع القوات الافرنسية

من اراضي الجمهوريتين وتحميل القوات الافرنسية تبعة الخسائر والضحايا التي
اوقعتها في سورية واعتبارها في موقف المعتدي وبذل الجهود المشتركة في سبيل
تحقيق الجلاء العاجل.



الملك فاروق

الجامعة العربية

كان العرب في عهد السلطنة العثمانية لا يفرقون بين قطر وآخر من أقطارهم، ولم يكن أحد منهم يقول أنه عراقي أو سوري أو فلسطيني، بل إن اسم العراق لم يكن معروفاً عند عامة الشعب وكذلك اسم فلسطين، وكان اسم سوريا يطلق على ولاية دمشق، وكانت القدس متصرفية تابعة لولاية بيروت. فلما قضت نتائج الحرب العالمية الأولى بتقسيم هذه البلاد بين دولتين عظيمتين قويتين، اضطر سكان كل قطر منها إلى العمل على استرداد حريته واستقلاله من الدولة التي انتزعتها منه، متعاوناً في ذلك مع الأقطار الأخرى جهد الطاقة، بتأثير روح الوحدة التي كانت تسود الجميع، فحملت سوريا على الانتصار للعراق في أثناء ثورته، وأهابت بالعراق إلى تأييد سوريا في جميع ثوراتها، ودفعت بالعرب في جميع أقطارهم إلى الوقوف صفاً واحداً وراء فلسطين وبذل جميع التضحيات اللازمة لإنقاذها. وكان مفكرو العرب في خلال ذلك، يزدادون كل يوم شعوراً بأن الجهود التي يبذلها كل قطر من أقطارهم على حدة لا تكفي، مهما تلقى من تأييد الأقطار الأخرى، لإظهارهم بمظهر القوة المطلوبة لاسترداد حقوقهم المهضومة، وإسماع العالم كلمتهم الحقّة، وبأن شر ما ينجشاه المستعمرون الحريصون على دوام الاستعمار في الشرق العربي هو تآزر العرب وتعاونهم على نيل حقوقهم ودفع الأجنبي المغتصب عن بلادهم.

وجعل العرب يبحثون عن وسيلة تكفل التعاون فيما بينهم، وتوحد قواهم في المطالبة بحقوقهم.

وقد بذلت محاولات كثيرة في هذا السبيل ابتدأت رسمياً باجتماع الملك عبدالعزيز بالمغفور له الملك فيصل في ٢٢ و ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٠ على بارجة في خليج البصرة.

وكان هذا الاجتماع خير م مهد للحوادث الخطيرة التي وقعت في السنوات الأخيرة.

ففي ١٧ ابريل سنة ١٩٣١ عقدت في مكة معاهدة صداقة بين المملكة العربية السعودية والعراق جاء في مقدمتها ما يأتي:

"وبناء على رغبة جلالتهما في بذل ما استطاع لجمع شمل الأمة العربية وتوحيد كلمتها".

وعقدت في صنعاء يوم ١١ مايو سنة ١٩٣١ معاهدة صداقة بين العراق واليمن جاء في مقدمتها "تمهيداً لتوحيد كلمة الأمة العربية".

ثم عقدت معاهدة الحلف العربي بين العراق والمملكة العربية السعودية واليمن على أساس "الأخوة العربية" وترك باب الدخول في هذا الحلف مفتوحاً لمن يرغب في ذلك من الدول العربية المستقلة أو التي ستستقل فيما بعد.

وتوالى المؤتمرات العربية بعد ذلك بدافع الرغبة في توحيد كلمة العرب، فعقد مؤتمر بلودان الشعبي من أجل فلسطين في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧، وعقد المؤتمر البرلماني العربي للغاية نفسها في القاهرة في ٧ أكتوبر سنة ١٩٣٨، واجتمع ممثلو جميع الدول العربية المستقلة في مؤتمر لندن لبحث قضية فلسطين في ٨ فبراير سنة ١٩٣٩.

ثم جاءت الحرب فأوقفت هذا النشاط، في الظاهر، بتأثير ضغط الحوادث ولكن الفكرة ظلت تنمو وتقوى على نسبة اشتداد الحاجة الى ظهور العرب بمظهر القوة تجاه احتمالات الحرب وتطوراتها المفاجئة.

فلما كان صيف سنة ١٩٤٣ بدأت الاتصالات بين رؤساء حكومات الدول العربية المستقلة للتشاور في أنجح الوسائل لابراز تلك الفكرة الى حيز الوجود، فاجتمعت كلمتهم على انشاء جامعة تضم الدول العربية المستقلة، وتهدف الى توثيق الصلات بينها، وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً لتعاونها وتآزرها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة في جميع شؤونها ومصالحها.

وبدأ العمل الجدي في هذا الاتجاه سنة ١٩٤٤، فبعد مباحثات تمهيدية بين زعماء العرب في مختلف أقطارهم، دعا رئيس الحكومة المصرية كلاً من الحكومات العربية على حدة لمباحثته في خير الوسائل المؤدية إلى هذه النتيجة، وتلا هذه المباحثات الفردية اجتماع اللجنة التحضيرية في الاسكندرية في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤. وقد عقدت هذه اللجنة ثماني جلسات انتهت بتوقيع البروتوكول المعروف باسم بروتوكول الاسكندرية في ٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤.

وفي شهر مارس سنة ١٩٤٥ استأنفت اللجنة اجتماعها في القاهرة فأعادت النظر في هذا البروتوكول وعدلت بعض مواده، ثم تحولت إلى مجلس جامعة وأقرته في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ وهو يوم إنشاء جامعة الدول العربية.

الميثاق :

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٤٥ عقد ميثاق

الجامعة بين سبع من الدول المستقلة هي المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية السورية والمملكة العراقية والمملكة العربية السعودية والجمهورية اللبنانية والمملكة المصرية والمملكة اليمنية.

وبعد التصديق عليه دخل في دور التنفيذ في الحادي عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٥ وهذا نصه:

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق:

قد أناب عن العراق:

حضرة صاحب المعالي السيد أرشد العمري، وزير الخارجية.

حضرة صاحب الفخامة السيد على جودة الأيوبي، وزير العراق المفوض بواشنطن.

حضرة صاحب المعالي السيد تحسين العسكري، وزير العراق المفوض بالقاهرة.

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:

قد أناب عن المملكة العربية السعودية:

سعادة الشيخ يوسف ياسين، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية.

سعادة السيد خير الدين الزركلي، مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة.

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية:

قد أناب عن لبنان:

حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامي، رئيس الوزراء.

سعادة السيد يوسف سالم، وزير لبنان المفوض بالقاهرة.

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر:

قد أناب عن مصر:

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا، رئيس مجلس الوزراء.

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا، رئيس مجلس الشيوخ.

حضرة صاحب المعالي عبد الحميد بدوي باشا، وزير الخارجية.

حضرة صاحب المعالي مكرم عبيد باشا، وزير المالية.

حضرة صاحب المعالي محمد حافظ رمضان باشا، وزير العدل.

حضرة صاحب المعالي عبدالرزاق أحمد السنهوري بك، وزير المعارف العمومية.

حضرة صاحب العزة عبدالرحمن عزام بك، الوزير المفوض بوزارة الخارجية.

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن.

قد أناب عن اليمن:

الذين بعد تبادل وثائق تفويضهم التي تخولهم السلطة كاملة والتي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل، قد اتفقوا على ما يأتي:

مادة ١ - تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الواقعة على هذا الميثاق.

ولكل دولة عربية مستقلة الحق في أي تنضم الى الجامعة، فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ويعرض على المجلس في أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب.

مادة ٢ - الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها.

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها في الشؤون الآتية:

(أ) الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعمل وأموار الزراعة والصناعة.

(ب) شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد.

(ج) شؤون الثقافة.

(د) شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين.

(هـ) الشؤون الاجتماعية.

(و) الشؤون الصحية.

مادة ٣ - يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلي الدول المشتركة في الجامعة، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها.

ويكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات في الشؤون المشار إليها في المادة السابقة وفي غيرها.

ويدخل في مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

مادة ٤ - تؤلف لكل من الشؤون المبينة في المادة الثانية لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة.

ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية

الأخرى ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل.

مادة ٥ - لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دولة الجامعة، فإذا نشأ بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذا وملزما. وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف حق الاشتراك في مداوات المجلس وقراراته.

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما. وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء.

مادة ٦ - إذا وقع اعتداء من دولة على أعضاء الجامعة أو خشي وقوعه فللدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فورا.

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ويصدر القرار بالاجماع فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة لا يدخل في حساب الاجماع رأي الدولة المعتدية.

وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس فلممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة في الفقرة السابقة، وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده.

مادة ٧ - ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزما لجميع الدول المشتركة في الجامعة، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزما لمن يقبله.

وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة وفقا لنظمها الأساسية.

مادة ٨ - تحترم كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول الجامعة الأخرى. وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول وتتعهد بأن لا تقوم بعمل يرمي الى تغيير ذلك النظام فيها.

مادة ٩ - لدول الجامعة العربية الرغبة فيما بينها في تعاون أوثق وروابط أقوى مما نص عليه هذا الميثاق أن تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الأغراض.

والمعاهدات والاتفاقيات التي سبق أن عقدتها أو تعقدتها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لا تلزم ولا تقيّد الأعضاء الآخرين.

مادة ١٠ - تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية؛ وللمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر بعينه.

مادة ١١ - ينعقد مجلس الجامعة انعقادا عاديا مرتين في العام في كل من شهري مارس وأكتوبر، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك بناء على طلب دولتين من دول الجامعة.

مادة ١٢ - يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعدين وعدد كاف من الموظفين.

ويعين مجلس الجامعة بأكثرية ثلثي دول الجامعة الأمين العام، ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين في الجامعة، ويضع مجلس الجامعة نظاما داخليا لأعمال الأمانة العامة وشؤون الموظفين.

ويكون الأمين العام في درجة سفير والأمناء المساعدون في درجة وزراء مفوضين.

ويعين في ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة.

مادة ١٣ - يعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية.

ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة في النفقات ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء.

مادة ١٤ - يتمتع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها الذين ينص عليهم في النظام الداخلي بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم.

وتكون مصونة حرمة المباني التي تشغلها هيئات الجامعة.

مادة ١٥ - ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام.

ويتناوب ممثلو دول الجامعة رئاسة المجلس في كل انعقاد عادي.

مادة ١٦ - فيما عدا الأحوال المنصوص عليها في هذا الميثاق يكتفي بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة في الشؤون الآتية:

(أ) شؤون الموظفين.

(ب) اقرار ميزانية الجامعة.

(ج) وضع نظام داخلي لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة.

(د) تقرير فض أدوار الاجتماع.

مادة ١٧ - تودع الدول المشتركة في الجامعة الأمانة العامة نسخاً من جميع المعاهدات والاتفاقات التي عقدها أو تعقدتها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها.

مادة ١٨ - إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزماً على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة.

ومجلس الجامعة أن يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول ما عدا الدولة المشار إليها.

مادة ١٩ - يجوز بموافقة ثلثي دول الجامعة تعديل هذا الميثاق وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ولإنشاء محكمة عدل عربية ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التي قد تنشأ في المستقبل لكفالة الأمن والسلام.

ولا يبت في التعديل إلا في دور الانعقاد التالي للدور الذي يقدم فيه الطلب.

وللدولة التي لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقييد بأحكام المادة السابقة.

مادة ٢٠ - يصدّق على هذا الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الأساسية المرعية في كل من الدول المتعاقدة.

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ويصبح الميثاق نافذاً من قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوماً من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول.

حرر هذا الميثاق باللغة العربية في القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ في الأمانة العامة.
(وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من بلاد الجامعة).

جمهورية لبنان :

منذ وصول العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي خضعت البقاع لسيادة الدولة العربية الكبرى، ولكن ظل نفر من المسيحيين المارونيين - الذين كانوا قد هاجروا إلى جبل لبنان من أنطاكية لأسباب سياسية بين القرنين السادس والثامن - محتمين بهذا الجبل متمتعين بشبه استقلال، وبعد وصول الصليبيين انتعش النفوذ المسيحي في لبنان وقسم إلى إمارات مسيحية صغيرة فكانت إمارات طرابلس وباروت (بيروت) وصيدا والجليل وصور وعكا تتقاسم الأراضي اللبنانية، وكانت إمارات طرابلس وبيروت وصيدا وصور تضم جاليات من تجار فينيسيا وجنوا ومارسيليا، ولكن النفوذ الثقافي العربي ظل مسيطراً على لبنان، إذ أن الأساتذة الكلدانيين والسوريين كانوا يلقون دروسهم في جامعة طرابلس التي كانت مركزاً هاماً، وهذه الجامعة قد ساهمت في تعريف الغربيين بارستطاليس.

وفي عام ١٥١٦ ضم لبنان مع سورية إلى الإمبراطورية العثمانية.

وفي عام ١٦٠٣ ثار الأمير فخر الدين الدرزي على العثمانيين وهو ينتسب إلى أسرة معن، وكان قد حل محل أبيه كأمر على منطقة «الشوف»، وتابع غزواته حتى ضم حدود لبنان الطبيعية التي كانت تحكمها أسرته خلال القرن السادس عشر، وحوالي عام ١٦٢٤ حصل فخر الدين على إذن الباب العالي بأن يلقب سلطاناً. ولما ضعفت سطوة أسرة «معن» اجتمع أعيان لبنان وانتخبوا بشير الأول من أسرة شهاب أميراً على الجبل عام ١٦٩٧، وأبرز من حكم لبنان من هذه الأسرة هو بشير الثاني المعروف باسم الشهابي الذي تولى الامارة بين عامي ١٧٨٩، ١٨٤٠^(١)

وقد ساعد بشير الشهابي الجيش المصري في حصاره لعكا وأثمرت هذه

(١) تقرر دائرة المعارف الإسلامية - المجلد ٣ ص ٦٦٥، ٦٦٦ أن «الأسرة الشهابية» قرشية أباً وأماً وكان منهم ولاية حوران إلى عهد نور الدين ثم رحلوا عن وطنهم القديم واستقروا بسفح جبل هرمون بزعمارة الأمير منقذ واتخذوا حاصياً مقراً لهم... وأن قاسماً والد بشير الشهابي الثاني قد تنصر فلما تولى بشير اعتمد على الموارد بنوع خاص واستطاع أن يوطد سلطانه بعد جلاء الفرنسيين عن الشام... ونازعه أبناء عمه على الامارة فلم - يجد بداً من الالتجاء إلى مصر حيث استمال واليهامحمداً على ولما عاد إلى الشام قتل ابني عمه عام ١٨٠٧ ونقل حاضرتيه إلى بيت الدين وابتنى فيها قصراً فخماً..... غير أنه اضطر في هذه المدة إلى الذهاب إلى مصر وأناب عنه في حكم الإمارة أخاه عباساً واستطاع محمد علي أن يحمل الباب العالي على مناصرة بشير فتمكن بهذا من العودة إلى الشام وهناك خلع أخوته وأحلافه القدماء من أسرة جبلاط القوية الذين انتهزوا فرصة غيابه واستولوا على الحكم في لبنان».

المساعدة سقوط المدينة في أيدي المصريين عام ١٨٣٢، وظلل الحلف بين بشير الشهابي ومصر مستمراً بعد ذلك وساعد بشيراً على استقرار الأمن في لبنان بعد ضمها إلى مصر فاستعان بالدروز على حمل الموارنة على تسليم سلاحهم، ثم استعان بالجيش المصري في تجريد الدروز من هذا السلاح، وارتبط مصير بشير الشهابي بوجود المصريين في لبنان فلم يكذب المصريون ينسحبون حتى اضطر أن يغادر لبنان في ١٢ من أكتوبر عام ١٨٤٠.

وفي عام ١٨٤٢ حصل الباب العالي على موافقة الدول الأوروبية على ضم لبنان رأساً إلى الإمبراطورية العثمانية، وعمد الباب العالي بعد ذلك إلى تقسيم لبنان إلى «قائم مقاميتين» إحداهما فرض فيها أنها درزية والأخرى مارونية.

وفي ٣١ من أغسطس عام ١٨٦٠ - عقب المذابح المارونية - اجتمع ممثلو الدول الأوروبية في باريس واتفقوا على إرسال حملة لمساعدة الباب العالي على إقرار الأمن في لبنان، وطبقاً للاتفاق الذي وقعته هذه الدول بباريس في ٥ من سبتمبر عام ١٨٦٠ نزلت القوات الفرنسية في لبنان ثم غادرته في ٨ من يوليو سنة ١٨٦١.

وفي اليوم التالي - أو في ٩ من يوليو سنة ١٨٦١ - وقع في الآستانة ممثلو تركيا من جانب النمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى وبروسيا من جانب آخر اتفاقاً قضى بأن يعهد بحكم لبنان إلى مسيحي غير لبناني يقترحه الباب العالي، وتوافق عليه الدول الأخرى، وقد استبعدت من حدود لبنان وادي حايم والبقاع وصيدا وبيروت.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن المطامع الفرنسية الاستعمارية لم تكن تنظر بعين الرضى إلى الوعي العربي إلى ما تطور إليه هذا الوعي من مطالبة بتحرير العرب من كل رقابة أجنبية وميل إلى التكتل، وكان يبدو واضحاً أن فرنسا كانت تقاوم هذا الوعي وهي تذكر دائماً ملايين العرب أهالي الأقطار العربية في شمال أفريقيا التي فرضت عليها سيادتها قهراً.

وفي ٢٥ من أبريل عام ١٩٢٠، بعد انقضاء نحو شهر على قرار المؤتمر السوري العام الذي صدر في ٧ من مارس والذي أعلن إنشاء دولة سورية الكبرى التي كانت تضم بمقتضى ذلك الإعلان لبنان وفلسطين والمنداقاة بفيصل ملكاً، منح مؤتمر سان ريمو لفرنسا سلطات الانتداب على سورية ولبنان.

وفي ٣ من يوليو من نفس العام أرسل الجنرال «غورو» إلى فيصل إنذاراً طلب منه فيه وقف الحملة على فرنسا ورفع العقوبات التي كان العرب يضعونها في سبيل التجارة الفرنسية وقبول الانتداب الفرنسي على كل الدولة، وبينما كان فيصل يحاول التفاوض نشبت المعارك بين قواته وبين الفرنسيين الذين احتلوا دمشق وأخرجوه منها.

وهنا يلاحظ بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين أن فرنسا قد ظنت أن سندها الوحيد هم المارونيون في لبنان، وأن الطوائف المسيحية الأخرى كانت تقف على الحياد، وأن المسلمين كانوا يكرهون الفرنسيين من صميم قلوبهم، ولذلك قرر الفرنسيون تيسيراً لمهمتهم أن يتبعوا سياسة فرق تسد باستغلال الخلافات الدينية وتوسيع شقة تلك الخلافات التي كانت سورية تشكو منها أكثر من أي قطر آخر من أقطار الشرق الأوسط، فالعرب المسلمون السنيون

يكونون ثلاثة وخمسين في المائة فقط من مجموع سكان سورية ولبنان مجتمعين، وبعض الأقليات تكون مجموعات جغرافية متماسكة ففي جبل لبنان ثلاثمائة وأربعون ألفاً من المارونيين وفي جبل النصيرية ثلاثمائة وخمسة وعشرون ألفاً من العلويين^(١) يسكنون النصف الشمالي من الشاطئ، وفي جبل الدروز وفي لبنان مائة وستون ألفاً من الدروز، وفي شمالي شرق الجزيرة مائة ألف من الأكراد، وقد شجعت تلك السياسة الاستعمارية الاتجاهات الانفصالية لهذه الأقليات مستغلة سابق اضطهادها من السنيين أثناء الحكم العثماني.

وفي أول سبتمبر عام ١٩٢٠ اتسعت مساحة سنجق لبنان إلى ثلاثة أمثال مساحته الأصلية بإعلان دولة لبنان الكبرى التي ضمت مدن بيروت وطرابلس وصيدا، وضم إليها أيضاً جنوب لبنان إلى حدود فلسطين الذي يغلب فيه السكان الشيعة، كما ضمت إليه البقاع ذات الأراضي الخصبة التي يسكنها خليط من المسلمين والمسيحيين الأرثوذكس، وفي حدود لبنان - بعد أن اتسعت مساحته إلى هذا الحد - لم تعد للمارونيين أغلبية عددية كأغليبتهم السابقة في سنجق لبنان بحدوده القديمة، بل إن المسيحيين اللبنانيين بجميع طوائفهم الدينية لا يكونون إلا أغلبية مشكوكاً فيها، وربما كان هذا الإضعاف لمركز المسيحيين مقصوداً لمحاولة جعلهم أكثر اعتماداً على حماية فرنسا وأقل ميلاداً لمتابعة الوعي العربي.

وفي ٢٣ من ديسمبر وقع اتفاق «ليج - هاردنج» بين بريطانيا وفرنسا الذي عين الحدود بين سورية ولبنان من جهة والعراق وفلسطين من جهة أخرى.

(١) تقرر دائرة المعارف الإسلامية في مادة «نصيري» أن دين العلويين مزيج من مذهب الشيعة الإسلامي وبعض العقائد المسيحية في أدوارها الأولى وبعض عناصر من الوثنية.

ونشطت فرنسا في نشر اللغة الفرنسية إلى حد أنه قيل إن الأطفال العرب الذين كانوا لا يكادون يقرأون العربية في بعض المناطق كانوا يلقنون أنغام المارسييز النشيد الوطني الفرنسي، وزيفت كتب تاريخية وضعت خصيصاً لإثبات أن السوريين ليسوا من الجنس العربي.

وفي عام ١٩٢٥ ثار جبل الدروز ضد طغيان الحاكم الفرنسي الذي وصفه أحد المؤرخين الأوروبيين بأنه «كان مستبداً في وسائله، أعمى من الوجهة النفسية في تصرفاته مع الآدميين، إلى حد أن جهوده كان من المحتم أن تنتهي بكارثة».

وانتشرت الثورة في مدن سورية واجترأت فرنسا على أن تقذف قلب مدينة دمشق بقنابل المدافع والطائرات واقترفت إثم قتل أكثر من ألف عربي.

وفي ٢٣ من مايو عام ١٩٢٦ أعلنت الجمهورية اللبنانية.

وفي ٢٣ من يوليو عام ١٩٢٦ صدر الدستور اللبناني الذي نصت المادة الأولى منه على أن «لبنان دولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ وسيادة تامة أما حدوده فهي التي تحده حالياً:

شمالاً - من مصب النهر الكبير على خط يرافق مجرى النهر إلى نقطة اجتماعه بوادي خالد الصاب فيه على علو «جسر القمر».

شرقاً - خط القمة الفاصل بين وادي خالد ووادي نهر العاصي ماراً بقرى معصره وحريعانة وهيت وإبش وفيصان على علو قريتي بريفا ومطربا وهذا الخط تابع حدود قضاء بعلبك الشمالية من الجهة الشمالية الشرقية والجهة الجنوبية الشرقية ثم حدود أقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا الشرقية.

جنوباً - حدود قضائي صور ومرجعيون الجنوبية الحالية.

وغرباً - البحر الأبيض المتوسط.

ونصت المادة الرابعة منه على أن:

«لبنان الكبير عاصمته بيروت».

ونصت المادة السادسة منه على أن:

«الجنسية اللبنانية وطريقة اكتسابها وحفظها وفقدانها تحدد بمقتضى القانون».

ونصت المادة ١١ منه على أن:

«اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية، أما اللغة الفرنسية فتحدد الأحوال التي تستعمل بها بموجب القانون».

ونصت المادة ١٦ منه على أن:

«تتولى السلطة المشترعة هيئة واحدة هي مجلس النواب»

ونصت المادة ٩٥ منه على أنه:

«بصورة مؤكدة والتماساً للعدل والوفاق تمثل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة^(١)».

(١) مع أي معنى من معاني السيادة، وكانت مواده تهدف إلى تخليد طابع الانتداب، وكان ينص فيما ينص عليه على اعتبار اللغة الفرنسية لغة رسمية ثابتة ... وكانت ألوان العلم اللبناني هي ألوان العلم الفرنسي وفي وسطه شجرة الأرز كرمز للبنان.

وفي عام ١٩٤٣، بعد إعلان استقلال لبنان وتولى بشارة الخوري رئاسة الجمهورية ورياض الصلح رئاسة الوزارة، أعلن الأخير بمجلس النواب اللبناني في ١٧ من سبتمبر ١٩٤٣ اعتزامه تعديل الدستور وحذف المواد التي تتعارض مع ذلك الاستقلال كما أعلن في ذلك البيان التاريخي: «أن لبنان عربي يمت إلى العروبة بأوثق المظاهر والصفات، وأنه يجب أن يتعاون مع البلاد العربية الأخرى على أساس هذا الاعتبار، وأن هذه البلاد تريد ألا يكون لبنان مقراً للاستعمار ولا ممراً له، وأنه سيحقق هذه الرغبة فيوطد للبنان عزته وكرامته، ونادى بوجوب استعمال اللغة العربية، وحدها دون غيرها في وزارات الدولة ومصالحها، وقد أثار هذا البيان ثائرة المستعمرين الفرنسيين، فزعم المندوب السامي الفرنسي «هللو» أن الدستور اللبناني، الذي حصل رياض الصلح على إجماع البرلمان اللبناني على تعديله وفق الاتجاه التحرري العربي، عقد بين فرنسا ولبنان لا يجوز لأحدهما أن يستأثر بتعديله، وصمم رئيس الوزارة على السير في التعديل قدماً، وركبت سلطات الانتداب الفرنسية رأسها، فاعتقلتهما مع بعض الوزراء في نوفمبر من ذلك العام، وعطلت البرلمان، وانفردت بإعلان إلغاء التعديلات الدستورية، وعينت إميل أدّه، وهو الذي انفرد وحده بمعارضة قرار البرلمان بتأييد الحكومة، رئيساً للجمهورية، ولم يتهيب اللبنانيون ذلك العسف، فاجتمع قادتهم في جبل لبنان، الذي اتخذوه مقراً للحكم، وأعلنوا تأليف حكومة وطنية، ولما عرض هذا الموضوع على مجلس الأمن - وكان لبنان قد قبل عضواً بالأمم المتحدة في ٢٤ من أكتوبر ١٩٥٤ - أصدر قراره بوجوب جلاء القوات المحتلة وهو الجلاء الذي تم في آخر عام ١٩٤٦.



رياض الصلح



الرئيس أميل اده



أول صورة رسمية لأول رئيس استقلالي في لبنان "بشارة الخوري"

موقف لبنان الايجابي وتضامنه مع سوريا :

ولقد حرصت سوريا على ان يكون لبنان بنوع خاص متضامناً معها في الموقف لانه موقف مشترك يتصل بلبنان بمثل ما يتصل بسوريا، ولان فرنسا تطالب لبنان وتقف منه بمثل ما تطالب سوريا وتقف منها من اجله؛ ولاسيما انها تعلم ما لفرنسا في لبنان من انعطاف قوي وان أي استقرار افرنسي فيه

يهدد امنها ومستقبلها. ولقد كان لبنان والحق يقال مستجيباً استجابة تامة حكومة وشعباً؛ وكان اکتوى بنار كارثة باغية قبل مدة قليلة كانت من آثارها اراقلة دماء واعتقال رئيس الجمهورية و وزرائه وبعض نوابه، وكان من آثارها ولادة لبنان العربي القومي على ما سوف نذكره لاحقاً؛ فوقفت الحكومة منذ البدء مع سوريا موقف واحداً في رفض المطالب، واضربت بيروت والمدن الرئيسية اياماً عديدة، وعقدت الهيئات الوطنية على مختلف ميولها مؤتمراً قومياً متسقاً مع المنهج الاستقلالي الوطني الجديد الذي انتهجه لبنان، ودعا الى التطوع بسبيل الاستعداد للطوارئ، وفعل مثل هذا المجلس النيابي؛ وحاول انصار فرنسا تخفيف حدة التضامن اللبناني السوري فكان نصيبهم الاخفاق.

الجهود في سبيل خطة الجلاء ونجاحها :

ولقد تكثفت الجهود بعدئذ في سبيل الخطوة الحاسمة وهي الجلاء التام دون التقييد بمعاهدة ومنح مركز ممتاز؛ وكان هذا التصميم سابقاً على البغي فزاده هذا قوة وشدة. وقد سنحت الفرصة الملائمة في اواخر عام ١٩٤٥؛ فقد عقدت الحكومتان الانكليزية والفرنسية اتفاقاً على تنظيم انتقال جيوشهما في سورية ولبنان، رأت فيه الحكومتان اللبنانية والسورية افتتاحاً على استقلالهما وسيادتهما فرصة لا تارة قضية وجود جيوش اجنبية في بلادهما والمطالبة بجلائها عنهما؛ فاحتجنا على الاتفاق من جهة لدى الحكومتين وسارعنا من جهة اخرى الى عرض القضية على مجلس الامن مطالبين بالجلاء ولم يسع بريطانيا وفرنسا الا ان تصرحا عزمهما على الجلاء، وقالت بريطانيا ان دخول الجيوش البريطانية الفرنسية الى سوريا ولبنان لم يكن القصد منه الا منع الالمان من اتخاذهما قاعدة اولاً وتأمين مواصلات الحرب الى الشرق الاقصى ثانياً. وايدت اميركا مطلب

سوريا ولبنان وقالت ان السياسة التي اقترتها هي جلاء الجيوش الاجنبية عن جميع بلدان الامم المتحدة فور طلبها وابداء رغبتها في ذلك كما ايدت الطلب روسيا والصين ودول اخرى في المجلس. ثم اقترحت اميركا صيغة قرار بنصيحة الدول الاربعة أي انكلترا وفرنسا وسوريا ولبنان للاتفاق على الجلاء وتنفيذه في اسرع وقت ممكن، ووافقت اكثرية المجلس الساحقة على القرار غير انه لم يكتسب الصفة القانونية لان روسيا امتنعت عن التصويت بسبب عدم تحديد موعد حاسم للجلاء وتعليقه على مفاوضات. ومع ذلك فان بريطانيا وفرنسا لم يسعهما الا ان يعلننا استعداداً لتنفيذه في اسرع وقت ممكن ما دام ان اكثرية المجلس اقرته ثم تم الاتفاق بينهما على ان يكون جلاء جيوشهما معاً عن سورية في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ المصادف ليوم الاربعاء ١٦ جمادى الاولى ١٣٦٥. وفي الموعد المذكور تم الجلاء عن اراضي سوريا واقامت بمناسبة ذلك صباح اليوم التالي حفلة عرض عظمى اشتركت فيها وفود الحكومات العربية وفصائل من جيوشها، وكان عيداً قومياً رائعاً دامت حفلاته المتنوعة اياماً والقي رئيس الجمهورية خطاباً جامعاً على الجماهير عن حلقات الحركة العربية والنضال وعن العهد السوري العربي الجديد كما القيت في بعضها الخطب والقصائد عن الحركة العربية وسيرها، وفاضت فيه دموع الفرح من عيون العرب لهذه النهاية السعيدة بعد كفاح طويل استمر خمسة وعشرين عاماً لم يفتر ولم يهن، وقاست سوريا فيها ما قاست من عظيم المحن، وتحملت ما تحملت من جسيم التضحيات. وكان من تمام فرحة سوريا انها اولى البلاد العربية - في غير جزيرة العرب - التي تمت لها هذه السعادة بعد هذه الحقبة، وتكملت فيها الحركة العربية القومية بالنجاح، واخذ علمها يحقق وحده في سمائها غير مقيدة بأي قيد.

المحتويات

فهرس الجزء الثالث

ص	الموضوع
٥	المقدمة
٧	سوريا في العهد الانتدابي الأول
٨	البعثة الانتدابية
١٣	استغلال الحالة الطائفية
١٦	تجارب الحكم الهزيلة
٢٩	لواء اسكندرون
٣٢	مجلس جمعية الأمم
٤٧	شعلة الثورة
٥١	الاغتيالات والعصابات
٥٣	ثورات صالح العلي
٥٩	محكمة عسكرية للثورة
٧٧	الثورة الكبرى. مقدماتها وأهدافها
٨١	جوفينل وبهلوانياته
٨٣	بداية ثورة أولاد عكاش
٨٨	معارك وادي بردى الاولى
٩٥	معركة الزور الاولى
١٠٢	معركة جنوب حوران
١٠٣	معركة حمورية
١٠٤	معركة جسر ثورا
١٠٧	فرض الحصار على دمشق
١١٣	معارك الهامة

ص	الموضوع
١١٥	ضرب القطار بالهامة
١١٩	معارك المهاجرين والصالحية
١٢٥	معركة حلبون
١٢٧	معركة برزه
١٢٩	احتجاج سجن المخدرات
١٣١	معركة بسيمة
١٣٢	المعركة في بسيمة
١٣٦	معركة عربين
١٤٠	معركة النبك
١٤٢	معركة بعلبك
١٥١	معركة الاشرفية
١٥٢	معارك الصبورة ومقتل عبدو عكاش
١٦٢	المفاوضة
١٦٥	انتهاء الثورة
١٧٥	هجرة أولاد عكاش
١٧٧	النشاط السياسي وحزب الشعب
١٧٩	يقظة الامة وروحها
١٨٢	اشتداد الضغط على الثوار
١٨٦	بونسو ومكره
١٨٧	الكتلة الوطنية
١٨٩	الجمعية التأسيسية والدستور
١٩٣	الجمهورية السورية الاولى في ظل الانتداب
١٩٤	المعاهدة الانتدابية ورفضها
١٩٨	أحداث عام ١٩٣٥
٢٠١	العهد الوطني الاول
٢١٣	جهود حكومة العهد
٢١٥	سحب المعاهدة وأثره

ص	الموضوع
٢١٨	حركة المعارضة في العهد الوطني
٢٢١	العهد الانتدابي الثاني
٢٢٢	العسف الفرنسي أثناء الحرب
٢٢٥	الحالة بعد انهيار فرنسا
٢٢٩	تجدد نشاط الحركة الوطنية
٢٣٣	الحرب العالمية الثانية
٢٣٤	الأسباب المباشرة للحرب
٢٤١	العمليات على المسرح الأوروبي
٢٥٢	ثورة العراق واحتلال سوريا ولبنان وإيران
٢٥٣	الجهة الشرقية
٢٥٩	الحرب في الشرق الأقصى
٢٦٤	جهة شمالي أفريقيا
٢٧٧	الهجوم السوفييتي من ستالين غراد
٢٨٢	كلفة الحرب العالمية الثانية
٢٨٥	نتائج الحرب العالمية
٢٨٧	الغزوة الانكليزية الديغولية
٢٩٢	تجدد الحيوية الفرنسية
٢٩٥	نشاط عاهل الأردن
٢٩٨	الجمهورية الثانية برئاسة الشيخ تاج الدين
٣٠٠	عودة اجراء الحرب
٣٠٢	موت الشيخ تاج
٣٠٣	زعامة شكري القوتللي
٣٠٥	العهد الوطني الثاني
٣١٥	كارثة مايس ١٩٤٥
٣٢٠	التدخل الانكليزي
٣٢٣	تضامن البلاد العربية
٣٢٥	الجامعة العربية

ص	الموضوع
٣٣٦	جمهورية لبنان
٣٤٥	موقف لبنان وتضامنه مع سوريا

فهرس الجزء الرابع

ص	الموضوع
٣٥١	عدن والمحميات
٣٦٦	مسقط وعمان
٣٧٢	ولايات الخليج العربي
٣٧٥	إمارة الكويت
٣٨٥	البحرين
٣٩٢	ساحل المهادة
٣٩٣	أبو ظبي
٣٩٤	دبي
٣٩٥	الشارقة
٣٩٥	رأس الخيمة
٣٩٦	أم القوين - عجمان - الفجيرة
٣٩٧	العرب على طريق الاستقلال
٣٩٨	الثورة العراقية ١٩٤١ أو ثورة رشيد عالي الكيلاني
٤٠٧	جمهورية السودان
٤١٣	مصر في عهد فاروق
٤٢٩	استقلال ليبيا - الجيش السنوسي
٤٣٣	الأمانة وبريطانية
٤٣٦	الأطماع الاستعمارية والاستقلال
٤٤٠	استقلال تونس - فشل سياسة التفاهم
٤٤٧	الاصطدام
٤٥٢	الاستقلال الداخلي
٤٥٨	إعلان الجمهورية